الفصل الاول

بائعة الزهور

فى زاوية هادئة بشارع (جرنيل) ويسميه الفرنسيون الان شارع (جان جاك روسو) وقفت مركبة شد اليها جواد هزيل ·· والى جانبها فتاة فى السابعة عشرة من عمرها · تفيض فتنة وجاذبية ·

كانت هذه الفتاة هى (موجيت) . أو زهرة السوسن كما كان يسميها الباريسيون · وكانت ترتدى ثوبا أبيض اللون فضفاضا يزيد فى جمالها · وتحمل فى يديها مجموعة من الورود والازهار كادت تخبو فتنتها بجانب روعة جمالها · وقد بدا جيدها العاجى كبرعم تفتح عن وردة نضرة ·

وفى ناحية أخرى من هذا الشارع وقفت امرأتان ·· احداهما فى الستين من عمرها تبدو عليها امارات القسوة والبطش · وتدل حركاتها على النقمة والتبرم بالحياة · وكانت تحدج (موجيت) بنظرة يشع منها الحقد والكراهية ·· وقد ضمت شفتيها فى غيظ شديد ·

أما المرأة الاخرى · فهى طويلة القامة . ممشوقة القد ·· قد أخفت وجهها تحت قناع أسود فلا تكاد تظهر منه سوى عينين سوداوين تلمعان ببريق الذكاء ·· وتنمان عن قوة العزم ومضاء الارادة ·

وتكلمت المرأة العجوز فقالت :

ـ هاهى ذى يا سيدتى ! · انها موجيت . أو زهرة السوسن كما يطلقون عليها ·

فلم تجب الاخرى بل ظلت هادئة لا تحرك ساكنا .

وانطلق صوت الفتاة فى نبرات أشبه بموسيقى

الخلد ·· قالت :

ـ هلموا أيها الباريسيون ! · يا عشاق الزهور · لقد أقبلت (موجيت) تحمل اليكم أجمل مافى حدائق باريس من زهور ·

وأقبل الناس على الفتاة يشترون زهورها بوجوه باسمة مشرقة ·

وعلى مقربة من المركبة وقف شاب طويل القامة . عريض المنكبين جميل الملامح · تبدو على وجهه امارات النبل والمروءة · كان يرمق الفتاة بنظرة اعجاب . ويتبعها بعينيه فى لهفة شديدة ·

وكانت موجيت لا تعرف من أمره ·· الا أنه أحد الذين يقبلون على شراء زهورها ·

وتقدم الشاب منها . واشترى باقة من الورد · واختلس منها نظرة خجلة سريعة . وسرعان ما اختفى عن ناظريها ·

ولم تشاهد المرأة العجوز ، أو رفيقتها المجهولة هذا الشاب · لان كل اهتمامهما كان منصبا على الفتاة ·

وقالت العجوز :

ـ انها هى بغير شك ··

فقالت الاخرى :

ـ أنها على مايبدو لى محبوبة من الباريسيين ··

ـ لقد عدت الى باريس منذ أسبوعين ، فألفيت اسمها على كل لسان . ولا حديث للباريسيين الا عن زهرة السوسن ! . وجمال زهرة السوسن ·· فلما رأيتها لاول مرة كدت أفقد عقلى ! · اذ أيقنت انها هى بعينها ·· نعم ! · هى بعينها يا سيدتى ·

فقالت السيدة المجهولة :

ـ وهل أنت واثقة أنها هى بعينها التى عهد بها (كونسينى) الى (لاندرى ككنار) ليتخلص منها بعد ولادتها ؟ ·

فقالت العجوز بلهجة قاطعة :

ـ لا شك عندى فى ذلك .. انك تعلمين يا سيدتى ما كان يدور على ألسنة الباريسيين من وجود علاقة بين (كونسينى) والملكة (مارى دى مدسيس) · وقد تمخضت هذه العلاقة عن ثمرة أثيمة هى تلك الفتاة التى تبيع أمامك الزهور الان · فدفع بها (كونسينى) الى أحد أتباعه (لاندرى) ·· وطلب اليه التخلص منهـا ·· فجاءنى هذا الاخير وعهد بها الى ·· فظلت فى كنفى حتى أكملت ربيعها الخامس عشر ·· فكيف لا أعرفها ؟ ··

وهزت المرأة المجهولة رأسها ببطء ·· ونظرت الى العجوز نظرة فاحصة ثم تحولت ببصرها الى الفتاة وقالت :

ـ وبعد ذلك ·

ـ هذا كل ما هنالك يا سيدتى ! انظرى اليها كيف تبيع زهورها فى رشاقة · وتكلم زبائنها بلباقة ! · اننى أنا الذى علمتها أسرار هذه المهنة ! · ان كل هذه النقود التى تجمعها والتى تعيش بها عيشة الاثرياء · من حقى ! · من حقى أنا التى تمر على الايام دون أن أجد ما يستر بدنى الضعيف الواهن .

فقالت الاخرى فى هدوء :

ـ توجد طريقة عملية للتأكد مما تقولينه الان · وهى أن تذهبى اليها وتجاذبيها الحديث حتى تستوثقى من

شخصيتها تمام الوثوق .

فقالت العجوز وهى تنطلق :

ـ على رسلك يا سيدتى .

فقالت الاخرى فى لهجة تهديدية :

ـ ولكنى أحذرك من اهانتها أو التطاول عليها .. لان هذه الفتاة قد آلت الى منذ هذه اللحظة ! . هل تفهمين ؟ . انها أصبحت ملكا لى .. أما انت فسأجازيك خيرا وأعوضك عما فاتك من ربح ومغنم .

ونظرت العجوز الى المرأة نظرة رعب .. وقالت وهى ترتجف :

ـ حسنا يا سيدتى .

وانطلقت الى الفتاة وهى تتكىء على عصاها القصيرة وتغمغم قائلة :

ـ انه لمن حسن حظى أن أقابل هذه السيدة الثرية الكريمة ..

وقد فوجئت (موجيت) برؤية المرأة العجوز أمامها . فذعرت وتراجعت الى الخلف وقالت فى صوت مختنق :

ـ يا الهى ! . لاجوريل ! .

وسمع الشاب المعجب صرختها فعاد ادراجه وتقدم من العجوز ونظر اليها نظرة غاضبة .. وظل يرقب عن كثب ما يدور بينهما من حديث .

ولم تنتبه العجوز الى الشاب .. واقتربت من الفتاة وقالت وعلى وجهها ابتسامة جشعة :

ـ نعم يا صغيرتى ! .. انها هى توماس لاجوريل التى تحدثك ! . يخيل الى انك لم تتوقعى مقابلتى فى هذا المكان ! . أليس كذلك ؟ .

ولم تجب الفتاة . بل قالت فى صوت خافت وكأنها لا تصدق عينيها :

ـ لاجوريل ! .. يا الهى ..

وانتفضت انتفاض العصفور أمام الصقر الجارح ! .

واسترسلت العجوز قائلة :

ـ نعم .. لاجوريل ! . التى أفنت حياتها .. لتقيم أود حياتك .. وأذبلت شبابها فى السهر على راحتك ! . نعم انا ! أنا التى لبثت خمسة عشر عاما أرعاك وأحنو عليك كما لو كنت ابنتى وفلذة كبدى ! ..

واستعادت الفتاة رباطة جأشها .. وأفرخ روعها .. وأعجبت لحديث العجوز فقالت :

ـ ماذا تريدين منى بحق السماء ! . هل تحسبين أننى أتبعك مرة ثانية فأعود بقدمى الى جحيم أنقذتنى منه عناية الله .. هل تريدين ارغامى على مشاطرتك الحياة من جديد فألقى من عذابك وقسوتك ما كنت ألاقى ؟ . ماذا تريدين ؟ .. اليك عنى .. اغربى عن وجهى ..

واقبل الناس على صياح الفتاة .. وتقدم الشاب العاشق حتى أصبح قريبا من (موجيت) . وهم بالتدخل وابعاد العجوز .. الا أنه كبح جماح نفسه .. ووقف صامتا يرقب تطور الحديث باهتمام .. ويسائل نفسه عن علاقة هذه العجوز الشمطاء بحبيبته ..

والقت العجوز نظرة غاضبة على المتجمهرين .. وبدا عليها أنها نسيت ما زودتها به السيدة المجهولة من نصائح .. فلمعت عيناها ببريق غريب .. وتدفقت الشتائم من فمها كالسيل المنهمر ..

فحاول البعض تهدئة ثائرتها .. حتى خفت حدتها أخيرا وقالت بصوت متعب :

– انك دائما تفيضين بالحيوية والنشاط .. ولم تفقدى شيئا من جمالك وفتنتك ! . انما فقدت ما كنت تتمتعين به من حب وعطف على امراة عجوز تعرف أنها ليست أمك ولا حق لها عليك سوى ما بينكما من مودة ..

فصاحت الفتاة محتدة :

– كفى رياء أيها الاثمة ! . ما دمت تعرفين أنك لست أمى فماذا تريدين منى ! ..

– انى لا أريد منك شيئا ! .. لا أبغى سوى أن أهنئك بجمالك ونضرتك . وبالثروة التى تنتظرك ! .. انك تبيعين الزهور بالذهب .. وكل رجال فرنسا يتمنون نظرة منك .. ان هذا أسعد يوم لدى ..

وضحكت الفتاة فى سخرية وقالت :

– انى أشكرك .

ووضعت يدها فى كيس نقودها .. ثم مدتها الى العجوز ..

وتذكرت لاجوريل وعد السيدة المجهولة لها فقالت :

– كلا ! .. شكرا لك ! .. اننى لم أتغن بجمالك لاستجديك .. احتفظى بهذه النقود . فقد تكونين بحاجة اليها . أما أنا .. فقد ورثت بعض المال .

واستبد الدهش بموجيت فقالت :

– اذا ماذا تريدين منى ؟ !

فلم تجب العجوز . ولكنها تحولت للانصراف وهى تقول :

– لا أريد شيئا سوى سعادتك ! .. الى اللقاء يا ابنتى الى اللقاء ! ..

وتفرق المتجمهرون .. ووقفت موجيت مذهولة دهشة لتصرف العجوز ! ..

وفى هذه اللحظة قدم رجلان . . واختفيا وراء أحد العمد الضخمة حين وقع نظرهما على الشاب الذى كان يتبع موجيت ..

وكان الشاب فى تلك الاثناء قد التقى بصديق له . . فالقى نظرة وداع على صديقته ورافق صاحبه وهم بالانصراف ولمح الشاب هذين الرجلين فهتف :

– يا الهى . . ! باردليان ! . . الفارس باردليان فى باريس . .

والتفت الاخر وقال :

– أين هو ؟ .. لقد اختفى بعد أن قتل الدوق دى جيز . . انه رجل شجاع . .

– بل أنه أشجع من سمعت ورأيت . . انه ذلك الرجل الطويل الذى يقف وراء العمود ..

فقال صديقه :

– ومن هذا الرجل الذى يرافقه .. أغلب ظنى أنه صديقه شارل الدوق دانجوليم ..

فتنهد الشاب وقال فى حزن :

– شارل ! . . انه الان بين جدران الباستيل .

– الباستيل ! .. يا الهى .. ولم ؟

– لانه ابن شارل التاسع كما تعلم ! . . ولم يكف عن الجهر بأحقيته فى عرش فرنسا . .

– اذن من يكون هذا الشاب ؟

وسكت صديقه هنيهة وهو يتفرس فى وجه رفيق باردليان وقال :

– انه (جيهان) دى باردليان .

فهتف الاخر دهشا :

– ابن باردليان ..

ـ نعم ٠٠ ابنه من فوستا ! .. لقد كانت فى باريس منذ عشرين عاما امرأة جبارة تدعى فوستا .٠ الاميرة فوستا ٠ وذلك فى عهد الملك هنرى الثالث ٠ وكانت تبغى أن تنصب الدوق دى جيز ملكا على فرنسا ثم تتزوج منه فتحقق أمنيتها وتصبح ملكة متوجة ٠

فقال الاخر :

ـ انى سمعت بشىء مثل هذا ، وكنت أحسبه أسطورة لا ظل لها من الحقيقة ..

ـ بل هى الحقيقة بعينها ٠٠ ولولا صراع باردليان لها لحققت كل ماكانتتصبو اليه ٠. ولطالما حاولت قتله والتخلص منه ٠ فكان ينجو فى كل مرة بأعجوبة ٠٠

ـ انى أفهم من كلامك أنها كانت تكرهه كرها شديدا . فكيف أنجبت منه هذا الابن ؟ .

ـ انها كانت فى نفس الوقت تحبه ٠٠ وظلت تقاوم تلك العاطفة الجامحة التى تتأجج فى قلبها ٠ واذا بها فى احدى المرات تضعف أمام سلطان الحب .٠ وتستسلم لعاطفتهـا ٠٠ وتنقاد صـاغرة الى الفـارس ٠. فتنجب منه (جيهان) .٠ وفتاة أخرى اسمها (لويز) ٠٠

ـ اذن هى زوجته الان ؟ .

ـ كلا ! .٠ فسرعان ما نشب الخلاف بينهما ٠٠ ففسخت زواجها منه ٠٠ و ٠٠

فقاطعه الاخر قائلا :

ـ وكيف استطاعت فسخ الزواج ؟ .

ـ انها كانت فى هذا الوقت مسيطرة على رجال الدين ! ٠ وكانت تطمع فى أن تجعل من نفسها « كاهنة عظمى » ٠ وتنقل مقر البابوية من روما الى باريس ٠. فكان فى يدها فسخ زواجها .

ـ انها امرأة غريبة ! ٠ وماذا تم فى أمرها ! ٠

ـ لقد اختفت فجأة من باريس ولا يعلم انسان مقرها الان ! ٠. والظاهر ان باردليان زهد فى الحياة من بعدها ٠. فرحل عن فرنسا ٠٠ وها هو الان يعـود ثانية . ٠

فقال الرجل الاخر :

ـ لابد أن يكون وراء الاكمة ما وراءها ٠.

وفى هذه اللحظة كان الفارس باردليان يحدث ابنه قائلا :

ـ انه أوديت دى فالفير ٠٠

ـ نعم ٠. انه هو يا سيدى ! ٠٠

وابتسم الفارس وقال فى عطف :

ـ انه لا زال يتبع موجيت ! . مسكين هذا الفتى ! . انى لم أر مثيلا له فى حبه ٠٠

وقال الابن :

ـ انى سمعت كثيرا بأمر هذا الحب ٠٠ ولكنى أعجب لما يمنعه من الاقتران بها ٠٠

فهتف باردليان :

ـ الزواج بها ! . لم يحن الاوان بعد ٠.

ـ ولم . !

ـ لانها لا تعرف من أمر حبه شيئا ، انه يكتفى منهـا بالنظرة البريئة الساذجة ٠٠ ولم يجد فى نفسه يوما من الايام الجراة على التصريح لها بحبه ٠٠

ـ انه شاب غريب ! ٠

ـ وما وجه الغرابة ؟ . ان أكثر الناس شـجاعة وأشدهم جرأة أمام الرجال ٠. هم أضعفهم أمـام النساء ٠.

وسكت الفارس هنيهة وقال وكأنه يحدث نفسه :

ـ يخيل الى اننى مكره على البحث عن متاعب جديدة ..

ـ ولم .. ؟ .

ـ لمساعدة هذا الشاب ! . انى أحبه كثيرا ولا أكاد أوقن أنه يعيش فى نطاق من الاسرار قد ضرب عليه ولا يعرف من أمره شيئا ! .

الفصل الثانى

الدوقة دى سورينتيه

عادت المرأة العجوز الى السيدة المجهولة وبادرتها قائلة :

ـ أغلب ظنى أنك رأيت كل مادار بيننا .. لقد عرفتنى الفتاة بمجرد وقوع بصرها على .

وابتسمت السيدة وقالت فى لهجة ذات مغزى :

ـ نعم . لقد رأيتها وهى تتحدث اليك ! . ويبدو لى ان هذه الصغيرة لا زالت تحتفظ لك فى قلبها بذكرى طيبة . !

وأدركت (لاجوريل) ما فى كلامها من تلميح فقالت متلعثمة :

ـ نعم ! . كلا ! . انها مخلوقة لا ترعى الجميل ..

ـ بل قولى انك كنت قاسية فى معاملتك لها . هذا واضح جلى ..

ولم تجب العجوز ..

واستطردت السيدة :

ـ لقد راقبتك جيدا وأنت تتحدثين اليها . وقد عجبت

كل العجب من عدم مبالاتك بنصائحى التى أسديتها اليك ! . . لقد حذرتك من التعرض لها . فاذا بى أراك تتحرشين بها وتسيئين اليها على مرأى ومسمع من الجميع ..

فصاحت العجوز :

ـ اننى لم ..

ـ لا تنكرى ! . . انى أحذرك للمرة الاخيرة » . . اياك والتعرض لهذه الفتاة بعد الان .. دعيها وشأنها .. بل ابتعدى من طريقها كلما وقع بصرك عليها ..

ثم أردفت بصوت رهيب :

ـ نعم ! . . تجنبيها ان كنت تحرصين كثيرا على حياتك ! . . هل فهمت ؟ ..

فغمغمت العجوز بصوت مرتجف :

ـ نعم .. وسأنزل على رغبتك ياسيدتى ..

وأسرعت لاجوريل بتغيير مجرى الحديث فقالت :

ـ لا شك انك قد تأكدت يا سيدتى أنها ابنة كونسينى .. أليس كذلك ؟ . .

ـ لم يعد هناك شك فى هذا الامر . .

ـ نعم . . انها هى بعينها التى سلمت الى (لاندرى) ! . .

ودست السيدة المجهولة يدها فى جيبها . . فلمعت عينا العجوز فى جشع ! . . وحانت منها التفاتة الى نهاية الطريق فصاحت فجأة :

ـ يا الهى . ! أنه هو ! . .

وبهتت السيدة المجهولة .. ونظرت اليها متسائلة وقالت :

ـ من ؟ ! .

www.rewity.com dodyadodo

ونسيت (لاجوريل) أمر النقود .. فقد استرعى اهتمامها نفر من الشرطة يسوقون رجلا أمامهم وتحف بهم جماهير الشعب الغفيرة وصاحت للمرة الثانية فى سرور وتشف :

ـ انه هو ! .. هو بعينه ..

ولما استوثقت من الرجل الذى تعنيه .. عادت أدراجها الى السيدة وقالت لها :

ـ أين النقود التى وعدت بها يا سيدتى ! .. ان هذا اليوم من أسعد أيامى ..

فقالت الاخرى وهى تنظر اليها بعينيها السوداوين فى حدة :

ـ من هو هذا الشخص ؟ ..

ـ انه هو يا سيدتى ! .. لا ندرى ككنار » ..

فقالت السيدة :

ـ مسكين .. انهم يقودونه الى المشنقة .

ـ نعم .. نعم .. انى أعلم ذلك ..

ـ وما الذى يسرك فى هذا الامر المحزن ؟

ـ انى أكرهه .. أمقته .. انه هو الذى عاون موجيت وسهل لها سبيل الهرب .. هو الذى جر على الفقر والدمار .. فلم أعد أكتسب قرشا واحدا من بعدها ..

هو الذى جعلنى أطوف الطرقات عارية القدمين مستجدية بعد أن كنت فى رغد من العيش ونعيم من الحياة .. ان أسعد يوم يا سيدتى هو ذلك اليوم الذى أرى فيه جثته تتأرجح فى حبل المشنقة ..

وكانت السيدة فى شغل شاغل عنها ! . وكأنها لا تسمع حديثها .. وهى تتبع (لاندرى) بنظرها فى اهتمام .. ولاحظت (لاجوريل) ذلك فاقلت لها :

ـ هل تعرفين هذا الشخص يا سيدتى ؟ ..

ـ كلا .. اننى لا أعرفه .. ولم أره قبل الان .. ولكن أمره يهمنى ..

ثم نظرت خلفها وهمست :

ـ دالباران ! .

فأجاب صوت أجش :

ـ نعم يا مولاتى ..

ونظرت العجوز فوجدت ماردا طويل القامة ضخم العنق عظيم الجثة .. يتقدم الى السيدة المجهولة وينحنى أمامها فى احترام .. وكان يبدو عليه أنه من دم أسبانى .. فقالت له السيدة :

ـ هل ترى هذا الشخص الذى يقودونه الى المشنقة ؟

والتفت دالباران الى الناحية الاخرى وقال :

ـ نعم . انى أراه يا سيدتى ..

وسكتت السيدة قليلا وقالت فى لهجة متزنة :

ـ انه الان مسوق الى المشنقة ..

ـ هذا ما يبدو لى يا مولاتى ..

ـ انى أريده حيا ! .. اذهب مع نفر من رجالك وأطلق سراحه واستعمل القوة اذا اقتضى الحال ..

وتردد الرجل برهة ثم قال :

ـ حسنا يا مولاتى .. وهل أحضره الى هنا أم أذهب به الى القصر ؟

ـ كلا ! . بل اتركه وشأنه .. ثم اتبعه عن كثب واعرف محل اقامته ..

ـ حسنا يا مولاتى ..

وصدع الرجل بالامر .. وزايلها على الاثر .. ثم أخرج من فمه صفيرا خاصا برز على أثره عدد من الرجال كانوا

متوارين فى الطريق ٠. والتفوا حوله ٠٠ فنقل اليهم أوامر السيدة فى صوت منخفض ٠

وكانت (لاجوريل) تشاهد ما يدور حولها بدهشة بالغة ٠٠ وتنظر الى السيدة المجهولة نظرة امتزج فيها الحقد بالخوف ! . فقد كرهت منها أن تطلق سراح (لاندرى) ٠. كما كرهت منها أن تتولى (موجيت) ـ تلك العاقة ـ بحمايتها ! ٠٠

ورغم ذلك ٠٠ فقد اغتصبت ابتسامة خادعة حتى تنال المال الموعود ٠

وبسطت اليها السيدة المجهولة يدها بكيس من الذهب وهى تقول :

ـ اليك هذا الان ٠٠

وأطبقت (لاجوريل) بيدها على الكيس وهى تكاد تطير فرحا ٠. وتقول :

ـ شكرا لك يا سيدتى ! ٠

وقالت السيدة :

ـ اصغى الى أيتها العجوز ٠ انك لا تعلمين من أنا ٠٠ اننى الدوقة سورينتيه ٠ وأقيم فى قصر آل سورينتيه . فهل تعرفين أين يوجد هذا القصر ؟ ٠

فقالت العجوزحيرى :

ـ كلا يا سيدتى ٠٠ ولكن ٠٠ ليس من العسير الاستدلال عليه ٠

ـ سأكفيك مؤونة السؤال ٠٠ ان هذا القصر يقع خلف (اللوفر) ٠ فى نهاية شارع (سانت نيكاس) ٠ ووجهته الاخرى على شارع (ساين) ويطل على النهر . فاذا فكرت فى زيارتى يوما من الايام ٠. فاقصدى الى الباب الصغير . واطرقيه ثلاث طرقات متفرقات ٠ ثم

اخبرى الخادم باسمك وانتظرى حتى يسمح لك بالدخول ٠٠ هل فهمت ؟ ٠٠

ـ نعم يا سيدتى ٠٠ وسأعى ذلك جيدا .

ـ هذا جميل ! ٠ وقبل أن نفترق يحسن بك أن تنسى كل ما وقع بصرك عليه الان .

فنظرت اليها العجوز فى وجل وقالت :

ـ سأنساه يا سيدتى ٠٠

ـ الى اللقاء اذن ٠٠

وانطلقت العجوز الى شارع (ليكوك) لترى بعينيها مصير (لاندرى ككنار) ٠ وبينما هى تجتاز الطريق ٠٠ وقع بصر باردليان عليها . ورأته المرأة فاضطربت اضطرابا ظاهرا ٠ ولكنها استطاعت أن تتغلب على اضطرابها وتندس بين الجماهير ٠٠ وتختفى عن ناظريه ٠

أما باردليان ٠٠ فانه عقد حاجبيه كأنه يتذكر شيئا وقال :

ـ يا الهى ! . لقد وقع بصرى على هذه المرأة العجوز قبل الان ! ولكنى لا أستطيع أن أتذكر أين ومتى رأيتها ٠

ونظر اليها جيهان وقال :

ـ وأنا أيضا ! . ان اسمها ٠ آه ٠. انه لا يحضرنى ٠

ـ اسمها لاجوريل ؟ ٠

ـ نعم لاجوريل ٠

ـ ولكنى لا أعرف أين رأيتها رغم ذلك ! ٠

وشق الفارس وابنه طريقهما بين الجماهير المتلاصقة ٠٠ وانطلقا فى سبيلهما .

وكان (لاندرى ككنار) مسوقا بين رجال الشرطة وعلى رأسهم (كونسينى) ٠ وكان هذا الاخير هو صاحب

السلطة المطلقة فى باريس وكان سبب كل هذا السلطان انه عشق الملكة (مارى دى مدسيس) الوصية على عرش فرنسا ٠

وكان (لاندرى) يسير فى المقدمة وقد ربط عنقه بحبل أمسك بأحد طرفيه (روكتيل) ٠ وبالطرف الثانى (لونجفال) ٠٠ وهما من أتباع كونسينى ٠ وكانا لا يفتآن يغرقان فى الضحك والسخرية ٠٠ ويجذبان الحبل تارة ويتركانه أخرى ٠ والرجل مطرق رأسه الى الارض فى ذلة واستكانة ٠٠

وكان كل منهما ينظر الى الجماهير المحتشدة فى زهو وكبرياء وهو يحسب انه بهذا العمل يخطب ودها ٠٠ ويحظى برضائها ٠

والواقع ان روح الاستياء كانت سارية فى الشعب من هذه المظالم الوحشية والاعمال القاسية ٠

وكان (لاندرى) يتقدم ببطء متبوعا بعشرة من رجال الشرطة المسلحين ٠٠ وكان المسكين كلما نال منه التعب قسطا أو تباطأ فى المسير أحاط به هؤلاء الاوغاد وحثوه على الاسراع باطراف رماحهم ٠٠ أما (كونسينى) فكان يتبع رجاله وقد شمخ بأنفه فى السماء وصعر خده فى كبرياء وغطرسة ٠٠ وعلى يمينه كان يمشى روبنياك ٠٠ رئيس حرسه ٠٠ وموضع ثقته ٠٠

ومر الموكب المشئوم بشارع (ليكوك) ٠٠ وكانت (موجيت) قد اندمجت فى غمار المتفرجين كذلك ٠٠ وما كاد يمر (لاندرى) أمامها فى طريقه الى المشنقة حتى صاحت بملء صوتها :

ـ مسكين هذا الرجل ! ٠

لم تكن تعرف انه هو الذى عهد بها الى العجوز ٠ !

وقد سمع لاندرى صيحتها كما سمعها كونسيتى نفسه ٠

أما الاول ٠٠ فانه نظر اليها وابتسم فى حزن وقال :

ـ انها هى ٠٠ يا الهى ٠٠ انها ابنة كونسيتى ٠ ! ٠ يا لعبر الحياة !

أما كونسيتى فانه همس فى أذن رفيقه روبنياك :

ـ انها هى يا روبنياك ٠٠ يجب أن أتبعها وأتحدث اليها ، ولو دفعتنى عنها فانك تساعدنى ٠٠ أليس كذلك ٠ ؟

ولم يجب (روبنياك) الذى راح يحدث نفسه :

ـ وأنا أيضا أحبها أيها الغر الابله ٠ نعم أحبها ٠ فاياك أن تنالها بأذى والا فالويل لك منى ٠

وأردف بصوت مسموع :

ـ اننى طوع أمرك يا سيدى ٠٠ ولكن ٠٠ هل تترك سجينك ؟ وهل ترضى أن تفوتك الفرصة التى كنت تمنى نفسك بها منذ أمد بعيد وهى أن تراه يتحلى برباط عنق جميل من القنب ؟

فقال الاخر فى غير اكتراث :

ـ كلا ٠٠ لست تواقا الى هذه الدرجة التى تحسبها ٠٠ سأترك رجالى يقومون بهذه المهمة عوضا عنى ٠ هيا بنا اليها ٠٠

فقال روبنياك متململا :

ـ وهل تحسب أننا ننجح فى شق طريقنا وسط الجمهور ؟

ـ ولم لا ؟ ٠

ـ انى أرى الشعب غير راض عن شنق (لاندرى) وأخشى كثيرا أن ينالنا من غضبه ما لاتحمد عقباه ولاسيما أننا بمفردنا ٠٠

والواقع أن (روبنياك) كان مصيبا ·· فقد ابتدأت جموع الباريسيين تتذمر مستنكرة قتل هذا الشاب بغير ذنب معلوم ·· ولا سيما بعد أن صرخت (موجيت) تلك الصرخة التى سمعها (لاندرى) و (كونسيتى)

أما (أوديت دى فالفير) ··· عشيق الفتاة ··· فانه ماكاد يسمع صيحتها حتى شق طريقه اليها · وظل يتبعها على قيد خطوات منها ··· خشية أن يصيبها شرر من نيران الظلم المتأججة ·

وكان (لاندرى) ذكيا شجاعا ·· أدرك بنظرة واحدة حقيقة الموقف ·· وكان على علم تام بنفسية الجماهير وسرعة انقيادها · فانتهز فرصة تذمر الشعب وصرخ فى صوت قوى مستعطف ··

ـ الى أيها الرجال ! · الى يا ذوى النخوة والمروءة ! · هل تتركون رجلا بريئا يلقى حتفه على مرأى ومسمع منكم ؟ !

كانت خدعة موفقة منه ·· لانه كان يعلم حق العلم السبب الذى من أجله دفعه كونسيتى الى المشنقة ! ·

آتت صرخته بالثمرة المنشودة ·· فقد تألب الشعب · وتدافع حوله كالسيل المنهمر ·

أما موجيت ·· فقد تألمت لهذا الرجل اليائس ونفذت صيحة استنجاده الى قلبها · فصرخت فى غير وعى :

ـ ألا يوجد رجل واحد بينكم ! · يا الهى ! ·

وصاح صوت قوى :

ـ يوجد رجل واحد على الاقل يا آنستى ! ·

لم يكن الا صوت (اوديت دى فالفير) ·· الذى امتشق حسامه · وانحنى أمامها فى احترام · ثم اتجه صوب الاسير وهو مندفع كالصاعقة حتى اذا ما وصل

الى (لونجفال) و (روكتيل) قال لهما فى لهجة حادة :

ـ أى ذنب جناه هذا المسكين حتى تعاملاه هذه المعاملة السيئة الشاذة ·· ليس هذا من شأن كرام الرجال ·

فضحك لونجفال وقال :

ـ وهل من شأن كرام الرجال أن يتدخلوا فيما لا يعنيهم ؟

وأضاف روكتيل :

ـ يخيل الى أنك تحاول لفت نظر النساء اليك بهذه الشجاعة الجوفاء أيها الابله !

وبهت فالفير لهذه الاهانة وصاح :

ـ قبحكما الله من وغدين زنيمين ··

ورفع حسامه وانقض عليهما ·· ففرا من وجهه لا يلويان على شىء وترك كل منهما طرف الحبل الممسك به ··

أما (لاندرى) · فانه وجد نفسه طليقا · وأذهله تطور الحوادث بهذه السرعة غير المنتظرة ··

والتفت (فالفير) اليه ·· ودس فى يده كيسا صغيرا من النقود وصاح به : اسرع ·· واطلق ساقيك للريح ·

وفى هذه اللحظة ·· وصل (دالباران) ورجاله الى المكان ··· فوجدوا المهمة التى كلفتهم بها الدوقة دى سورينتيه قد انتهت فى الواقع ·· ولم يبق منها سوى تتبع (لاندرى) ومعرفة مقره ·

وعاد (دالباران) الى الدوقة وقال لها بالاسبانية :

ـ وصلنا يا مولاتى ووجدنا الرجل قد تمكن من الفرار ! ·

فقالت الدوقة : لقد رأيت كل شىء ·

ـ هل من أمر جديد لمولاتى ·· ؟

– نعم ! · لننتظر ولنر ما عسى أن يحل بهذا الشاب الشجاع الذى جرؤ على مجابهة أقوى رجل فى فرنسا ··

ثم قالت وهى تبتسم فى سخرية :

– وبودى أن أرى ما سيفعله هذا الشعب المتحمس الذى يضج هناك ! ·

وسكتت برهة ثم قالت :

– وهل اكملت الشطر الثانى من أوامرى ؟ ·

– نعم يا مولاتى ·· لقد ذهب أحد رجالى فى أثر لاندرى ككنار

ما كاد كونسيتى يرى رجليه يفران أمام فالفير ·· ويتركان الاسير حتى غلى الدم فى عروقه ·· واستشاط غضبا وصاح :

– الى بهذا الخنزير حيا ··

وتالبت الجموع وشعر كل فرد برغبة ملحة تدفعه الى الذود عن هذا الشاب الشجاع · فلما رأى (كونسيتى) ذلك صاح برجاله :

– اقتلوا كل من يتعرض لكم من هؤلاء الاوغاد

وأعمل الرجال سيوفهم ·· فسقط البعض وجرح البعض الاخر ··

وازداد غضب الشعب ·· وأطبق على الرجال القلائل الذين يحتمى بهم « سيد فرنسا » كما كانوا يسمونه ·· وكاد يفتك بهم فتكا ذريعا · فولوا الادبار ! ·

ولم يجد (كونسيتى) و (روبنياك) بدا من الفرار أيضا ! ·

أما (فالفير) ·· فانه تقدم من موجيت وانحنى أمامها وهو يقول :

– هل تسمح لى آنستى بمرافقتها حتى لا تتعرض

لتهجم المتطفلين ··

ونظرت اليه الفتاة فى عطف واعجاب ·· وأومأت برأسها علامة الايجاب · فتأبط ذراعها وانطلقا ··

ولما وصلت الى دارها ·· شكرته على حسن صنيعه فقال فالفير :

– لم يكن ذلك الا قبسا من وحيك يا آنستى ··

– عفوا يا سيدى ··

وانحنت فى لطف ·· ودخلت الى دارها ··

وانصرف فالفير وهو لايكاد يتمالك نفسه من فرط السعادة والسرور

الفصل الثالث

الاعتراف

لم يعلم فالفير أنه كان متبوعا بلاندرى وهو يسير برفقة موجيت ! ·· فلما ودعها وذهب الى داره ·· استجمع لاندرى أطراف شجاعته وطرق الباب وهو يتوقع من فالفير كرما وحسن ضيافة ··

ولقد سر فالفير فعلا برؤية الرجل الذى أنقذه ! ·· ورحب به وقبل أن يجعل من منزله المتواضع ملاذا وملجأ له ··

وربطت الصداقة أواصرها بين الرجلين فافضى كل منهما للاخر بشئونه ·· غير أن لاندرى لم يبح لصديقه بما يعلمه من أن (موجيت) هى ابنة كونسيتى ··

أما فالفير ·· فقد طفق يقص عليه ما يعانيه فى حبها ·· وكيف أنه لم يصارحها بعد بهذا الهوى المتأجج فى صدره ··

www.rewity.com
dodyadod

وعجب لاندرى وسأله :

ـ وما الذى يمنعك من أن تطلب يدها وتتزوجها ؟

فتنهد الشاب وقال : لانى لا أملك شروى نقير ! ..
والمال الذى ورثته عن أبى كاد ينفد منى ! ..

فقال لاندرى فى عطف :

ـ اذن يجب عليك أن تبحث عن مورد جديد حتى تحقق أمنيتك

ـ سأبحث ولاشك . ! وأرجو أن يوفقنى الله .

ـ وأنا بدورى سأتركك لفترة قصيرة وربما أعود اليك ببضعة فرنكات

ـ على الرحب والسعة . ! وثق أن منزلى هو منزلك منذ هذه اللحظة .. ولكن كن على حذر .. وحاول ألا يراك أحد من رجال (كونسيتى) أو (روبنياك) .

ـ ان ثقتى فى الله لا حد لها .. الى اللقاء

ـ الى اللقاء يا عزيزى .

ولم تمض على انصراف (لاندرى) بضع دقائق حتى سمع (فالفير) طرقا على الباب فصاح :

ـ من هناك .

ـ زائر يا سيدى ..

ـ ادخل .. تفضل بالدخول ..

وفتح الباب .. وظهر به رجل ضخم الجثة طويل القامة .

لم يكن هذا الرجل سوى (دالباران) مبعوث الدوقة دى سورينتيه

وانحنى (دالباران) أمام (فالفير) فى احترام وقال :

ـ أظننى أتحدث الى الكونت أوديت دى فالفير ؟ .

ونهض فالفير لاستقباله وهو يقول :

ـ نعم .. هو بنفسه الذى يحدثك .

فقال الاخر بفرنسية تشوبها اللهجة الاسبانية :

ـ هل يسمح لى سيدى الكونت أن أقدم له شكرى على تحمله مشقة النهوض لاستقبالى .. ورجائى فى أن يتفضل بالجلوس .

ونظر فالفير الى الرجل فى اعجاب لادبه ولهجته الرقيقة وجلس على مقعد قباله

أما دالباران فقد قدم نفسه قائلا :

ـ اننى الدوق كريستوبال دالباران .. الكونت دى كاستيلان .

ـ لى الشرف العظيم يا سيدى .

وجلس دالباران على مقعد مقابل

وأدرك (فالفير) من تصرفات الزائر أنه لم يقصده الا لغرض حسن فلم يشعر بشىء من القلق .

وابتدأ دالباران الحديث فقال :

ـ اننى يا سيدى الكونت فى خدمة أميرة أجنبية .. وهى التى أولتنى شرف القيام بهذه الرسالة اليك .

وانحنى فالفير الى الامام وأصاخ السمع فى لهفة واهتمام .

واستطرد دالباران :

ـ لقد شاءت الظروف السعيدة أن أكون أنا ومولاتى الاميرة فى شارع ليكوك .. لنرى بأعيننا أعمال البطولة والشهامة التى قام بها سيدى الكونت .

وصعد الدم الى وجه فالفير وغمغم فى خجل : عفوا ..

واستطرد دالباران :

ـ لقد رأينا سيدى الكونت وهو يتقدم بنفسه لينقذ رجلا

مسكينا من حبل المشنقة ·· فيفر أمامه رجال كونسيتى ·

وصعد الدم الى وجه الشاب مرة أخرى وابتسم فى ارتباك ظاهر وقال :

ـ انما فعلت ما أملاه على ضميرى ·· وما كنت أحسب أننى أنال رضاء مولاتك السامى ·

وقال دالباران وهو يبتسم ملاطفا :

ـ أن هذا التواضع الجميل منكم ·· يزيد من شأن فعالكم الباهرة ··

ـ شكرا لك ··

ولقد كلفتنى مولاتى الاميرة بالاعراب عن اعجابها العظيم بما قمتم به ··

ـ هذا تنازل كبير منها · وانى أرجو أن تسمح بنقل شكرى العظيم اليها ·· ولو أننى لا أستحق منها كل هذا التقدير ·· لاننى لم أكن بمفردى وقتئذ ولا يسعنى أن أنتحل لنفسى فضل اطلاق سراح الاسير ، لان الشعب عاونني ·· ولولاه لكان نصيبى الاخفاق ·

فقال دالباران مبتسما :

ـ لقد كنت هناك يا سيدى الكونت · ورأيت بعينى رأسى كل شىء كما كانت هناك مولاتى الاميرة ورأت هى الاخرى كل ما حدث وهى تلتمس منكم رجاء واحدا وكلها أمل فى ألا ترفضوه ·

ـ لى الشرف أن أكون محل رجاء مولاتك ·· ولى عظيم السرور فى قبوله ··

ـ هو أن تتنازلوا بقبول هذه الهدية المتواضعة من مولاتى كتذكار لهذا الحادث السعيد ·

ومد يده الى فالفير بصندوق صغير من الابنوس يحتوى على عدد كبير من حجارة نادرة من الماس

الثمين ··

ولم يتمالك فالفير نفسه من أن ينظر الى الحجارة الكريمة بعين الرضا والاعجاب ·· فتناول الصندوق وهو يقول :

ـ لن أجسر على رفض هدية مولاتك العظيمة مادامت تنازلت برجائى فى قبولها ··

وفى هذه اللحظة ذكر (فالفير) موجيت ! · لقد ساق اليه القدر هذا الكنز من المال ·· فلم يعد هناك ما يمنعه من الزواج بها ! ·

واسترسل دالباران قائلا :

ـ ان مولاتى الاميرة تود لو أن يكون فى حاشيتها شاب شجاع مثلكم ·· وانى أؤكد لكم لو انكم قبلتم عرضها وتفضلتم بصداقتها لقوبلتم بما يليق بشجاعتكم ومنزلتكم من التقدير العظيم والاحترام الزائد ··

ثم أضاف دالباران بلهجة لها معناها :

ـ ولا أخفى عنكم أن مثل هذا العمل يعود عليكم بثروة كبيرة وربح طائل ··

ولم يكد (فالفير) يسمع هذه الجملة الاخيرة ·· حتى ازداد الامر أهمية لديه ·· وطفق يبحث عن الكلمات اللائقة للرد على هذا العرض غير المنتظر ·· فحسب دالباران ذلك منه ترددا فلم يترك له الفرصة للاعتراض وقال :

ـ هذا اذا نسيت أن ألفت نظركم الى ما تتمتع به الاميرة من سلطان واسع ·· وسطوة لا حد لها ·· وتكاد تكون الشخص الوحيد فى فرنسا الذى يستطيع أن يشملكم بحمايته فى الظروف الحاضرة ·

ودهش فالفير لقوله ·· وساله :

– اننى مع تقديرى العظيم لها · أحسب أننى لست فى حاجة الى الحماية

فقال دالباران فى لباقة :

– لعل سيدى الكونت قد أنسته شجاعته مالفعلته التى قام بها من نتائج غير محمودة ! ·

– وما هى هذه النتائج ؟ ·

– انها ليست وليدة الحدس والتخمين ·· بل لقد تمخضت بالفعل ·

– انى لا أفهم ما تقول ·· فهل لك أن تفصح ! ·

– لقد أقسم (كونسيتى) أن ينتقم منك ·· وكلف أحد أعوانه ويدعى (ستوكر) أن يأتيه برأسك ووعده بجائزة قدرها ألف جنيه ! ·

ولم يبد على فالفير أى أثر للاضطراب رغم ما كان يعانيه من أزمة نفسية أثر اصطدامه بسماع هذا الخبر ·

وسادت برهة سكون بددها فالفير بقوله :

– لا أكتم عنك أنك جئت فى الوقت المناسب ·· لقد كنت أبحث عن قصر التحق به ولكنى أريد – قبل أن أعرف الشروط اللازمة للالتحاق بخدمة الاميرة – أن تجيبنى عن نقطتين ·

– وما هما ؟

– أولاهما أننى أريد أن أعرف اسم هذه الاميرة التى سألتحق بخدمتها ··

فقال دالباران فى بساطة :

– انها رغبة طبيعية مشروعة يا سيدى الكونت ·· ان هذه الاميرة هى الدوقة دى سورينتيه ابنة عم الملك فيليب الثالث ملك أسبانيا الحالى ·

ولم يكد دالبـــاران ينطق بهذين الاسمين ·· حتى

انتصب واقفا وأدى التحية العسكرية كما لو كانا بالفعل حاضرين أمامه ·· مما دفع فالفير الى أن يحذو حذوه وهو يعجب لهذا الاحترام الغريب الذى يكنه الرجل لاميرته ·

وقال دالباران :

– وما هى النقطة الثانية يا سيدى ؟ ·

– هى أنى أدين بالطاعة وبالاخلاص الى جلالة ملك فرنسا ·· فيجب لكى أنضوى تحت لواء الدوقة دى سورينتيه ألا تكون أغراضها متعارضة مع أغـراض الملك ··· وألا تكون مشروعاتها وآراؤها ماسة به ···

ولما نطق فالفير بهذه الكلمات اضطرب (دالبـاران) قليلا ··· ولكنه تغلب على شعوره وقال :

– انى لم أكن أتوقع مثل هذا الكلام من سيدى الكونت ··· اننا نعلم مدى اخلاصكم لجلالة ملـك فرنسا ·· وليس لمشروعاتنا أية صلة بجلالته · بل على النقيض انها ··

– اذن ما هى شروطكم · ؟

– ستخبركم بها الدوقة بنفسها ··

– لا بأس ··

– ولا يفوتنى بهذه المناسبة أن أؤكد لكم شيئا واحدا · وهو أن مولاتى على جانب عظيم من الثراء · وثقوا ان الشروط التى تعرضها عليكم سوف تفوق كل تصوراتكم ·

ونهض دالباران ··· وتبعه فالفير ··· وقال الاول وهو يبتسم فى لطف :

– اذا ما عزمتم على قبول ما عرضته عليكم · فزوروا الاميرة فى قصرها الواقع بشارع سانت نيكاس ·· بقصر آل سورينتيه ·

فقال فالفير :

ـ اعتبرنى من الان خادمها المطيع

ـ اذن فلاهنئكم · وموعدنا يوم الجمعة فى الساعة السابعة مساء

ـ شكرا لك ·

وأضاف دالباران :

ـ ولا أكتم سيدى الكونت اننى من المعجبين به أشد الاعجاب · وسوف أكون لكم أكبر عون اذا ما جمعت بيننا الايام · وسأقدم لكم مجرد التحاقكم بخدمة الاميرة كل ما بوسعى تقديمه من الارشادات والنصائح الخاصة بالقصر بصفتى أقدم منكم فى خدمتها

ـ شكرا لك ·

ـ الى اللقاء اذن فى يوم الجمعة القادم ·

ـ الى اللقاء يا سيدى ! ·

وبعد انصراف دالباران بفترة وجيزة · عاد (لاندرى ككنار) · فوجد فالفير أشد ما يكون سرورا وغبطة · فقال له :

ـ هل قابلك مبعوث الدوقة سورينتيه ؟

ودهش فالفير وقال :

ـ نعم · ومن أدراك ؟

ـ لقد قابلنى وعرض على نفس ما عرضه عليك ·

ـ ان هذا لغريب حقا ·

ـ وما وجه الغرابة فيه ؟ ·

وتردد فالفير برهة ثم قال :

ـ وجه الغرابة انهم قد يكونون فى حاجة الى معاونتى لما أمتاز به من الجراة والاقدام ·· ولكن ما الذى يدفعهم الى خطب ودك ولم يروا من فعالك شيئا ؟

وابتسم لاندرى وقال :

ـ هذا نفس السؤال الذى طرحته على نفسى ·· ولكنى أدركت انه قد تكون لى منفعة خفية لديهم

واقتنع فالفير · ولم يستفسر زميله عن هذه المنفعة الخفية التى أشار اليها ·

والواقع ان لاندرى لم يصارح فالفير بكل ما دار بينه وبين دالباران اذ ان الاخير أفهمه ان سعادة وهناء (موجيت) يتوقفان على انضمامه الى الدوقة · ولما كان (لاندرى) يحب الفتاة كابنته ويتمنى لها الخير · فانه وافق على الانضمام اليها · لانه كان يكتم عنه سر موجيت كما ذكرنا

وأضاف لاندرى :

ـ الا أننى لم أقبل ما عرضوه على حتى استشيرك لاننى أعتقد ان حياتى أصبحت ملكا لك بعد انقاذى · ولا أريد أن أنهج منهجا لا ترضى عنه ·

وقد ذكر لاندرى الحقيقة · اذ أخبر دالباران بأن انضمامه الى الدوقة يكاد يكون معلقا بموافقة فالفير ·

وقال فالفير :

ـ ان موعدى هو يوم الجمعة القادم · وسأخبرك بما يدور بينى وبينهم · وأوضح لك وجهة نظرى فى هؤلاء القوم ·

وفى الموعد المضروب كان (فالفير) يطرق باب القصر الصغير ثلاث طرقات متفرقة · ففتح له رجل طويل القامة يرتدى ثوبا من المخمل الازرق · وما كاد فالفير ينطق باسمه حتى انحنى الرجل أمامه وقال :

ـ ليتفضل سيدى الكونت بأن يتبعنى ·

وتبع فالفير الرجل الذى قاده الى غرفة فسيحة بهره ما فيها من زينة وجمال ·

وانسحب الرجل وبعد قليل أقبل دالباران وعلى فمه ابتسامة عريضة وقال بعد أن أحنى قامته :

ـ أريد أن يكون لى شرف مرافقتك الى حيث توجد مولاتى الدوقة · انها تنتظر سيدى الكونت فى جناحها الخاص ··

وسار دالباران بجوار فالفير من غرفة الى غرفة ومن بهو الى آخر ·· والكونت فى شبه ذهول مما يحيط به من مظاهر الجاه والثراء التى تزين القصر ·

ولاحت من فالفير التفاتة الى رفيقه فوجده يرمقه بعينيه ويبتسم ·· وكأنه يقول له :

ـ هل صدقت قولى ! · ان أميرتى أغنى من ملك فرنسا الذى تعتز به ··

وتظاهر فالفير بعدم الاكتراث لهذه المظاهر التى تدل على البذخ والترف وقال يحدث نفسه :

ـ لقد التقت فى هذا القصر كل كنوز العالم ! · يا الهى ·· اننى لم أكن أتوقع أن فى الارض من ينعمون بمثل هذا النعيم ! · اننى أكاد أنقم على حياتى وأبرم بمعيشتى ! · ولكن ·· السعادة فى القناعة وراحة الضمير ··

وانتهى بهما المسير الى حجرة صغيرة أثثت ببساطة ·· وأضيئت بشموع حمراء اذا ما احترقت أرسلت فى جو الغرفة رائحة عطرية ذكية ·

وفى صدر المكان ·· جلست امرأة فى مقعد وثير ··

امرأة ·· فى جمال ملائكى ساحر ·· لا يكاد يتجاوز عمرها الثلاثين ربيعا ·· ترتدى ثوبا أبيض بسيطا · وتحلى أصبعها الصغير بخاتم من الذهب له شكل خاص ·

كانت هذه المرأة هى الدوقة دى سورينتيه ·· ونظرت الدوقة الى فالفير بعينيها السوداوين نظرة فاحصة ·· ثم ابتسمت ابتسامة رقيقة سكبت فيها كل ما تملكه من فتنة وجاذبية ·

وتقدم دالباران من الدوقة وانحنى حتى كادت هامته أن تمس الارض وقال فى لهجة رسمية وصوت متشابه النبرات :

ـ لى عظيم الشرف أن أحظى بتقديم الكونت أوديت دى فالفير الى مولاتى الدوقة المبجلة ·

ولما انتهى من تقديمه ·· تراجع بظهره الى الخلف ·· وأغلق الباب فى رفق ··

وبدا على (فالفير) أنه أخذ بجمال السيدة أكثر مما أخذ بأبهة القصر ·

وظل برهة مأخوذا بهذا الجمال لا يحول عينيه عن وجهها · ثم أفاق الى نفسه وانحنى أمامها فى رشاقة ·· ووقف صامتا ينتظر أن تبدأه بالحديث ·

وابتسمت الاميرة ابتسامة أشبه بشروق الشمس ثم تكلمت فى صوت عذب حلو النبرات فقالت :

ـ ان خادمى دالباران قد حدثنى كثيرا فى شأنك ·· وأخبرنى أنك قبلت الانضمام الى حاشيتى ·

واستجمع الكونت شتات شجاعته وقال :

ـ نعم لقد قابلته منذ يومين فى منزلى ·

فقالت اميرة :

ـ ان الشروط التى أعرضها عليك تبدو فى نظرى مقبولة · ولكن هذا لا يمنعك من مناقشتها وابداء رأيك فيها ·

فقال فالفير فى أدب ولباقة :

www.rewity.com dodyado90

ـ يسرنى أن أكون فى خدمة سيدتى ولو كان ذلك دون مقابل ٠

فابتسمت الدوقة ابتسامة الظافر الواثق من نفسه وقالت :

ـ أشكرك على رقتك ولطفك ٠٠ أما هذه الشروط فهى اعطاؤك مبلغا تافها أول الامر يكون أشبه بمقابل لرضاك بالانضمام الى ٠٠ وهو خمسة آلاف من الجنيهات ٠٠

وفوجىء فالفير بضخامة المبلغ ٠٠ ولكنه تظاهر بعدم الاكتراث ٠٠

واستطردت الاميرة :

ـ أما مرتبك الشهرى فسيكون الفين من الجنيهات ٠٠ وهذا المبلغ يحتمل الزيادة كلما قضيت مدة أكثر فى خدمتى وتأكدت من اخلاصك وتفانيك ٠

وسكتت الاميرة قليلا ثم أردفت :

ـ كما أننا اذا كلفناك بعمل من الاعمال التى تقتضى السفر الى الخارج فستكون كل مصروفاتك من خزينتنا ٠٠ وستمنح مبلغا من المال يتناسب مع ما تتكبده من مشقة السفر ٠

وكان فالفير يغلق عينيه ويفتحهما كأنما يحسب نفسه فى حلم ٠ ! و يكاد يصدق أذنيه ٠

وقالت الاميرة :

ـ والان ما رأيك فى هذا ؟

ـ انه أكثر مما كنت أتوقع يا سيدتى ٠

فقالت السيدة فى عظمة طبيعية :

ـ كنت أخشى أن يكون تقديرى لا يتناسب مع ما تمتاز به من شجاعة وما تتحلى به من صفات يندر وجودها بين الرجال ٠

ـ انى أشكرك يا سيدتى ٠

ـ هل أفهم من ذلك أنك قبلت عرضى ؟

ـ بكل تأكيد يا سيدتى ٠

ـ اذن كن على يقين من أن الحظ السعيد قد حالفك ٠٠ اننى أعدك منذ هذه اللحظة بالتكفل بسعادتك وثرائك ٠

ورمقته الاميرة بنظرة فاحصة ٠٠ فوجدته أشبه بتمثال من الاخلاص والتفانى ٠٠ وأنه من هذا النوع من الرجال الذي لا ينسى الصنيع ويقدر الجميل حق قدره ٠

ولم يبد على الاميرة أنها سرت بهذه النتيجة ٠٠ بل كانت تتكلم بلهجة ثابتة متزنة كما لو كانت قد ألفت مثل هذا الاخلاص أو تلك الطاعة ٠

وبعد قليل قالت وهى تبتسم ابتسامة عذبة :

ـ لقد أحاطنى دالباران علما بالتحفظ الذى اشترطته لتلتحق بخدمتى ٠

ـ وما هو يا سيدتى ؟

ـ الخاص بجلالة ملك فرنسا ٠

وتركت الجملة معلقة ولم تكملها الا بابتسامة حار فالفير فى تفهم كنهها ٠ فقال فى جرأة :

ـ الواقع يا سيدتى اننى لا أستطيع أن أفكر فى يوم من الايام فى خيانة ملكى ٠

وظل وجه الاميرة مشرقا بالابتسام وقالت فى لهجة مازحة :

ـ أى أنك اذا خيرت بين تلك الثروة الطائلة التى أعرضها عليك ٠ وبين العمل ضد مليكك ٠٠ لتخليت عن هذه الثروة ٠

ـ بكل تأكيد ياسيدتى ٠ اننى لا أتخلى عنها فقط ٠٠ بل أفضل أن أعيش طيلة حياتى فقيرا لا أجد ماأسدبه

رمقى على أن تسول لى نفسى خيانة جلالة الملك ·· بل اننى أقاتل بكل ما ملك من قوة كل فرد أشك فى نواياه تجاه ملك فرنسا ·

– هذا جميل منك ··

فقال فالفير يحدث نفسه :

– انها تريد اذن استخدامى ضد الملك ! يا لسوء حظى ! فى المرة الوحيدة التى تقبل عليك الدنيا ·· تضطر الى رفض ثروتك بنفسك يا لسوء الحظ ··

واخيرا قالت الاميرة ولم تفارق الابتسامة الحلوة شفتيها الفاتنتين :

– ان هذا مما يزيد فى تقديرى لك واكبارى لنبلك ·· اننى أتمنى أن أحظى منك بمثل هذا الاخلاص الذى تكنه لمليكك ·

وغمرت الطمأنينة قلب فالفير وقال :

– ستظهر لك الايام يا سيدتى مبلغ اخلاصى وتفانى ·

– واعلم جيدا أن كلما أملك من قوة سيكون فى خدمة الملك · واننى ما جئت الى فرنسا الا لكى أعمل لمصلحة ملك فرنسا ·

ثم نهضت ·· واتجهت الى منضدة صغيرة ·· وتناولت قلما وورقة وكتبت بضع كلمات ·· ثم ضربت على لوح من الفضة بمطرقة من الذهب ·· فظهر دالباران بالباب ·

فقالت الاميرة لفالفير :

– منذ هذه اللحظة سوف يدين لك كل من فى القصر بالطاعة ·· فأنت رئيسهم الاعلى ·· عدا دالباران فانه يتلقى أوامره منى مباشرة ·· وانى آمل أن يتآلف قلباكما وتتوثق الصلة بينكما ·

– هذا مما لا شك فيه ··

– وستكون اقامتك فى جناح خاص من هذا القصر ·

– انى عاجز عن تقدير كل هذا الفضل يا سيدتى ·

ثم أضاف فى لهفة :

– ومتى أستطيع أن أتسلم مهام عملى ؟

– بعد غد ·· أى يوم الاحد ·· لانه يوم مفضل عند الله ·

ثم التفتت الى دالباران وقالت :

– دالباران ·· رافق السيد فالفير الى أمين خزائنى · ومره بصرف المبلغ المدون فى هذا الامر ·· وبعد أن يتسلمه ·· رافقه الى الجناح الذى خصصناه لاقامته · واعمل على توفير كل أسباب الراحة له ·

وانحنى دالباران وقال : حسنا يامولاتى ··

– والان الى اللقاء ··

فانحنى الرجلان وانصرفا ··

ولما وصل فالفير الى أمين الخزائن ·· سلمه هذا الاخير كيسا ثقيلا من الجلد وهو يقول :

– اليك يا سيدى سبعة آلاف من الجنيهات الذهبية ·· وهى خمسة آلاف مقابل الاتفاق ·· والفان دفعت مقدما كمرتب شهر لكم ··

واحتضن فالفير الكيس الجلدى وخرج من القصر وهو يقفز فى مشيته من فرط سروره !

ولما وصل الى داره ·· قابله (لاندرى) فقص عليه ما حدث ·· ووعده بأن يعمل على الحاقه بخدمة الدوقة الكريمة ··

فسأله (لاندرى) :

– وهل علمت طبيعة المهمة التى أسندت اليك ··

ـ اننى لم أعرفها بعد ·· ولكنها أكدت لى أنها كرست كل قوتها لشد أزر ملك فرنسا ·

ـ هل معنى ذلك أن مهمتك سياسية ؟

ـ اننى لا أعلم على وجه التدقيق !

ثم قال وكأنه تذكر شيئا :

ـ انى أعرف رجلا هولى بمثابة الاب ·· أحترمه وأكن له كل حب واحترام ·· سوف أسأله وأستشيره قبل أن اقطع برأى نهائى فى الانضمام الى هذه الدوقة ··

ـ ومن هو هذا الرجل ؟

ـ انه الفارس باردليان ··

ـ انى أعرفه ·· فهو شجاع باسل ·· وعلى اتصال وثيق بكل الشخصيات البارزة ·· ولا شك أنه سيخلص لك النصح ·

ـ لقد رأيته منذ بضعة أيام فى باريس هو وابنه جيهان ·· ولكنى لا أعلم أين يقيم ·

ـ اننى أعرف محل اقامته ·

فهتف فالفير : حقا ·· !

ـ نعم ·· انه يقيم فى نزل (باس بارتو) ·

ـ اذن هيا بنا اليه ·

وانطلق الرجلان الى النزل الذى يقيم فيه باردليان ·· فقابلتهما امرأة فى العقد الثالث من عمرها · فلما سألها فالفير عن الفارس أجابت :

ـ لقد سافر صباح اليوم برفقة ابنه ··

ـ الى أين ؟

ـ لم يذكرا لى وجهة سفرهما ··

ـ ألم يخبرك أحدهما بموعد عودتهما ؟

وتنهدت المرأة وقالت :

ـ من يعلم ؟ ·· ربما عاد باردليان بعد ساعات قلائل · وربما بعد عام !

وانصرف لاندرى وفالفير ·· وهذا يحدث نفسه قائلا :

ـ يالسوء حظى ·· ان الشخص الوحيد الذى أركن الى رأيه فى الحياة لا أعثر عليه ·· ولكن ما الذى يضطرنى الى استشارته ؟ ألا زلت مترددا فى قبول هذا المنصب العظيم · أم متزددا فى ولوج السبيل الوحيد للزواج من موجيت ؟ اننى لن أستشير أحدا · لقد عزمت نهائيا على قبول ما عرضته على الاميرة مهما كانت نتائجه ··

وصاح لاندرى : فيم تفكر ياسيدى الكونت ؟

وتنبه فالفير فقال :

ـ اننى لا أفكر فى شىء ·· اذهب الان الى المنزل وجهز لنا طعاما شهيا ·

ـ ألا ترافقنى ؟

ـ كلا ·· سأذهب لبعض المهام ·

وتركه فالفير ·· واتجه (لاندرى) الى المنزل ليعد الطعام الذى أمره به الكونت ·

أما فالفير ·· فانه انطلق للبحث عن موجيت فى الطرقات التى اعتادت أن تبيع فيها زهورها ·· وكان يحدث نفسه قائلا :

ـ اننى لم أقبل هذه المهمة التى عرضتها على الدوقة الا من أجلك يا موجيت ! ·· نعم من أجلك أنت يا زهرة السين الناضرة !

اننى لم أبح لك بحبى · وقد كنت أكتفى بالنظر اليك خلسة وأنا أبتاع منك زهورك ·

من يدرينى أن قلبك الحنون لا يزال خاليا · ! ومن يدرينى أنه يزال فى صدرك متسع لحبى ! وأنا ذلك

الرجل الذى لايملك فى الحياة سوى سيفه المجرد ..
لقد رافقتك الى دارك وحسبت أنها الفرصة التى كنت أرتجيها للافصاح عما يكنه قلبى لك .. ولكن .. ارتج على .. وأصبت بعى .

وفيما هو مسترسل فى تأملاته ومناجاته ، طرق سمعه صوت موجيت وهى تنادى على زهورها . فاتجه نحو مصدر الصوت .. واذا به يراها تحتضن زهورها وهى تتهادى فى مشيتها كالملاك الحالم !

وتقدم فالفير .. ثم تقدم .. حتى أصبح على قيد خطوتين منها .

والتقت نظراتهما .. فارتبكت الفتاة وعراها الخجل وكم كانت سعادة فالفير حين ابتدرته الفتاة بالحديث وقالت فى صوت متهدج يفيض عذوبة :

ـ لقد كنت مضطربة فى ذلك اليوم الذى رافقتنى فيه الى منزلى ولم تسعفنى الكلمات لاوفيك حقك من الشكر يا سيدى .

ولم يصدق فالفير أذنيه وصاح :

ـ ماذا تقولين ! هل فكرت فى حقا ! ؟

وأدركت الفتاة ما يعانيه من حب .. ويقاسيه من أسى .. فشعرت أن قلبها .. رغما عنها .. ينبض هو الآخر بنبضات سريعة متتالية كأنه يعترف لذلك القلب المعذب بحبه كذلك . وقالت :

ـ هذا لا شك فيه ! ان ما أسديته الى يجعلنى أذكرك أمدا طويلا

ـ شكرا لك يا آنستى .. اننى لم أفعل شيئا يستحق الذكر ..

ـ انك شديد التواضع يا سيدى .

وظلا برهة يتجاذبان أطراف الحديث ثم قالت موجيت : أرجو أن تسمح لى بالانصراف يا سيدى .. اننى ذاهبة الى قصر الدوقة لابيعها بعض الزهور .

ـ هل أستطيع أن أعرف اسم هذه الدوقة ؟

ـ نعم ! .. لقد كان من حسن حظى أن أعجبت الدوقة دى سورينتيه بزهورى فأمرتنى أن أحضر لها كل يوم باقة منها .

فهتف فالفير : الدوقة دى سورينتيه ؟

ـ نعم .. هل تعرفها ؟

فقال فى شىء من الفخر : اننى كبير حاشيتها .

فنظرت اليه الفتاة فى احترام وقالت :

ـ انه كرم منك أن تتبسط معى فى الحديث يا سيدى .. لقد وعدتنى الدوقة باعطائى جنيها عن كل باقة .. وعشرة جنيهات أجرا لتنسيقى ..

ـ ان لك ذوقا جميلا فى التنسيق .. وهذا فى الواقع أقل مما هو جدير بك .

قالت الفتاة : والان هل تسمح لى بالانصراف ..

فقال فالفير فى نفسه :

ـ يا الهى يجب ألا أدع هذه الفرصة تمر دون أن أصارحها بحبى .

صاح : ألا تسمحين لى ببضع دقائق من وقتك ؟

ـ كنت أود ذلك . ولكنى كما أخبرتك ، فى عجلة من أمرى ولا أكاد أجد متسعا من الوقت الا يوم الاحد حيث أذهب الى قرية قريبة أقضى فيها بعض الوقت بعيدا عن ضجة المدينة وضوضائها .

فقال والغيرة تأكل قلبه :

ـ آه .. انك تذهبين الى الريف .. وتقضين الوقت

مع بعض اصدقاء ٠٠ أليس كذلك ؟

وقال يحدث نفسه :

ـ يا الهى ! كيف أبدأ معها الحديث ٠٠ سأصارحها الان ٠

ولكنه رغم ذلك لم يصارحها ولم تجد (موجيت) بدا من السير ٠٠ فسار بجوارها جنبا لجنب ٠٠ ولشد ماكانت دهشته حينما انتهى الشارع الطويل فى أقل من لمح البصر كما خيل اليه ٠

وأخيرا ٠٠ اعترض طريقها ٠٠ فاضطرت الى الوقوف . وقال لها :

ـ رجاء واحد ! دعينى التمس منك شيئا واحدا ٠

وكانت الفتاةقد ابتدأت تضيق بالحافه فقالت فى ملل :

ـ أضرع اليك يا سيدى أن تدعنى أمر ٠

ـ وأنا أضرع اليك أن تتيحى لى فرصة الحديث معك !

واقسم لك أننى لن أستنفد من وقتك الا بضع دقائق ٠

ولما أنست منه تلك الرغبة الملحة فى محادثتها ٠٠ قالت له بجفاء :

ـ تكلم اذن ٠٠ انى مصغية اليك ٠

وشعر فالفير بشىء من خيبة الامل ! بعد أن لاحظفى لهجتها ذلك الجفاء الذى حسبه صدا واعراضا ٠٠ ولكنه قال :

ـ هل تودين أن تكونى زوجتى ؟

وفوجئت الفتاة بهذا القول ٠٠ فظلتبرهة تحملق اليه بعينيها الواسعتين وهى لا تكاد تصدق أذنيها ٠٠ ثم قالت فى سذاجة :

ـ ماذا تقول يا سيدى؟

وشعر بشىء من الارتياح لهذا الجواب ٠٠ ان أمكن أن

يسمى ذلك جوابا ٠٠ فقال فى صوت حنون :

ـ اننى أحبك يا موجيت منذ اللحظة التى وقع فيها بصرى عليك وأنت تبيعين زهورك الجميلة ٠٠ ولكنك لم تلاحظى شعورى ٠٠ وكنت ترينى كل يوم فتحسبيننى عاشق زهور وما أنا الا عاشق محب ٠

ان الزهور التى اشتريتها منك ٠٠ أحتفظ بها حتى اذا ما جفت ٠٠ وضعتها بعناية فى صندوق من الفضة نقشت عليه اسمك ٠

منذ ذلك اليوم الذى رأيتك فيه قد أصبحت لى كل شىء ٠٠ ولكنى لم أجد فى نفسى الجرأة على مصارحتك اذ كنت فقيرا معدما ! وكان أملى أن أراك سعيدة ٠٠ ثرية كنساء الاشراف ٠٠ فصبرت حتى أراد الله أن يمن على بالثروة ٠ فعينت فىخدمة الدوقة بمرتب كبير ٠٠ وهانذا أصبح أهلا لاسعادك ٠٠

فهل لك أن تقبلىما عرضته عليك ٠٠ وتصبحى زوجتى فأضحى أسعد مخلوق فى الوجود ؟

كانت موجيت تنصت اليه فى اهتمام ٠٠ وهى لا تكاد تصدق أذنيها !

فلما سكت ٠٠ لبثت برهة لا تتكلم ٠ ثم انفجرت فجأة وقد انخرطت فى البكاء !

وروع فالفير لبكائها وصاح :

ـ ما الذى يبكيك بحق السماء ؟

فقالت فى صوت متهدج حنون :

ـ لا شىء ٠٠ لا شىء ٠ اننى لا أبكى ٠ ان هذه الدموع تذيب حزنى وتذهب ببقايا شقوتى ٠

ونظر اليها فالفير حائرا وقال :

ـ تكلمى ٠٠ افصحى بربك ٠٠

www.dvd4arab.com

– ماذا أقول ؟ ·· انها دموع السعادة يا عزيزى ·

وقفز فالفير من مكانه وهتف :

– ماذا تقولين بحق السماء ! ·· أنت تبادلينني حبا بحب! ·· ما أسعدنى

فقالت فى صراحة وبصوت خافت :

– كلا ·· اننى لا أحبك ·

ودهش فالفير وترنح من هول الصدمة ونطقت أسارير وجهه بالالم الذى عصف بقلبه ·

أما هى ·· فلم تلق بالا اليه بل انحدرت من مقلتيها دمعتان · وقالت بلهجة حالمة وقد شردت نظراتها :

– ان الرجال الذين قابلتهم لم يألوا جهدا فى سبيل التعبير عن حبهم لى واهانتهم لشخصى الضعيف ·· لا لسبب سوى انى فقيرة شريدة ·· نبذنى الجميع · بل لم يخجلوا من تصريحهم لى بان اكون عشيقتهم ·· ولم يفكر أحدهم فى ان تلك الفتاة المسكينة المغمورة قد تكون شريفة وان لم تظفر باحترام أحد سوى احترامها لنفسها ·

وظل فالفير جامدا فى مكانه ينصت لكلماتها التى تقطر حزنا وألما ونسى جراح قلبه ·· ونظر اليه فوجدها قد كفت عن البكاء ووقفت لحظة تفكر وهى حالمة ·

ثم مالبثت أن انثنت اليه باسمة واقتربت منه ووضعت يده الكبيرة بين يديها الصغيرتين ·· ولبثت كذلك لحظة ثم قالت :

– هل لى أن أطلب عفوك بكل خضوع يامسيو دى فالفير

– ياالهى ·· ولماذا ؟

– لانى حسبتك واحدا منهم · وظننت انك ستخاطبنى بتلك اللهجة التى يخاطبنى بها هؤلاء الرجـــال ··

لذلك رجوت عفوك لانى أسأت بك الظن

– ولكنك لا تعرفيننى ·· فربما عاملتك كما عاملك الاخرون ·

– كلا ياسيدى فانك لم تشك فى ! كما أرى انك أرق رجل التقيت به ·· فأنت جدير بأن تحب ··

فقال بمرارة :

– ولكنك لا تحبيننى ·· فدعينى على الاقل آمل أن تحملى اسمى يوم تزيد معرفتك بى

فهزت رأسها الجميل بدلال وقالت :

– ولكنى أعرفك الان ·· وحتى لو كنت أحبك لاخبرتك انى لا أستطيع أن اكون زوجتك فى الوقت الحاضر !

– ولم ·· ؟

– لان الكونت دى فالفير لا يليق به أن يتزوج بامرأة وضيعة لا شأن لها مثلى ! ببائعة زهور فقيرة تجوب الطرقات لتسعى وراء رزقها !· نعم ياسيدى ·· لا يليق برجل فى منزلتك أن يضع فى عروة سترته زهرة من السوسن نبذها الناس وأصبحت قذى فى أعينهم !·

فقال فالفير : الست امرأة شريفة ؟

– ولكن هذا لا يكفى لان أكون زوجة لمثلك ·· !

– ولكنى لا أقيم وزنا لهذه الاعتبارات !· اننى انا أيضا كنت مثلك فقيرا معدما لا أملك شيئا حتى التحقت بخدمة الدوقة دى سورينتيه ·· انى أعتقد أن ثروة الانسان فى الحياة هى ما يمتاز به من نبل وشرف وجميل فضائل ·· وبما أنك تتحلين بكل هذا ·· فنحن على قدم واحدة من المساواة ··

وتأثرت موجيت من اللهجة الصادقة التى كان يتكلم بها ·· فقالت تحدث نفسها :

ـ انه يستحق حبى !. انه جدير بأن افنى ذاتى فى ذاته وأضحى بكل ثمين لدى من أجله .

ولكنى لن اتزوجه ، لا يمكننى أن اتزوجه . ولا يجب على أن أقدم على هذا العمل .

ثم أضافت بصوت مرتفع :

ـ حاول أن تنسانى .. نعم .. حاول أن تنسى حبى ياسيدى . اننى أعرف ماسوف تلاقيه من عذاب . ولكننى لن اكون اسعد حظا منك أنا الاخرى . انس غرامى الذى لا طائل من ورائه ..

فصاح فى عجب : ولم ؟.

ـ لانى لست حرة فى أن أختار لقلبى من يهواه !.

وبهت فالفير وقال :

ـ ـ لست حرة ؟ . هل أفهم من ذلك أنك متزوجة .. ياالهى .

وشحب لون الفتاة .. وارتجفت كريشة فى مهب الريح وقالت :

ـ كلا . . كلا . . لا يتسرب الى ذهنك هذا الظن بحق السماء ..

فقال الشاب :

ـ اذن ماالذى يمنعك من الزواج ؟

فقالت موجيت متلعثمة : اننى . .

وسكتت

ـ انك ماذا ؟ افصحى . .

ـ كلا .. لا أستطيع أن أتكلم .

ـ هل تحبين شخصا آخر .. ؟

فصاحت :

ـ كلا وربى . . اننى لا أحب مخلوقا . ولم أحب فى

حياتى انسانا . اتركنى بربك ولا تعذبنى . . ألا يكفى أن أقسم لك اننى لست متزوجة واننى لا أحب ولم أحب أحدا

فقال فالفير فى يأس :

ـ ان هذا يزيد من حيرتى ويضاعف من أسای ..

ـ انى أعرف ذلك ويكاد ينفطر له قلبى . انك أول انسان استطاع أن ينفذ الى قلبى .. ولكنه طرق ذلك القلب فى الوقت الذى لا يقوى فيه على تنفيذ مايخالجه من أحساسات ومشاعر . ولكنى اعدك بشرفى أننى لن أكون لاحد سواك . . ولن أتزوج الا بك اذا ما استطعت فى أحد الايام الزواج .

واغرورقت عيناها بالدموع .. ثم صافحته وانصرفت مسرعة . وهو لا يدرى ان كان سعيدا أو شقيا .

ووقف فالفير برهة مشدوها . . ثم التفت خلفه فراى الفتاة تسرع فى خطاها الى قصر الدوقة دى سورينتيه

ووجد الكونت نفسه دون أن يشعر . يتبع الفتاة عن بعد .. حتى اذا ما وصلت الى قصر الدوقة ظـــل فى انتظارها بالخارج . فلما خرجت عاود تتبعه .

وسارت موجيت فى نفس الطريق الذى صحبها فيه يوم أن أنقذ لاندرى من يد رجال (كونسينى) . ثم دخلت منزلا صغيرا أنيق المنظر وأغلقت الباب خلفها .

وتردد فالفير قليلا . . ثم صمم على استراق السمع ومعرفة ما يدور فى هذا المنزل الصغير لعله يكشف سرها أو ليقف على حقيقتها .

وسمع الكونت صوتا يقول :

ـ لقد تغيبت الليلة ياموجيت . . حتى ان لويزيت ظلت تنتظرك قلقة وغلبها النعاس

وعرف فالفير انه صوت امرأة عجوز .. يبدو فى

نبراتها العطف والشفقة ..

وتنهدت موجيت وقالت :

ـ لقد أسرعت قدر طاقتى فى الاياب !. هل نامت لويزيت من وقت طويل ؟.

فقالت العجوز :

ـ كلا ..

وفى هذه اللحظة سمع الشاب صوت طفلة تقول :

ـ اننى لست نائمة !. هل جاءت والدتى ؟

وانتفض فالفير وأرهف السمع وهو يقول فى نفسه :

ـ والدتها ؟. يالهى !.

وقالت الطفلة :

ـ أماه !. لم تأخرت هذه الليلة . لقد انتظرتك طويلا

وقالت موجيت فى عطف وتأثر :

ـ انى لم أتأخر ياعزيزتى .

وصعق فالفير وقال يحدث نفسه كمن به مس :

ـ ان لها ابنة ! هذا ما توقعته وما أنكرته على !. لا بد أنها متزوجة .. ذلك اذا أحسنت بها الظن . . أو عاشقة أثيمة .. ولكنى لا أعتقد أن هذا الطهر الذى يشع من عينيها . . وذلك العفاف المسطور فى قسمات وجهها ينطوى على خسة وضعة نفس !.

يالهى !. لقد كذبت على اذن حينما أقسمت أنها غير متزوجة ..

يالى من ساذج أبله لايدرى شيئا من كيد النساء وخبثهن !.

وأطرق برأسه الى الارض .. وغادر المنزل ذليلا كسير الخاطر مكلوم القلب

ولبث فالفير ممعنا فى طريقه حتى قادته قدماه فى غير وعى الى احدى الحانات .. فدخل وراح يفرغ من خمرها

فى جوفه ما أطاح برشده وصوابه !. ثم اتجه صوب منزله وهو يجر نفسه جرا . . فوجد (لاندرى) يغط فى نوم عميق .

ولم يشأ ان يوقظه . . بل القى بنفسه على مقعد كبير .. واستسلم للنوم دون أن يخلع ملابسه .

وفى صباح اليوم التالى . . حاول لاندرى أن يستخلص من صديقه شيئا عن السر فى عودته متأخرا فى الليلة السابقة ، ثملا تفوح الخمر من فيه .. ولكن فالفير ظل صامتا لا يتكلم

وتعمد الكونت أن يتجنب الاماكن التى تبيع فيها موجيت زهورها . . حتى حان الوقت الذى حددته الدوقة لتسلم مهام عمله والاقامة فى القصر .. فغادر منزله وظل فى القصر وحيدا لا يأنس لنديم الا الكأس !.

الفصل الرابع

غرام موجيت

أما موجيت . . أو زهرة السوسن الحسناء .. فانها بعد أن نامت الطفلة لويز ـ أفضت الى العجوز بما صادفها فى يومها .

وكانت تلك العجوز امرأة ريفية طيبة القلب حسنة المعشر . . تقوم على خدمة موجيت وادارة منزلها والاعتناء بلويز فى نظير أجر زهيد وكانت الفتاة بدورها تجلها وتعاملها كامها

جلست موجيت متكئة على احدى الارائك . . مستغرقة الفكر شاردة الخيال . وعلى فمها طيف ابتسامة عذبة رقيقة .. تجيش فى صدرها تلك الاحساسات والمشاعر الملتهبة التى خلفتها مقابلتها مع فالفير . . وتحاول عبثا

أن تكبتها ٠٠ وتخفف عنها بزفراتها وتنهداتها .
ولاحظت العجوز ما تعانيه موجيت ٠٠ فقالت فى لهجة ذات مغزى :
ـ انك لم تخبرينى ياموجيت بسر تغيبك هذه الليلة ٠
واستفاقت موجيت وصعد الدم الى وجهها وقالت فى ارتباك :
ـ اننى لم أتعود الكذب يا أماه ٠٠ فآثرت أن ألجأ الى السكوت
ـ وهل فى الامر ما يدعو الى كتمانه عنى ؟
فقالت موجيت وهى تفرك يديها وتبتسم فى دلال وخجل زاد من روعة جمالها :
ـ كلا ٠٠ ولكن ٠٠
وضحكت العجوز وقالت :
ـ قد أكون ريفية ساذجة عجوزا ٠٠ ولكنى كنت فى يوم من الايام فتاة فى ميعة صباى ٠
واغرقت موجيت فى الضحك ودفعت رأسها الصغير الى الخلف فى رشاقة وقالت :
ـ انى لم أتهمك قط بالغباوة ياعزيزتى !٠٠ انى أعرف ما تتمتعين به من ذكاء ٠٠
وسكتت العجوز وقالت وهى تتنهد :
ـ اه !٠٠ انك تذكرينتى بأحلام الشباب !٠٠ لقد مرت الايام سراعا ياموجيت ٠٠ ولم يبق لى منها سوى الذكريات !٠٠
ثم اردفت :
ـ دعينى أتعزى بك !٠٠ وأتذوق من سعادتك !٠٠ خبرينى ياموجيت ٠٠ اليس هو الحب ؟
ولم تجد الفتاة مفرا من الاعتراف فقالت والخجل باد

عليها :
ـ نعم ٠٠ انه كونت ٠٠
فهتفت العجوز : كونت !٠٠ ياالله السماء !٠٠ وماذا قال لك ؟٠٠ خبرينى بكل شىء ٠٠
ـ لقد طلب الى الزواج ؟٠
ـ وبماذا أجبت ٠٠
ـ رفضت ٠٠
فصرخت العجوز : رفضت ؟٠٠ ولم ٠٠ هل هو عجوز ؟ ٠٠
ـ كلا ٠ انه لازال شابا لا يتجاوز الرابعة والعشرين ٠٠
ـ هل هو جميل الطلعة !٠٠
ـ قد يكون كذلك ٠٠
ـ لا شك انه على جانب كبير من الثراء ؟٠٠
ـ كلا ٠٠ ولكنه يشغل وظيفة محترمة عند الدوقة دى سورينتيه التى حدثتك عنها ٠٠
وفكرت العجوز قليلا ثم قالت :
ـ لعلك تعرفين من هو أغنى منه وأكثر مالا ٠٠ والا فما سبب رفضك ؟ ٠٠
ـ اننى أبعد الناس عن المادية ٠٠ ولكنى ٠٠
وسكتت قليلا ٠٠ ثم ابتسمت وأغمضت عينيها واستطردت :
ـ ولكنى ٠٠ لا أحبه ٠٠
ثم أضافت وهى شبه حالمة :
ـ ومع ذلك ٠٠ فاننى لا أكاد أجد من هو أهل للحب مثل هذا الكونت الشاب ٠ انه يدعى فالفير ٠٠ أوديت دى فالفير ٠

فقالت العجوز : انه اسم جميل ..

– اليس كذلك ؟ لقد قلت أيضا انه اسم جميل .

وقالت العجوز فى لهجة جدية :

– وماالذى يمنعك من زواجه ما دمت تجدينه اهلا لحبك ياموجيت .. ؟

فأجابت الفتاة فى صراحة :

– لو تاتى لى أن أحب فى يوم من الايام .. فلن اهب قلبى لسواه ..

– لا بد انه وقع فى قلبك موقعا حسنا ..

– انه دمث الخلق . لين الطباع فى ظاهره . ولكنه أشجع من رأيت لقد اخفيت عنك حادثا شاهدته بعينى رأسى كان فيه مثال البطولة والشهامة ..

وطفقت تقص على الريفية حادث شارع (لا كوك) وكيف انقذ لاندرى من حبل المشنقة ..

ولما فرغت من قصتها قالت العجوز :

– يخيل الى انه بطل من الابطال الذين نسمع عنهم فى القصص الخرافية ..

ثم هزت رأسها ببطء وقالت :

– انى لازلت أعجب لسر رفضك الزواج من هذا الشاب الباسل ..

فابتسمت الفتاة وقالت :

– سأحبه حينما يطرق الحب قلبى

فقالت العجوز فى خبث :

– الم يطرقه بعد ؟. انى على يقين من أن حبه قد استقر فى قلبك واستوطنه .

وتشبثت موجيت بأطراف شجاعتها وقالت :

– لن اكتم عنك شيئا . انني أحبه . نعم .. احببته

منذ أن رأيته فى هذا الموقف الذى سردته لك الان . وزاد حبه فى قلبى حينما علمت أنه ليس رجلا كسائر الرجال .. فهو على عظمته وانحداره من أصل عريق . ينظر الى نظرة شريفة طاهرة . ويريدنى زوجة تحمل اسمه . لا خليلة يدنسها ويترفع عن الزواج بها .

وسكتت برهة ثم أردفت فى تأثر :

– ولكن الزواج منه سيشقينى ..

– يشقيك ؟.

– نعم ..

– لم ؟!

– لقد أخبرته أننى لست حرة فى مشاعرى واحساساتى . فحسب أننى متزوجة أو عاشقة .. لانى لم أخبره بتلك الطفلة المسكينة التى أرى فى سعادتها كل أمل فى الحياة .

وقالت العجوز فى شىء من الضيق :

– آه !. لقد فهمت .. فانت تريدين أن تشقى نفسك .. وتدوسى قلبك بقدميك . وتحطمى عواطفك من أجل لويز .

– نعم !. اننى أضحى بكل شىء فى سبيل اسعادها .

– ومن ادراك أنها ستشقى ؟

– اننى وان كنت على يقين من حبه لى ومن نبل خلقه وعريق منبته .. فلست واثقة من حبه ورعايته لها . ومعاملته اياها معاملة أبويه لا تشعرها بما يكون من الفارق بعد زواجى منه !..

وهنا هتف صوت ملائكى صغير :

– أماه من أدراك اننى أكره هذا الـ (فالفير) ؟ ..

www.rewity.com
goodyadodo

وفوجئت موجيت بسماع صوت لويز وقالت ضاحكة :

ـ الا زلت مستيقظة أيتها الشيطانة الصغيرة ؟

وقفزت الطفلة من فراشها .. ثم جلست على حجر موجيت وقالت :

ـ اننى سمعت كل حديثك ياوالدتى المحبوبة ؟. لم لا تتزوجين هذا الكونت العظيم .! اننى أشعر نحوه بالحب و ..

فهتفت موجيت دهشة : هل تعرفينه .؟

ـ كلا ..

ـ اذن كيف تشعرين نحوه بالحب وأنت لم تريه أو تعرفى عنه شيئا

ـ لقد سمعتك تقولين انه يحبك .. وأنا أحب من يحب والدتى العزيزة .. ولا شك أن من يحبك يحبنى .

وانتهزت العجوز هذه الفرصة وقالت :

ـ ان صوت الاطفال الابرياء من صوت الله !. انه سبحانه ساق هذه الكلمات على لسان الطفلة لكى يمنعك من ارتكاب حماقة قد تقضى على سعادتك

وسكتت موجيت كأنها لا تجد ردا على كلمات ابنتها وتعليق العجوز . . ثم قالت :

ـ اننى لا أريد أن تشب هذه الفتاة وتقاسى فى الحياة ماقاسيت لقد نشأت وأنا محرومة من حنان الام وعطف الاب . . لا أعرف معنى للشفقة . . فاليت على نفسى أن اسعد هذه المخلوقة كلما وجدت لاسعادها سبيلا . ولكنى رغم ذلك سأفكر فى الامر على ضوء هذه الاراء التى سطعت أمامى الان .

فامتلا قلب العجوز راحة واطمئنانا .. وارتسمت على شفتيها ابتسامة الرضا والسرور .

وداعب النعاس جفون الطفلة كأنها لم تستيقظ الا لترشد أمها الى الصواب . . فحملتها العجوز الى فراشها ثم عادت لتستأنف حديثها مع موجيت فقالت فى صوت خافت حتى لا تسمعها الصغيرة :

ـ اننى لم أر فى حياتى فتاة فى ريعان شبابها تضحى بسعادتها من أجل طفلة لا تمت اليها بصلة .

ـ ولكنها عندى أعز مما لو كانت ابنتى وفلذة كبدى .

ـ انى أعرف ذلك تمام المعرفة .. ولكن غاب عنك أن هذه الطفلة قد تجد أبويها فى يوم من الايام وتستعيد هناءها . وتظلين أنت فى شقوتك . تذهب نفسك على حبك المفقود حسرات .

ـ طالما فكرت فى ذلك . . وانى لاتمنى أن أعثر على أبوى هذه الفتاة ولكنى أخشى . . بل وأكره اليوم الذى يحرموننى فيه منها .. لقد لبثت محتفظة بملابسها التى كانت ترتديها وهى طفلة فى الحول الاول من عمرها .. وبتاج بديع مطرز على قبعتها الصغيرة . . لا شك أنها من اسرة عريقة لان هذا التاج يشير الى أن أباها كان مركيزا . .

ـ لقد اتفقنا .. فما رأيك الان ..

ـ لن أعده بالزواج حتى أتأكد من عطفه على لويز .

ـ هذا جميل !. اننى واثقة من أن مثل هذا الشخص النبيل سوف يفوق حبه وعطفه على لويز .. حبك انت .

فقالت موجيت وهى تتثاءب وقد داعب النوم جفونها :

ـ وانا واثقة أيضا من ذلك . .

أما فالفير . . فقد غادر الدار كما رأينا قبل أن ينصت الى بقية مادار بينهما من حديث ! وحاول أن يتجنب الاماكن التى تبيع فيها زهورها فاعتقدت المسكينة أنه

سلاها · وانها نجحت فى أن تجعله ينسى حبها بمثل تلك السرعة والسهولة ·· ولم تعلم انه كان يتعذب من أجلها ·· ويقاسى الوانا من الشقاء !·

وفى أحد الايام ·· بينما كان الكونت خارجا من قصر الدوقة دى سوررينتيه ·· الفى نفسه أمام موجيت وجها لوجه وهى تحتضن بذراعيها باقة كبيرة من الزهور ·

وما كاد يقع بصر الفتاة عليه حتى اضطربت اضطرابا ظاهرا وهتفت رغما عنها :

– ياالهى !· انه هو ··

وتكلم فالفير وكأنه محموم يهذى :

– نعم ·· انه هو ·· انه أنا ·· هذا كرم كبير منك أن تذكرينى الى الان !· ولا سيما اننى تغيرت تغيرا محسوسا ·· انك لاتعرفيننى ولا تفهميننى ياآنستى ·· لقد اقتفيت أثرك فى المرة الاخيرة وبلغت بى الجراة والقحة أننى لبثت استرق السمع وراء الباب !· ولكن الحب أعمى يهوى الى الرذائل كما يهوى الى الفضائل ·· لقد سمعت كل شىء !· وعرفت ماالذى يمنعك من الزواج ·· انها لويز · اليس كذلك ؟

فقالت موجيت فى سذاجة وهى لا تعرف ماقد تسرب الى ذهنه :

– اذن فلقد تأكدت أننى لم أكذب عليك .

فأجابها فى هدوء مصطنع :

– كلا !· انك لم تذكرى الحقيقة كلها !

– اننى لم اكتم عنك شيئا

ونظر اليها فى شك وقال :

– انى أدعى لنفسى من الحقوق مالست أهلا لها !· اننى لم أستوقفك لانهال عليك بهذا العتاب · بل لاعرض

عليك رأيا متواضعا أرجو السماح لى بابدائه ·

– بكل سرور

– ان هذه الفتاة الصغيرة وان كنت تغمرينها بعطفك وتشملينها بحنانك . الا أنها فى حاجة الى أب يرعاها · فهل مات هذا الاب ؟ · أم لايزال على قيد الحياة ؟

فقالت فى لهجة صادقة :

– أقسم لك أننى لا أعرف موته من حياته ·

ولطم فالفير رأسه من فرط الحيرة وقال :

– اننى لم أطرح عليك هذا السؤال الا من أجل تلك الطفلة البريئة · وأعدك برجولتى – اذا ذكرت لى اسم هذا الاب – أن أنقب عنه الارض ليتزوجك من أجلها ! · وثقى أننى سأكون سعيدا بهذا الزواج مادام فيه هناؤك ·

وفهمت موجيت أن فالفير لم يدرك بعد أن (لويز) ليست ابنتها ·· وانها طفلة تبنتها ·· واعجبت بذلك الحبيب الذى يضحى بحبه فى سبيل هناء من يحب ·· وكادت تفلت من شفتيها صيحة الاعجاب ·· ولو كان فالفير فى حالة عادية لقرأ على وجهها آيات الاعجاب به · وبنبله ·

قال :

– انك لا تتكلمين ·· واخشى ان أقول ان من المستحيل الا تعلمى شيئا عن ذلك الوالد · هل مات ؟

وترددت أنفاسه بسرعة ثم اندفع يفرغ ماكان يضمه بين جوانحه :

– سأكون أنا أب الطفلة · اذا أردت ! · نعم · سأعيد الكرة ثانيا وأقدم نفسى · وثقى انى باقترانى بك سأحرص على الطفلة حرصى على فلذة كبدى وسأنزلها من قلبى منزلة الابن · أما من ناحيتك فسأفعل كل شىء لاجلك ·

موجيت . انى أقول صدقا ولن أندم على مافعلت وسأنسى الماضى نسيانا تاما .

فتأثرت من هذا الاخلاص وأثار حبها الدفين . فشعرت بكيانها يضطرب ازاء كرمه ونبله ولكنها بقيت ساكنة .

اما هو فظن أنها سترفض مقترحه وتنبذه نبذ النواة . فصاح قائلا :

ـ أترفضين اذن .. اماذا كنت قد اخطأت فى حقك . فاخبرينى . لكى اغمد سيفى فى صدرى ..

ورأته يستل سيفه من غمده فصاحت فى جزع والقت بنفسها على صدره وطوقته بذراعيها وضمته اليها وقبضت على يده اليمنى وتركتها بين يديها .

اما هو فبقى جامدا كالتمثال ..

وقالت موجيت بصوت هادىء .. عميق : كيف يمكن ان تخطىء فى حقى .. اوديت .. اوديت .. لقد اخبرتك انى أجهل اذا كان ابو لويز حيا يرزق أم قد طواه التراب .. ان لويز ياعزيزى ليست ابنتى انها ضالة مفقودة .. وقد تبنيتها .. هذه هى الحقيقة بحذافيرها .

ـ يا الهى .. هل يمكن أن يكون ذلك صحيحا ؟

ـ قاتلنى الله اذا كنت اكذب عليك .

ونظر فى عينيها .. فقرأ فيهما الصدق والبراءة . فهز ه الفرح وأحنى رأسه خجلا وقال :

ـ ارجو المعذرة .. انى أصدقك .

فاقتربت منه وقالت بصوت عذب :

ـ ليس هناك ما يدعوك الى الاعتذار . فما ظننته قد ظنه كثيرون قبلك . ولكنك طيب العنصر . ذوروح نبيلة .. وانت لم تفعل شيئا لالومك عليه .. بل انا التى استحق العقاب لاخفائى الحقيقة عنك .

فقال وفى صوته رنة الجذل :

ـ يالك من فتاة طيبة .

ـ والان اصغ الى .. فسأحدثك بكل شىء عن نفسى وعن لويز .. وان كانت معلوماتى قليلة .

فقبل قالقير يدها باحترام شديد واستبقاها بين يديه . قالت :

ـ من أنا ؟ . وأين ولدت ؟ . ومن هما والداى ؟ . وهل هما على قيد الحياة ؟

انى لا أعلم عن ذلك أكثر مما يعلم أى شخص . ولا أذكر الا قول امرأة تسمى لاجوريل انها وجدتنى ضالة مشردة فحدبت على واعتنت بى . وأنا أذكر أنه كان لى حينئذ اسم ككل الناس واستطيع ان اتذكره اذا نطق امامى الان .. ولكنى نسيته . اذ أن لاجوريل اطلقت على حين كنت فى كنفها اسم «الفتاة المهجورة» ثم اختصرته بعد ذلك الى « المهجورة » فقط .

وربما لم تكن لا جوريل امرأة شريرة . ولكنها كانت شديدة الجشع الى درجة أنها وثقت انى سأكون الوسيلة الوحيدة لتحقيق مطامعها . ويالها من مطامع .. ولما كنت صغيرة كانت تجوب بى الطرقات وأنا نصف عارية وتضربنى ضربا مبرحا .. حتى تفيض من عينى الدموع .. لان الدموع ـ على حد تفكيرها ـ تستجلب المحسنين الذين يتبرعون بالنقود .

وهنا صرف قالقير بأسنانه غضبا .

ـ وبعد ذلك بثلاث أو اربع سنوات كفت عن اصطحابى الى الطرقات واستكانت فى عقر دارها .. وارسلتنى لاستجداء المارة .. واذا بدا ما استجديته فى عينيها غير كاف .. فالويل لى ! . كانت تنهال على بالكمات

وتجعلنى أبات ليلتى على الطوى يكاد يقتلنى الجوع ! ٠
وتأثر فالفير لقصتها تأثرا بالغا وقال فى غضب :
ـ الويل لها منى اذا وقعت هذه اللعينة فى يدى ٠
وابتسمت موجيت وقالت :
ـ هون عن نفسك ياعزيزى ٠٠ لقد جرت الايام على هذه الحوادث ذيل النسيان ٠٠ الا تريد ان تسمع بقية قصتى ٠
ـ تكلمى ٠٠ انى آذان صاغية ٠
ـ وفى أحد الايام ٠٠ عادت الى (لاجوريل) وبصحبتها طفلة فى حولها الاول ٠٠ اخبرتنى أن اسمها (لويز) ٠٠ وكان يبدو عليها من ملبسها انها من أسرة عريقة ٠٠ بل أكاد أؤكد لك أن أباها مركيز ٠
وصاح فالفير فجأة وكأنه تذكر شيئا وقال :
ـ اسمها لويز ! ٠ وترجحين أن أباها مركيز ٠٠ يا الهى ٠٠ ربما كانت هى ٠٠
ـ من ؟ ٠ هل تعرف فتاة بهذا الاسم ؟
ـ نعم ٠٠ نعم ٠٠ اخبرينى فى أى عام جاءت لك هذه العجوز المنكودة بتلك الطفلة ٠
ـ منذ أربع سنوات ٠
ـ هذا غريب !
ـ هل هى التى تقصدها ٠
ـ هذا مالا استطيع ان اجزم به ٠٠ الا تذكرين فى أى شهر من شهور السنة حدث ذلك ؟
ـ فى شهر اغسطس ٠
ـ تماما ! ٠ انها هى بغير شك ٠
فسألته موجيت :
ـ الى أى أسرة تنتمى ؟ ٠٠

فقال متجاهلا سؤالها :
ـ أظنه من العسير عليك ان تذكرى يوم خطفها بالضبط ٠
ـ كلا ٠٠ بل من السهل ان اذكره ٠٠ انه يوم ١٥ اغسطس ٠ فى عيد القديسة سانت مارى ٠
ـ لم يبق لدى شك الآن ٠٠
ـ من هى اذن
ـ انها ابنة جيهان دى باردليان ؟
ـ ابن الفارس باردليان ؟
نعم ٠٠ لقد تزوج المركيز جيهان دى بارنيان منذ خمس سنوات من برتيل ٠ وانجبت هذه الطفلة التى اختطفت فى عيد القديسة سانت مارى ٠ لاشك انها هى ٠
وقطبت موجيت ٠٠ مابين حاجبيها وقالت :
ـ طالما تمنيت ان أعثر على والد ى الطفلة ٠ ولو أننى اكره هذا اليوم الذ ى ينتزعونها منى فيه ٠ انى أحبها يا اوديت ٠
ثم اردفت :
ـ هل تسمح لى ان أناديك باسمك المجرد ؟
ـ ان هذا يروقنى كثيرا ٠
وخجلت موجيت واستطردت :
ـ أوديت ! ٠ لا تخبر والديها الان بربك ! ٠ اريد ان أتمتع بوجودها معى بضعة أيام أخر ! ٠ لقد هربت بها من جحيم لا جوريل » ٠ وجعلت من نفسى أمالها ٠٠ وآليت على نفسى ان أسعدها وأذيقها طعم الحنان الذ ى حرمت منه ٠٠ انها الان لاتقل هناء عن بنات الاشراف ٠٠ ولا شك ان أباها لن يندم على معيشتها معى هذه السنوات ٠٠

الفصل الخامس

باردليان

مر على فالفير فى خدمة الدوقة دى سوربنتيه ما يقرب من أسبوعين لم يجد فى اثنائهما الا كل ما يدعو الى الراحة والطمأنينة وما يلهج لسانه بالشكر على كرمها ودماثة خلقها .

وكانت موجيت فى خلال ذلك تتردد على قصر الدوقة بانتظام .. ولا يترك أوديت أى فرصة دون لقياها ..

وكانت (لا جوريل) بدورها تتردد على القصر حسب وعدها للدوقة .. ولكن فى غير الاوقات التى تختلف فيها موجيت .. أما فالفير فانه كثيرا ما التقى بالعجوز فى القصر فكان لا يعيرها أدنى إهتمام لجهله بأمرها .

وذات يوم .. أقبل رجل رث الثياب قذر الهيئة ودق على باب القصر ثلاث دقات متفرقات .. ففتح الباب . ودخل الرجل .

وقابله (دالبارن) فسأله :

ـ من أنت ؟ . ولاى غرض جئت .

فأجاب الطارق فى صوت خافت :

ـ لقد جئت لمقابلة الدوقة لامر ما .

ـ ان سموها لن تقابل أحدا قبل نصف ساعة .. فانتظر فى هذه الغرفة حتى تتشرف بمقابلتها .

ودخل الرجل غرفة صغيرة . وتبعه دالباران وأغلق الباب من خلفه ثم صاح بالاسبانية فى صوت مرح طروب .

ـ أهلا بسيدى الكونت ! . ان سموها تنتظر قدومك منذ ثلاثة أيام .. فهيا استبدل ملابسك فى الحال . انها

ـ انت أنبل من صادفت يا موجيت .. انك انت التى ستتكفلين بتربيتها ..

وطفرت من عينيه دموع التأثر فقالت :

ـ اننى على استعداد لان أكرس حياتى فى سبيل اسعادها .. انها كل شىء عندى يا أوديت . انها قطرة الندى التى تنعش زهرة حياتى .

ـ لن أخبر أباها بذلك الان . لانه غير موجود فى باريس . لقد سافر هو والفارس الى جهة غير معلومة .

فهتفت موجيت :

ـ يا لرحمة السماء ؟ هل قدر لى ان احتضنها بضعة أيام أخر ! .

ـ ومن أخبرك انك ستحرمين منها ؟ . سوف يجعلك الماركيز جيهان أما ثانية لها .

فقالت موجيت فى جذل :

ـ أواثق أنت من ذلك ؟

ـ ثقى من حبى لك .. والان .. وقد انتهينا من لويز هل لك ان تقبلى زواجى منك ؟ .

وصعد الدم الى وجه الفتاة فزادها حسنا على حسنها وأكسبها روعة وفتنة وقالت بدلال : كلا ! .

وضحكت ضحكة فاتنة . وقال اوديت :

ـ اريد ان اسمع جوابك يا موجيت ؟

ـ الم تقرأه فى عينى ! ؟ الم تسمعه فى نبرات صوتى ؟ .

ولبث فالفير برهة وقد عقل لسانه من فرط الفرح والسعادة ! . وفجأة القت بنفسها بين ذراعيه والتقت شفاههما فى قبلة طويلة حارة أودعتها كل ما تدخره العذراء من عاطفة متأججة .

www.rewity.com 40daddo

تريد مقابلتك ..

وذهب (دالباران) الى دولا بصغير فتحه .. وناول الكونت بعض الملابس الفاخرة .

وقال هذا :

ـ ما عاقنى عن موعدى الا ما لقيته من صعاب عند اجتيازى الحدود .. ان الجواسيس الفرنسيين هناك منتشرون بكثرة .

وتبع الكونت (دالباران) حتى قاده الى غرفة الدوقة . التى ظهرت عليها علائم البشر والارتياح عند رؤيته وقالت :

ـ ما بالك قدتاخرت .

ـ لقد أخبرت دالباران اننى فضلت الحرص فى اجتياز الحدود على سرعة الاوبة وحدوث ما لا تحمد عقباه ..

ـ وما أخبارك ؟

ـ ان جلالة ملك اسبانيا يبعث اليك اطيب أمانيه ويكلفنى بالاعراب لك عما يكنه نحوك من التقدير والاعتراف بالجميل ..

وابتسمت الاميرة وقالت :

ـ انى لا أدخر جهدا فى خدمته .

ـ هو على يقين من ذلك ..

ـ وماذا تم فى أمر المال الذى طلبناه منه ..

ـ سيرسل لمولاتى سبعة ملايين من الجنيهات فى هذا الاسبوع .

فقالت الدوقة دى سورينتيه فى غضب مكبوت :

ـ ان هذا المبلغ لا يكفى ! .

ـ لقد أخبرته بذلك . فوعد بارسال مبلغ آخر فى فرصة قريبة ..

ـ حسنا .. انه على أى حال يكفينا مؤقتا .. واذا احتجنا الى شىء فسأصرف من خزائنى الخاصة .

ثم نهضت واقتربت من الكونت وقالت :

ـ عد ثانية الى أسبانيا بعد يومين ..

ـ حسنا يا مولاتى ..

وانحنى أمامها فى احترام وانصرف ..

والتفتت الدوقة الى دالباران وقالت :

ـ أعد المركبة والجياد .. واطلب الى رجالك أن يرتدوا أجمل ثيابهم ..

ـ سمعا وطاعة يامولاتى .

ـ هل تعرف الى أى مكان سوف تذهب ؟ .

ـ كلا يامولاتى .

ـ الى كونسينى .

ولم يكتم دالباران صيحة أفلتت منه : كونسينى !!

فقالت الدوقة فى ثبات :

ـ نعم .. واسرع فى تنفيذ أوامرى .

ولم تمض بضع دقائق حتى كان موكب الدوقة دى سورينتيه يجتاز ميدان تروا مارى ويعبر قنطرة نيف .

وفى نفس الوقت كان فارسان يعبران القنطرة مقبلين من الناحية الاخرى . يتقدم أحدهما الاخر منتصبا على جواده فى شمم وكبرياء . وقد وضع على منكبيه معطفا من المخمل الاسود وتبعه على جواد أبيض اللون شاب حلو الملامح قوى الشكيمة .

كان هذان الفارسان هما باردليان وابنه جيهان .

والتقى الموكب بالفارسين .. ولاحت من الفارس نظرة الى الدوقة دى سورينتيه .. فتقلصت أساريره واتسعت حدقتاه وقال من بين أسنانه :

– يا الهى ·· فوستا ؟ فوستا فى باريس ؟ ·

وساله جيهان :

– ما بالك تنظر الى هذه السيدة تلك النظرة الحاقدة ياسيدى ؟

وتنبه الفارس الى نفسه وقال :

– كلا ·· اننى لم أنظر اليها ·· من هى ؟

– اننى لا أعرفها ··

وتعمد باردليان أن ينكر حقيقتها عن ابنه · لانه كان يعتقد أن أمه ماتت وهو فى المهد كما أوهمه أبوه ·

وعبر الفارس القنطرة وبعد أن سارا قليلا قال لابنه :

– يمكنك أن تذهب الان الى النزل وسالحق بك بعد قليل ··

– هل انتظرك للغذاء ؟ ·

– ان تأخرت فلا تنتظرنى ·· الى اللقاء ·

– الى اللقاء ياسيدى ··

وأسرع الفارس خلف الموكب ، حتى اذا كان على مسافة قريبة منه · عرج على احدى الحانات وترك جواده عند صاحبها ونفحه ما يكفل له اطعامه بضعة أيام ، ثم تبع الموكب سيرا على قدميه حتى لايلفت اليه الانظار ··

وسار باردليان خلف الموكب وهو يتساءل :

– يا الهى ! ·· ما الذى يحمل هذه الشيطانة على العودة الى باريس ؟ ·· لابد انها عادت بمشروعات جهنمية ·

فوستا فى باريس ·· ان هذا معناه شقاء باردليان والعودة به الى القتال والنضال ! ·· الى أيام الدوق دى جيز والملك هنرى الرابع ! ·· لا شك انها ذاهبة لمقابلة « كونسينى » ·· لقد اكتهل هو ولم تكتهل

هى ·· بل مازالت فى ريعان شبابها وميعة صباها ! ·· لا يقدر لها الرائى من العمر أكثر من عشرين ربيعا ·· ولو أنها جاوزت أربعين ··

وصدق ظن باردليان ·· فقد اتجهت الاميرة بموكبها الى قصر الماريشال « كونسينى » ·

ووقف الفارس على مقربة من باب القصر حائرا مفكرا ، فقد كان من السهل عليه دخول القصر ، ولكن كيف يستطيع الوقوف على ما يدور بين فوستا وكونسينى من حديث ! ··

ووقفت المركبة ، فقفز دالباران من جوار الحوذى الى الارض وبادر بفتح بابها حتى اذا ما هبطت فوستا انحنى أمامها فى خشوع ··

ودخلت الاميرة القصر تتيه خيلاء · فاستقبلها قزم صغير يثير منظره الضحك والسخرية ، وتقدمها الى المدخل ثم عاد أدراجه ·

أما باردليان ، فانه ما كاد يرى هذا القزم حتى هتف بينه وبين نفسه :

– ستوكو ! ·· يا للحظ الحسن ! ··

أما هذا القزم ، فكان أحد الذين يخشون باردليان ، ويرهبون بأسه ! ·· وله مع الفارس مغامرات لا يستطيع نسيانها أو محوها من ذاكرته ··

ولمح « ستوكو » باردليان ، فارتجف ! ·· وهم بالفرار ، فأشار اليه الفارس بالاقتراب · فجمد المسكين فى مكانه لحظة ثم بدأ يتحرك حتى دنا من باردليان كما لو كان مسوقا بقوة مغناطيسية خفية ! ··

ووقف الاثنان وجها لوجه ·· فابتسم باردليان وقال له :

– لماذا حاولت الفرار ؟ ·· هل تشعر بخوف منى ؟ ..

وفتح « ستوكو » فمه فى صعوبة وقال فى اضطراب :

– كلا ! ·· نعم ! ·· وهل يوجد من لا يخاف سيدى الفارس ··

وربت باردليان على كتفه وقال ملاطفا :

– لا يوجد اليوم ما يستدعى هذا الخوف .. لكن ··

– شكرا لك ياسيدى ··

– انك لم تدعنى أكمل حديثى ··

– تفضل ياسيدى ··

وأخفى باردليان ضحكة قوية كادت تفلت من شفتيه وقال :

– هل رأيت هذه الاميرة الجميلة التى دخلت الان ؟

فقال القزم وهو يهز رأسه فى ذعر :

– نعم ·· رأيت هذه الاميرة الجميلة .

– انها دخلت لتقابل سيدك ، الماريشال كونسينى .

– نعم دخلت لتقابل سيدى الماريشال كونسينى ! .

وسكت باردليان لحظة ثم رمقه بنظرة مخيفة وقال :

– أريدك أن تقودنى الى مكان استطيع منه أن اسمع بجلاء ما يدور بينها وبين سيدك ··

شحب لون القزم ·· وفغر فاه وظل صامتا ·· فصاح فيه الفارس :

– تكلم ! .

– رحماك ياسيدى ! · انك لو طلبت رأسى لما توانيت فى تقديمها اليك بيدى ! · الا ان هذا الطلب لو أجبته ·· لكان معناه موتى بعد عذاب شديد ·

فقال باردليان وكأنه لم يتأثر من لهجة القزم التى حاول بها أن يستجدى عطفه :

– اننى أعرف ذلك ! · ولكنك ستجيب طلبى وتكون فى حمايتى ·

– يخيل الى ألا مفر من الاذعان ·· على رسلك ياسيدى ·

– هيا بنا اذن ·

وأمسك باردليان برأس القزم الذى سار أمامه وقاده الى الداخل ·

ولاحظ باردليان أن (ستوكو) يجول بعينيه الضيقتين فى انحاء القصر دون أن يحرك رأسه ·· فضغط بيده على جمجمته ، فأن القزم وقال :

– رحماك ياسيدى ! · انك توشك ان تحطم جمجمتى ! ·

فقال باردليان بصوت رهيب :

– اياك وخيانتى ·· والا حطمتها بغير شك ··

أما فوستا · فقد استقبلها الماريشال كونسينى بنفسه فى الممشى · وانحنى على يدها مقبلا وهو يقول :

– أنت ترين أننى نفذت كل تعليماتك التى أفضيت الى بها بكل دقة ياسيدى · فقد أرسلت الكتبة والحجاب والخدم فى اجازة اليوم ·· حتى لا يعلم أحد ان الاميرة العظيمة قد شرفتنى بزيارتها ولم أبق الا هذا القزم الذى قابلك بالخارج وهو موطن سرى وموضع ثقتى ·

وابتسمت فوستا ابتسامتها الرائعة وقالت :

– هذا ما توقعته منك ·· انك اذكى رجل فى فرنسا قاطبة ·

وسر كونسينى من هذا الاطراء وقال :

– عفوا ياسيدتى ..

ثم قادها الى غرفة فسيحة فاخرة الاثاث .. وذهب

الى مكتبه وظل واقفا حتى جلست الاميرة على مقعد قريب منه ٠٠ وقالت له فى صوت عذب :

ـ تفضل بالجلوس ٠

فامتثل الماريشال وجلس صامتا .

وقالت فوستا فى لهجة لها مغزاها :

ـ أليس غريبا أن أحضر لزيارتك أنت ياكونسينى ؟

فنظر اليها قليلا وقال :

ـ فى الواقع ياسيدتى ٠ انى لم أكن أتوقع أن تتنازل أميرة ملكية بزيارة شخصى ٠٠ انك أوليتنى شرفا عظيما ٠

فابتسمت فوستا وقالت :

ـ كلا ٠ ليس هذا ما كنت أعنيه بقولى ٠

ـ لعلى لم أفهم جيدا ياسيدتى ٠

فقالت فوستا والابتسامة لازالت مرتسمة على وجهها الفاتن :

ـ ان الوضع الطبيعى للاشياء أن يأتى الملتمس الى الملتمس منه ٠ ولكنك أنت الذى تلتمس وأنا الذى أحضر بنفسى .

ـ هذا كرم منك ، ولاشك أن أميرتى لا تعرف الالتماس فهى تأمر فتطاع ٠

وظهرت على وجه فوستا أمارات الارتياح وقالت فى رقة :

ـ هذا مايجعلنى أشعر بالطمأنينة وأتعلق بأهداب الامل فى أنك سوف تجيب مطالبى ٠ وثق أننى لن أنتهز فرصة حاجتك الى معونتى المالية لفرض هذه المطالب ٠ بل أننى كنت أفرضها فى أى وقت اخر مادمت أحتفظ لك فى قلبى بهذه المنزلة من الاجلال والتقدير

ـ لك ياأميرتى أن تأخذى على وعد رجل شريف فى أننى سوف اجيب رغباتك قبل ان اعرفها ٠

ـ هذا مايزيدنى اكبارا لك ٠

وسكتت برهة كأنها تستجمع قواها وتركز ذكاءها وقوة شخصيتها ثم قالت :

ـ اليك ما أطلبه من سيد فرنسا وأقوى رجل فيها ٠ اننى اخجل من تسمية هذا ملتمسا لانه دون مقدرتك وأحقر من أن أكلف به الماريشال كونسينى ٠ وهو أن تطلق سراح سجين مسكين قضى سنين طويلة فى الباستيل

وقطب كونسينى مابين حاجبيه فجأة وقال فى نفسه :

ـ ياالهى ! ٠٠ لعلها تقصد اطلاق سراح شارل الدوق دانجوليم ابن الملك شارل التاسع ٠٠ لقد ابتدأت افهم أحابيلها ! ٠

ثم أضاف بصوت مرتفع وبابتسامة مصطنعة :

ـ وماسم هذا السجين ياأميرتى ؟ ٠

وأدركت فوستا بذكائها الخارق انه فهم ماترمى اليه ٠ فحدجته بنظرة طويلة ثم قالت :

ـ انه الدوق دانجوليم الذى قضى الى الان عشر سنوات فى الباستيل يئن ويتوجع فلا يسمع مجيبا سوى صدى أناته ! .

فقال كونسينى فى نفسه :

ـ ماذا تبغى من اطلاق سراح ابن شارل التاسع ؟هذا الشاب الذى كان يطالب بالعرش ويدعى أحقيته فيه !٠ لعلها ترمى الى قلب نظام العرش .

ثم قال لها فى أدب :

ـ انك حسنة الظن بقوتى ياسيدتى ! ٠ لو كان الامر يتعلق بسجين عادى لما ترددت لحظة فى تسليمك أمر الافراج عنه ! . لكنه سجين سياسى يهم أمره جلالة الملكة

الوصية على العرش . ولا أعتقد ان بوسعى مساعدتك فى هذا الصدد .

وزايلت الابتسامة وجه فوستا وقالت :

– أو تحسب هذا حقا ! ؟

– اننى لا اقول غير الصدق يامولاتى .. يمكنك ان تطلبى هذا الامر من (سليرى) أو (فلروى)

فانفجرت فوستا ضاحكة وقالت وهى تضرب المنضدة بأناملها فى حالة تدل على ماتعانيه من مجهود فكرى مضن :

– لم اكن اتوقع انك تحسبنى من السذاجة الى هذه الدرجة ! .

– عفوا ياأميرتى ! . لم يبدر فى قولى مايدل على هذا الاعتقاد الذى ذهبت اليه ! .

– ألست انت رئيس الوزراء ؟

فقال كونسينى فى لهجة جدية :

– انا ؟ . نعم . اننى رئيس الوزراء . ولكنى مسلوب السلطة فاقد النفوذ . .

فقالت فوستا وهى تضحك فى خبث :

– ألست صديق الملكة ..

– اننى أقل أصدقائها شأنا ولو أننى أشدهم اخلاصا وتفانيا .

– ولكنى اعرف تماما انك اذا ما اردت حقا تنفيذ ما اطلبه منك وعرضته على الملكة لما رفضته .. بل ولما تجاسرت على رفضه ! . ان جلالتها – كما يعرف الجميع – تسعى الى ارضائك بكافة السبل .

– انهم يبالغون كثيرا يامولاتى .

فقالت فوستا فى لهجة هى مزيج من الوعد والوعيد :

– اذن نفذه لاجلى ! .

فقال كونسينى وقد ضاق بها ذرعا :

– يخيل الى انك لست على علم تام ياسيدتى بأخبار القصر وبتاريخ فرنسا ! . والا لادركت انه من المستحيل ان تجيب جلالة الملكة ملتمسى هذا ! . لانها ماصعدت على العرش الا بعد ان اغلقت ابواب الباستيل على هذا الدوق الذى تتحدثين عنه !

فقالت فوستا فى كبرياء :

– معنى ذلك ان مايبدو لى هينا سهل المنال . . تجده انت عسيرا مستحيلا .

– تماما ياسيدتى

– اذن دعنا من هذا الموضوع الان

وخشى كونسينى غضب الدوقة دى سورينتيه فقال ملاطفا :

– لقد طلبت منى شيئا بعيدا عن منال سطوتى ! وانى على استعداد تام لتادية أية خدمة اخرى تطلبها مولاتى ، فى حدود واجبى .

فقالت فوستا فى انفة :

– لقد كنا نتحدث فى امكان اطلاق سراح الدوق دانجوليم . وكنت أحسبك قويا بحيث لا يتعذر عليك أن تسدى الى هذه الخدمة . فاتضح لى انى اخطات فى حسبانى . فأرجوك الا تطرق هذا الموضوع مرة أخرى .

وانتقلت فوستا بلباقة الى موضوعات أخرى ثم تبسطت فى الحديث لدرجة جعلته ينسى مادار بينهما ! .

وكانت تبدو ثرثرتها عادية لا معنى لها ولا مأرب . حتى انتقلت فجأة الى سرد قصة غريبة جعلت الماريشال يرهف السمع اليها بنفس مضطربة وقلب واجف . قالت :

www.rewity.com dodya dodo

– كان يعيش فى (فلورنزا) منذ عشرين عاما شاب جميل الطلعة متين البنيان ·· رشيق ·· ذو جاذبية تفتن النساء · وكان هذا الشاب محبوبا من كل فتيات القرية الريفيات ·· يفيض قلبه بالامل الوثاب ·· وتتطلع أمانيه الى العلا والمجد ·

وفى أحد الايام شاءت ظروفه السعيدة أن يتعرف بأحد النبلاء فى بلدته وهو الدوق فرنسوا ·· فراح يتردد على قصره حتى أنس له الدوق وأحله مكانة عالية بين أفراد حاشيته ··

وتمكن هذا الشاب فى احدى الحفلات الساهرة من لفت نظر ابنة الدوق اليه ·· فأعجبت به وافتتنت برشاقته ولباقته فى الحديث ·· ومالبث أن انقلب الاعجاب الى صداقة ·· وانقلبت الصداقة الى حب ·· ولكنه ···

ثم سكتت فوستا !

فقال كونسينى فى تردد : ولكنه ماذا ؟

– ولكنه حب أثيم ! ··

ولم يجب كونسينى بل صعد الدم الى وجهه وظل صامتا ·

واستطردت فوستا قائلة : وتمخض هذا الحب عن طفلة ! ·

وهنا أيقن كونسينى أنها تعنيه هو بالذات فى تلك الصورة التى رسمتها بلباقة . فقال متجاهلا مغزاها : وبعدئذ ··

– انك تعرف الباقى ···

فهتف كونسينى : انا ؟ · ومن اين ؟ !

فقالت الاميرة متجاهلة سؤاله :

– وأضحى « دون جوان » الريفيات الساذجات عشيقا لابنة الدوق العظيم ! · التى تقدم لخطوبتها رجل من

البيت المالك ·· وتدور الايام دورتها تصبح ملكة متوجة ! · فتؤثر ان تتخلص من طفلتها وتعهد بها الى خادم أمين ليغرقها فى النهر ·· ولكن الخادم يرأف بحالها ويعهد بها الى امرأة عجوز تقوم على تربيتها ···

وانتقلت ابنة الدوق الى ملكها فجرت وراءها عشيقها الذى أصبح أقوى رجل فى مملكتها ! ·

ونفد صبر كونسينى فصاح :

– ماالذى تقصدينه ياسيدتى من وراء كل هذه الالتواءات ؟ ·

– هل ترى فى كلامى التواء ؟ ·

– انك تعرفين هذا كل المعرفة ···

ولم تجب فوستا الا بابتسامة صامتة !

فقال كونسينى :

– سأحدثك بصراحة ·· اننا بمفردنا ولا يوجد هنا من يسمعنا !· انى أعرف أنك تقصدينني بهذه القصة !· لقد أحببت فعلا ابنة دوق فلورنزا ·· وأنجبت منها طفلة أمرت أحد خدمى باغراقها · وأصبحت مارى دى مدسيس ملكة وصية على عرش فرنسا ·· فما الذى تسعين اليه من وراء كل هذه الاحاديث التى لم يكن من اللائق طرقها ؟

– انى لا أسعى الى شىء ·

– كلا ! · فانه ليخيل الى انك ترمين من وراء معرفتك والمامك بهذا السر الى جعله سلاحا مصلتا على عنقى اذا مارفضت اطلاق سراح الدوق دانجوليم ·· أليس كذلك ؟

فقالت فوستا ببرود : نعم !· انك شديد الذكاء ·

– ولهذا السبب لم أترك ورائى أثرا ينم على هذا السر !· فلقد ماتت الطفلة · ولا يوجد أى دليل مادى يؤيد هذا الادعاء ··

فقالت فوستا فى لهجة رهيبة :

ـ انى أعرف اين أجد لا ندرى ككنار !.

وارتجف كونسينى رغما عنه وقال :

ـ ومن هو لاندرى هذا ؟

ـ ذلك الخادم الامين الذى عهدت اليه باغراق طفلتك.

فقال كونسينى وهو يغتصب ضحكة جوفاء :

ـ وهل تعتقدين أن شهادة مثل هذا الصعلوك تهمنى !. ان من السهل دحضها .. فهو خادم قديم طردته .. فحقد على .. واختلق هذه الفرية ولاسيما بعد أن حكم عليه بالاعدام وحسب ان لى أصبعا فى هذا الحكم ..

وسكت برهة ثم أردف :

ـ اذن أنت التى أرسلت رجالك لانقاذه من حبل المشنقة !؟

ـ نعم ! .

ـ لقد صدق ظنى اذن !.

ـ انى أوافقك على أن شهادة لاندرى ككنار قد تكون أضعف من أن تثير حولها الضجة بالدرجة التى أبتغيها .. ولكن لسوء حظك ليست هى الدليل الوحيد لدى !.

انك نسيت ان لاندرى كان رجلا تقيا يزخر قلبه بالايمان والورع ولم يخطر ببالك فى يوم من الايام انه قد يحجم عن قتلها وأغراقها وهو ماحدث بالفعل ولدى اثباتات رسمية تؤيد نسبها اليك والى مارى دى مدسيس ، فشهادة الميلاد التى حررت فى الكنيسة عليها امضاءات القس وشاهدين آخرين ولا يمكن الطعن فى صحة هذه الامضاءات بأى حال من الاحوال

فقال كونسينى وهو شاحب الوجه :

ـ ولكن .. ان سلمت معك جدلا بهذا الامر . فلا

يسعنى ان اصدق ماتدعينه من اثبات نسب الطفلة الى مارى دى مدسيس لان لاندرى لم يكن يعرف ذلك وقتئذ

ـ لقد زور مالزم تزويره فى اتقان يفوق الحقيقة . وانت تعرف ان الدوقة دى سورينتيه لا تعرف الكذب .

ـ واذا فرض ان كل ذلك صحيح فمآله الوخيم عليك ! فمن يكذب اقوال جلالة الملكة ليصدق شهادة هؤلاء البؤساء ؟

ـ انى اوافقك على ذلك . ولكن هل تنكر ماتحدثه هذه القضية من الفضائح ؟ اننا هنا فى فرنسا .. فى باريس ! ويكفى ان اذكرك بهذا

وسكت كونسينى كأنه اقتنع بأقوالها

واستطردت فوستا فى لباقة : هل تعرف اين تعيش ابنتك ؟

ـ كلا .. ولا اريد ان اعرف .

ـ لكنك تعرفها

فقال كونسينى مذهولا : انا ؟ كلا

فضحكت ضحكة صفراء وقالت : انى اؤكد لك ذلك وسوف تعترف معى بما اقول

وضع كونسينى يديه على عينيه وقال :

ـ كفى ياسيدتى .. كفى بربك . ماذا تريدين منى ؟ ان اطلق سراح الدوق دانجوليم .... اليس كذلك ؟

ـ انه ثمن بخس ولكنى اقبله

ـ سأفعل اذن ياسيدتى ...

ـ شكرا لك .

ونهض كونسينى متحاملا على ساقيه وهو يقول :

ـ لحظة واحدة . سأحرر لك صيغة الافراج .

فدست فوستا يدها فى صدرها وأخرجت ورقة مطوية

دفعتها اليه وهى تقول :

ـ اليك أمر الافراج لا ينقصه الا امضاؤك ياسيدى الماريشال .

ونظر اليها كونسينى متعجبا وقال فى نفسه :

ـ لقد كانت واثقة من هزيمتى اذن !· انى أستعيذ بالله من هذه الشيطانة ·

وتناول الورقة بيد مرتجفة ·· ومهرها بامضائه .. ثم قال :

ـ ولكنك تركت تاريخ الافراج على بياض ولم تحددية ؟

ـ هذا من شئونى ·· والان الى اللقاء يا سيدى الماريشال ·· وانى عاجزة عن شكرك ·

وحياها كونسينى ونيران الغضب تاكل قلبه . وغادرت فوستا القصر ·

كان (ستوكو) قد مكن باردليان من الاستماع الى ما دار بين سيده وفوستا من غرفة مجاورة ·· فلما انصرفت فوستا انتظر باردليان حتى عاد كونسينى وأسرع فى أثرها ·

وسارت المركبة فى طريق آخر غير الذى سلكته عند مجيئها الى القصر ·· فانعطفت فى شارع لكسمبرج .

أما باردليان فانه كان يتبعها وهو يعجب بينه وبين نفسه من أمر هذه المرأة وعلاقتها بكونسينى ويقول :

ـ ان الايام والسنين لم تغير شيئا من جمالك ·· ولم تثبط من آمالك ! · كم أرثى لك وأعجب من أمرك ! . انها خسارة فادحة ·· ان تكون امرأة لها ذكاؤك الخارق ومواهبها النادرة وتسلك سبيل الشر والاذى .

انى أشعر أن حياة النضال قد ابتدأت بعودة فوستا ! · لقد أحسنت صنعا فى اخفاء شخصيتها عن (جيهان) ! انى لا أريده أن يشترك فى هذا النضال

ضد أمه ! . ان هذا مؤلم مريع ·

ها هى تتجه بمركبتها الى الباستيل . ! ما الذى ترمى اليه من الافراج عن شارل ؟! هل أضحى هو الآخر مطيتها بعد أن مات الدوق دى جيز لعلها تريد أن تنصبه ملكا على فرنسا · ·ثم تتزوج منه ·

اننى عجزت عن ادراك كنهك أيتها الشيطانة الجميلة . ! انى لا أدرى ما هى علاقة الدوقة دى سورينتيه بك ؟ · ومن الذى أوقفك على كل هذه المعلومات الخطيرة التى أرعبت بها اقوى ساسة فرنسا ؟

انها تقصد ولا شك الى الباستيل وستقضى فى الداخل وقتا يمكننى من ملء جوفى الخالى حتى أستعين على متاعبها ! ·

ودخلت فوستا بمركبتها الى الباستيل بينما اتجه باردليان الى مطعم قريب ·. وانتحى ركنا منعزلا .· وراح يلتهم طعامه التهاما ·

الفصل السادس

فوستا والدوق دانجولييم

ألقت فوستا كلمة السر الى الحارس الخارجى · فأعطى بدوره الاشارة الخاصة بانزال القنطرة على الخندق . · فعبرته فوستا الى داخل السجن ·

وكانت الملكة الوصية على العرش هى مديرة الباستيل اسما وينوب عنها ضابط يدعى (شاتوفييه) ·

وكان شاتوفييه هذا مختالا فخورا بمركزه يعتز بجاذبيته .. ويعتقد فى نفسه القدرة على ايقاع النساء فى حبائله · فلما وقع بصره على فوستا بهره

جمالها ٠٠ وقابلها ورحب بها بكل ما أوتى من لباقة ورقة ٠ ودعاها الى مكتبه الخاص ٠

وأدركت فوستا بنظرة واحدة حقيقته وفهمت ما تنطوى عليه نفسه . وأدركت أن مهمتها أصبحت من السهولة بمكان ٠

وتلطفت فوستا فى الحديث معه . ثم أبرزت أمر الافراج وطلبت اليه أن يسمح لها برؤية السجين .

ورضخ (شاتوفييه) وهو يقول :

ـ هذه خدمة متواضعة لسيدتى الدوقة ٠

وصحبها الى غرفة شارل ثم استأذن منها وانسحب ٠

وكان المسكين فى هذا الوقت يروح ويغدو فى سجنه وقد أطرق برأسه الى الارض ٠ فلما سمع صرير المفتاح فى الباب ٠ حسبه السجان جاء لامر ما ٠٠ كاحضار طعام أو ماء مثلا ٠ فلم يعره انتباها .

ودخلت فوستا . وأغلقت الباب خلفها ٠ ولبثت تنظر الى شارل ٠ وهى صامتة ٠ ورآها الدوق أخيرا . فعرفها فى التو واللحظة رغم السنين الطويلة التى قضاها حيا فى ذلك القبر اللعين ! ٠ فهتف دهشا :

ـ الاميرة فوستا ٠

فقالت فى لهجة فهم كنهها :

ـ كلا !٠ لست الاميرة فوستا ٠٠ بل الدوقة دى سورينتيه ! هل فهمت ؟٠

ولم يجب شارل . بل ظل مشدوها يحدق فيها ببصره وكأنه لا يصدق عينيه !

وتقدمت الاميرة ٠ ثم قالت : انك حر طليق منذ هذه اللحظة

وغمر الفرح قلب شارل فصاح : ماذا تقولين ؟ هل قدر

لى أخيرا أن أخرج من هذا الجحيم على قدمى !

فقالت فوستا وعلى شفتيها ابتسامة فاتنة : نعم ياسيدى الدوق ٠

ـ ومن ذا الذى أفرج عنى ؟

ـ الدوقة دى سورينتيه ٠

فقال : متعجبا : أنت ؟!

ـ نعم أنا ٠٠

ـ عدوتى القديمة ! ٠٠ و ٠٠

فوضعت أصبعها على شفتيها مشيرة اليه بالصمت ، فأمسك ولم يزد ، وقالت بصوت خافت :

ـ هيا معى ٠٠ وستجد فى قصرى مجالا للثرثرة ولاستجلاء ماغمض عليك ٠

وتحركت المركبة وغادرت الباستيل ٠٠

ولمحها باردليان فتبعها بدوره وهو يقول :

ـ هاهو شارل بصحبتها !٠٠ لقد أفرجت عنه يالهى ! ٠٠ كم تغير وجه هذا المسكين !

وأدرك الفارس من طريقة حراسة المركبة ونظام رجالها الذى تغير بعد ركوب شارل بجانب فوستا ، انه لم يخرج من الباستيل الا ليدخل فى أسر هذه الداهية

وسار الموكب الى قصر آل سورينتيه كما كانت تسميه فوستا ، ومازال باردليان يتبعه ، ولم يتخلف عنه حتى نفذ من بوابة القصر

وكان باردليان يعلم حق العلم الفارق الشاسع بين دخوله قصر كونسينى واقتحامه قصر فوستا المنيع ، فهو أدرى الناس باستعداد الاميرة فى قصورها ، وبأساليبها الخفية ووسائلها التى تقرب من السحر فى التخلص من أعدائها وهزيمتهم ٠

بيد ان المصاعب والعقبات ما كانت لتؤثر فى باردليان يوما من الايام ! ٠٠ أو تحول بينه وبين تحقيق مايسعى اليه

وكان فى نفس الوقت يشعر برغبة شديدة لمعرفة ماعسى أن يدرو بين فوستا وبين شارل من حديث ، وهذا ماشحذ همته وقوى عزمه على دخول القصر

ولم تمض برهة حتى اقترب باردليان من الباب ، ولكنه لمح رجلا يقدم مسرعا الى ناحيته ، فاختفى وراء الجدار ، وحينئذ رأى الرجل يدنو من الباب ويطرقه ثلاث طرقات متفرقات ففتحت نافذة صغيرة فيه وقال الطارق : لاجوريل !٠٠

وانفتح الباب . . وقال باردليان فى نفسه :

ـ لاجوريل ! ٠٠ انها كلمة السر ولاشك

وبعد قليل حذا حذو الرجل الآخر ففتح الباب للمرة الثانية ودخل باردليان !٠ ثم أغلق من ورائه

ودخل الفارس وقد أخفى وجهه ببياقة معطفه المرتفعة ٠٠ ومشى منتصب القامة متزن الخطى حتى حسبه أحد الحراس من رواد الدار ومن معارف الدوقة أو أصدقائها ٠٠ فحياه فى احترام وقال له :

ـ ان مولاتى الدوقة قد عادت الان فقط ٠ ليسمح سيدى أن يتبعنى الى بهو الانتظار حتى تأذن بمقابلته ٠

وتبع باردليان الرجل ٠ الذى قاده الى غرفة فسيحة الارجاء باهرة الرونق ثمينة الاثاث ٠ فجلس الفارس على أحد المقاعد وتركه الرجل وانصرف ٠٠

وما كاد الحارس يخرج ٠ حتى فتح باردليان بابا مقابلا للباب الذى خرج منه فوجد ممشى طويلا ضيقا سار فيه وهو لا يعلم من أين يبتدىء ٠٠ أو الى أين ينتهى !٠٠

وظل مجدا فى سيره وهو يفتح ما يصادفه من الابواب فى غير ما تردد باحثا عن فوستا والدوق ٠

ولبث كذلك أكثر من ربع ساعة لم يقابل أثناءها مخلوقا ٠٠ حتى لقد حسب أنه ضل الطريق فى ذلك القصر الفسيح ! وانه ذهب الى جناح مهجور ٠٠

وفيما هو كذلك سمع صوت باب يفتح ٠٠ فوضع يده على قبضة سيفه بحركة لاشعورية والتفت الى مصدر الصوت وقد تعلقت أنفاسه ودق قلبه تلك الدقات السريعة التى تسبق حالات غضبه وهجومه ٠

وظهر رجل طويل القامة عريض المنكبين ٠٠ وتقدم من باردليان وصاح فيه : من أنت أيها الرجل ٠

وكان الفارس الى هذه اللحظة لا يزال يستر وجهه بمعطفه ٠٠ فلما رأى الرجل وسمعه يوجه اليه هذا السؤال كشف عن وجهه وقال ضاحكا :

ـ مرحبا بك يا صديقى ! ٠٠ لم أكن أتوقع أن أراك فى هذا المكان ! ٠

وهتف الرجل الاخر فى جذل :

ـ باردليان ! ٠٠ يا الهى ! ٠ لقد حدثنى قلبى منذ قليل بهذه اللحظة السعيدة ٠

وكان باردليان بدوره فرحا مستبشرا فقال فى سرور :

ـ أوديت دى فالفير ! ٠ أهلا بأشجع شباب فرنسا ٠

ـ عفوا يا سيدى ٠٠ فأنت أستاذى ٠

وضحك باردليان ملء فيه ٠ ثم سأله :

ـ وما السبب فى وجودك فى هذا المكان ؟

ـ انها ساعات عملى ٠

ـ عملك ؟

ـ نعم ٠٠

www.rewity.com dodyado

– أتعمل فى هذا القصر ؟
– نعم ..
– منذ كم من الزمن ؟
– منذ مدة وجيزة .
– هذا غريب ! غريب حقا !!
وأدرك فالفير ما يرمى اليه فقال :
– لقد حاولت استشارتك فى هذا الامر فوجدتك سافرت مع ابنك .
– نعم لقد سافرت لمرض (برثيل) زوجة جيهان .. ولقد شفيت الان والحمد لله .
وخطر لفالفير أن يخبره بأمر (لويز) حفيدته ولكنه آثر أن يرجىء هذا الخبر حتى يبرهن له أنه ماكان ليتخلى عن مشورته . لولا سفره هو وجيهان .
وقال الفارس وهو مقطب الجبين :
– انى لم أتوقع وجودك فى هذا المكان ! بل على النقيض كنت أحسبك آخر من يفكر فى خدمتها !
فقال فالفير مأخوذا : لماذا ياسيدى ؟
– هل تعرف اسم هذه الاميرة ؟
– نعم .
– ما هو ؟
– الدوقة دى سورينتيه من العائلة المالكة فى أسبانيا على ما سمعت .
وضحك باردليان وقال : ألا تعرف اسمها الحقيقى اذن ؟
– اسمها الحقيقى ؟ اذن ما هذا الاسم الذى تنتحله .. لم يدر بخلدى أنه مزيف ! يا الهى ! . لقد كنت أشعر برهبة خفية من هذه المرأة رغم ظواهرها الخادعة .. وهذا ما دفعنى الى السعي لاستشارتك .

– أنت لا تستطيع أن تتصور وقع هذه الصدمة على نفسى . وهى وجودك فى خدمة هذه المرأة التى أعتبرها الد أعدائى .. فكأنك وضعت نفسك فى طريقى .
وتأثر فالفير من قول باردليان وقال وفى صوته رنة الاخلاص والوفاء :
– ان سيدى يعلم أننى أكثر من يكن له الحب والتقدير ! ولتتأكد من اخلاصي لك منذ هذه اللحظة .. فانى لاأكاد أجد من يبغضك فى هذه الدنيا دون أن يفعم قلبى بالحقد عليه . وبما أن الدوقة عدوتك .. فهى عدوتى ايضا بغير شك !
وتبين باردليان صدق لهجته فقال له :
– لقد طمأنتنى الان !
– وهل كنت فى شك منى !
– كـــلا .. ولكنى أريد أن ألفت نظرك الى أن الملكة مارى دى مدسيس .. ولويس الثالث عشر .. وكونسينى وغير هؤلاء من أقوياء فرنسا .. اذا وضعوا جميعا فى كفة .. ووضعت الدوقة فى كفة أخرى .. لرجحت كفتها على كفتهم من حيث القوة والدهاء !
– هذا عجيب ! .. ان مظهرها يخالف جوهرها خلافا تاما ..
– انها أشبه بقفاز من حرير يخفى يدا من الشوك !
– ياللشيطان ! من هى ؟
– انك تعرفها منذ أمد بعيد .
– ان اسمها لا يحضرنى الان ! ولا أتذكر أننى رأيت وجهها من قبل !
– انها فوستا !
فصرخ فالفير قائلا : بربك لا تقل هذا !
– انها الاميرة فوستا بورجيا !

ولبث فالفير مشدوها برهة ثم قال :

ـ فوستا التى طالما حدثتنى بشانها وسردت على وقائعها التى تقرب من الخيال !

ـ نعم هى !

ـ فوستا التى حاولت قتلك أكثر من مرة وكنت تنجو منها بأعجوبة وبعناية الله !

ـ هى بعينها !

ـ فوستا أم جيهان ! يا الهى ؟ وهل أخبرت ابنك بحقيقتها ؟

ـ كلا ·· لم أخبره ··

ـ اننى أضع سيفى تحت أمرتك ·· وروحى رهن اشارتك يا سيدى العزيز !

ـ شكرا لك يا فالفير ··

وتلفت أوديت حوله ثم قال : اذن فهى لم تمت كما حسبت !

ـ كلا ·· بل عادت أقوى وأشد فتكا عن ذى قبل ! وتاق سيفى الى الخروج من غمده بعد أن ظل ردحا من الزمن عاطلا لا يصول ولا يجول ·

ـ انى أشعر بالسعادة حين أرانى على وشك الاشتراك معك فى هذا النضال العظيم الذى كنت أمنى نفسى به وأنت تقص على قصتها ··

وقال باردليان فى صوت منخفض :

ـ لقد دخلت فوستا الان مع شارل ·· أو الدوق دانجوليم ·· وهو صديق قديم ظل بين جدران الباستيل عشر سنوات ثم سعت فى الافراج عنه ··

ـ ونجح مسعاها ؟

ـ ألم تره بصحبتها الان ؟

ـ يا الهى · ! ان هذه المرأة قوية البأس واسعة السلطان · ! وما الذى تريد منى أن أفعله ؟ ·

ـ لا أريد منك شيئا سوى أن تذهب بى الى مكان أستطيع منه أن أسمع ما يدور بينها وبين الدوق دانجوليم ·

فقال فالفير : هذا أمر هين يا سيدى

وصحبه الى حجرة مجاورة للحجرة التى جلست فيها فوستا مع شارل ·

وهمس باردليان فى أذن فالفير قائلا :

ـ اذهب الان · والبث فى مكانك وحاول ما استطعت أن تمنع مرور أحد من هذه الناحية ·

ـ لا تخش شيئا فلن يمر أحد من هذا المكان دون أن أراه ·

ـ اذن عد الى مكانك ! · واذا فرض أنهم اكتشفوا وجودى ثم استجوبوك فانكر معرفتك بى ·· وتظاهر بأنه لا تربطنى بك أية صلة ··

والظاهر ان فالفير كان ينتظر أن يكون نصيبه فى النضال أوفر من هذا القسط ! · فلم ترقه خطة باردليان وفضل أن يظل بجانبه

وفهم الفارس ما يجول بخاطره ·· فدفعه عنه بلطف وقال بلهجة آمرة :

ـ لماذا لم تذهب كما طلبت اليك ؟ · انصرف فى الحال ونفذ كل ما أشرت به عليك · وبذلك تستطيع أن تنقذنى فيما لو قبض على ·

وكان فالفير أعلم بنفسية باردليان وتشبثه برأيه · فلم يجد بدا من النزول على ارادته · وانصرف حزينا ·

كانت فوستا تجلس وجها لوجه أمام شارل ·· وكان هذا الاخير لايزال فى حيرة كبيرة يتساءل عن السر فى

سعى الاميرة الى الافراج عنه ! · وهى التى كانت من الد أعدائه واكثرهم بغضا له وكراهية ·

وقال الدوق :

ـ اننى يا سيدتى أتساءل عما دفعك الى اسداء هذا الجميل الى ·

فقالت فوستا بابتسامة رائعة :

ـ ان ما أريد أن أقترحه عليك ·· هو عرض عادل · انى أريد أن أمهد لك السبيل الى نيل حقوقك المسلوبة والجلوس على عرش فرنسا الذى هو فى الواقع ميراث شرعى لك عن أبيك المرحوم شارل التاسع ··

وفوجىء الدوق دانجوليم بقولها · فنسى وقاره وزايله هدوؤه وهو يتمتم قائلا : أنا ؟ ·· أصبح ملك فرنسا ؟ هذا مستحيل ·· مستحيل ولاشك ·

فسألته فوستا فى هدوء : ولم لا ؟

ثم ابتسمت فى خبث وقالت :

ـ هل أنساك السجن جهادك القديم ·· أم هل تعتقد أن مطالبتك بالعرش فيما سلف لم تكن قائمة على أسس الحق ؟ ·

ـ كلا ·· اننى لم أقل هذا ولم أقصده · اننى لازلت أعتقد أن هذا العرش من حقى · واننى اذا قدر لى يوما وعدت اليه فانما أعود الى شىء سلب منى وردته الاقدار الى ·· ولكن ··

فقاطعته فوستا قائلة : ولكن نيران الظلم والاستبداد قد بخرت اخر قطرة من الامل فى نفسك ·

ـ كلا ·· بل على النقيض يا سيدتى · لم يمر على يوم وأنا فى ذلك الجحيم دون أن يساورنى الامل فى العودة الى عرشى المغتصب · ولكنى أرى الامر صعب الملتمس عسير المنال · فأمامنا صعاب ·· وفى طريقنا عقبات

يخيل الى أنه من المستحيل تذليلها ·

وابتسمت فوستا ابتسامة غريبة وقالت :

ـ اننى أسلم معك بكل هذا ··

ـ حسنا ·· وما الذى تقترحينه ؟

ـ لا أقترح شيئا سوى أن تكون صبورا ·· وأن تتذرع بقوة العزيمة والثقة بالنفس

ـ انى أعتقد أن شيئا من هذه الصفات لا ينقصنى ·· ولكن كل هذا فى نظرى لا يكفى ! ·

فقالت فوستا فى لباقة :

ـ انك تتكلم فى عقل وحكمة ·· ويخيل الى أن التجارب صقلتك واكسبتك رزانة وبعد نظر ·· انى أعرف تماما أنه من المستحيل عليك وأنت بمفردك أن تقدم على هذا العمل ·· ولكن هذا المستحيل قد يصبح ممكنا اذا ما عاونتك بقوتى وسطوتى للوصول اليه ·

وكانت تتكلم فى ثقة واعتداد كما لو كانت واثقة من حكم الايام وقابضة بيدها على ناصية المقادير ! ··

ثم استطردت قائلة :

ـ ومما يقوى أزرى معاضدة جلالة ملك أسبانيا لى ! · فانه على استعداد لان يمدنى بالمال والرجال فى أى لحظة شئت

ولم يكد الدوق دانجوليم يسمع اسم ملك أسبانيا ·· واشارته الى مساعدته بماله ورجاله حتى تجهم وجهه وقال :

ـ وما دخل ملك أسبانيا فى فرنسا ؟ ·

ـ انه يمدنا بالذهب ! · بالمال الذى يكفل لنا شراء الانفس ! · ان أربعة ملايين من الجنيهات فى طريقها الان الى فرنسا ··

فقال شارل : انه مبلغ كبير · ولكنه لا يكفى لهذا

المشروع الخطير ؟

– ستتبعه مبالغ أخرى فى الاسبوع القادم ٠٠ واذا تأخر وصولها صرفت من خزائنى ما نحتاج اليه ٠

– انى أعرف قدر سيدتى اذا ما عزمت على تنفيذ رغبة من رغباتها

– انى أشكرك على هذه الثقة

– وهل هذا هو كل ما يقدمه لنا ملك اسبانيا ؟

– ان جلالته وضع تحت امرتنا جيشين عظيمين على أتم الاستعداد لتلبية أول اشارة منا ٠

وهم شارل بالكلام ٠٠ فادركت فوستا أنه يريد الاحتجاج ٠٠ فقالت بسرعة :

– أعرف أنك لا تريد ارتقاء العرش بمعاونة جنود أجنبية حتى لا تثير سخط الشعب عليك ٠٠ ولكنى احتطت للامر ، واعددت العدة لذلك ٠٠ فهذه الجيوش موجودة فعلا فى فرنسا ٠

– نعم ٠٠

– لعلها غزتها وأنا فى الباستيل ٠ !

– كلا ٠٠ انها لم تغزها ٠٠

– اذن كيف دخلت ؟

– يوجد فى باريس والقرى المجاورة أكثر من خمسة آلاف من الرجال ٠٠ يستترون تحت مهن مختلفة وصناعات متعددة ٠٠ فمنهم العامل والتاجر ٠٠ ومنهم المتسول الذى يجوب الطرقات ٠! وكل هؤلاء رهن اشارة واحدة منى ٠

فقال شارل دهشا :

– هذا تنظيم عجيب حقا ! ٠ ولكن ٠٠

– ولكن الذخائر ٠ ! أليس كذلك ؟ ٠

– نعم ٠٠ انها لازمة ٠٠ فالرجال ليسوا كل شىء

– توجد أربعة مخازن من الخشب فى باريس ٠٠ شيدت حديثا ٠٠ وهذه المخازن ما هى فى الواقع الا مستودعات للبارود والبنادق وما عدا ذلك من معدات القتال الحديثة ٠

فقال شارل بصوت حالم :

– انك لم تتغيرى يا سيدتى ٠ ! فلا زلت الاميرة فوستا الواسعة الآمال ٠٠ التى لا تعرف الى الكلل سبيلا ٠

ولم تجب فوستا ! ٠

وسادت فترة سكون بينهما ٠ كان كل منهما فى خلالها يستعيد فى ذهنه ذكرى ذلك الماضى القاسى الاليم ! ٠ وما كان بينهما من نضال دموى تقشعر له الابدان !

ولم يدر بخلد أحدهما أن الفارس باردليان بطل هذه الحوادث ٠٠ واقف على قيد خطوات منهما ينصت الى كل كلمة تنفرج عنها شفاههما

وعاد ركب الذكرى بشارل الى الحقيقة والواقع ٠ فسأل فوستا :

– هل أستطيع أن أعرف النصيب الذى يطلبه ملك اسبانيا لنفسه ازاء هذه المساعدة العظيمة التى يبذلها لى ؟

– انك محق فى هذا السؤال ٠

– كما اننى أريد أن عرف أيضا نصيبك انت ياسيدتى فى هذا الامر ٠

وترددت فوستا قليلا ثم قالت :

– انى أطلب امهالى فى الاجابة عن هذا السؤال ٠

– ولكنى ألفت نظرك يا سيدتى الى أنه اذا كانت الشروط المقابلة لهذه المساعدة ٠ تبدو لى متناقضة مع واجبى الوطنى ٠ فاننى أرفضها فى الحال ٠ وأفضل أن

أعود الى الباستيل على أن أخون فرنسا ٠

وابتسمت الاميرة ابتسامة عريضة وقالت :

ـ اننى أعرف وطنيتك العظيمة وأقدرها حق قدرها ! ٠ فهدىء من روعك يا عزيزى ٠ لانى واثقة من أن هذه الشروط عادلة ٠ ومعقولة ومن أنك سوف تقبلها بمجرد علمك بها ! ٠

ـ وما هى هذه الشروط ؟

ـ أن تقوم فرنسا فيما بعد بتسديد ما قام جلالة ملك أسبانيا بدفعه لك ! وسيكون هذا التسديد موزعا على أقساط لا ترهق ماليتك ٠ هذا من ناحية ٠٠ ومن ناحية أخرى سيطلب فيليب الثالث ملك أسبانيا من شارل العاشر ملك فرنسا أن يربط البلدين بمعاهدة صداقة قوية ٠٠ ومحالفة متينة ٠

فقال شارل مبهوتا : أهذا كل ما فى الامر ؟

ـ نعم ٠٠

ـ ألا يبغى جلالة ملك أسبانيا جزء من أراضى فرنسا أو حدودها الجنوبية ثمنا لمساعدته ؟ ٠

فقالت فوستا فى لهجة صادقة : كلا ! ٠ ان شيئا من ذلك لم يدر فى خلده بطبيعة الحال ٠

ـ ولكنه كرم بعيد التصديق ٠

ـ انى لا أكتم عنك ان جلالة ملك أسبانيا كان يريد انتزاع جزء من أراضى فرنسا فى نظير هذا العمل ٠ الا ان الدوق دى (لرم) ٠ قد نصحه ألا يظهر مثل هذه الرغبة ٠ وتمكنت أنا من اقناعه بأن المحالفة مع فرنسا أجدى وأنفع من سلخ بعض أراضيها ٠ اذ لو انضمت الدولتان لامكنهما تحقيق ما يرميان اليه من التوسع والغلبة على سائر دول أوربا

فقال شارل وفى عينيه بريق الاعجاب :

ـ انك تعدين حجة وثقة فى السياسة الخارجيـــة يا سيدتى ! ٠ ولا شك ان هذا الجميل الذى أسديته الى ٠ سيظل أبد الدهر منقوشا على صفحات قلبى ! ٠ ولن يجد جلالة ملك اسبانيا أصدق وأوفى منى حليفا ٠

وابتسمت الاميرة ابتسامة النصر والظفر ٠ ثم قالت :

ـ لاشك اننى أستطيع أن أحتفظ بهذا الوعد الذى قطعته على نفسك يا عزيزى ٠

ـ بكل تاكيد يا سيدتى ٠

وكان يتكلم فى حماس مقرون بالسرور الذى لم تغب علائمه على فوستا

وأردف شارل :

ـ لقد انتهينا مما يطلبه ملك أسبانيا ٠ ولم يبق الا أن أعلم ما تطلبينه أنت يا سيدتى ٠

ـ انى أكتفى بشروط أسبانيا ! ٠ ولا أحتفظ لنفسى الا بشىء تافه ٠

ـ انى أعدك بتقديمه لك من الان

ـ كلا ٠٠ لن أصرح به الى ما قبل ذهابك الى كنيسة (نوتردام) بيوم واحد ٠

ـ نوتردام ! ٠

ـ نعم ! ٠٠ قبل ذهابك الى هناك لتتوج ملكا على فرنسا ومستعمراتها ! ٠

فقال شارل رغما عنه : يا الهى ! ٠ انه حلم ذهبى جميل !

ـ وأنت أهل لتحقيقه ٠

ـ فى هذا اليوم الذى تشيرين اليه ٠ ستجدين أن ملك فرنسا سيبر بالوعد الذى قطعه على نفسه الدوق دانجوليم ! ٠ مهما كانت طبيعة الطلب الذى تتكرمين بابدائه ٠

www.rewity.com dodyado90

ـ انى أحتفظ أيضا بهذا الوعد ياسيدى الدوق !

وفى هذه اللحظة · شعر باردليان بوقع أقدام تقترب منه · فحسب لاول وهلة انه (فالفير) قد عاد ليطمئن عليه ·

ولكنه حينما التفت الى مصدر الصوت · وجد رجلا طويل القامة ضخم الجثة ·· يتقدم منه مسرعا ! ·

وفوجىء باردليان برؤية الرجل ! لا خوفا من قتاله · بل خشية أن تتنبه فوستا الى وجوده فتضيع عليه فرصة الاستماع

وخف باردليان الى ملاقاة الرجل فى سرعة وحذر · وقد شهر سيفه فى يده

وقال الرجل وهو ينظر اليه نظرة غاضبة :

ـ من أنت ؟ ولاى غرض جئت ؟

فأجابه باردليان :

ـ اننى لست متطفلا ، لقد أمرنى هذا الشخص · بالدخول

وأشار الى ما خلف الرجل ، فلما التفت هذا الاخير وراءه انقض عليه باردليان وكمم فمه بمنديل ، وقال له وهو ينحنى :

ـ معذرة يا سيدى ! ·· ليس من شأنى أن أضرب من الخلف ! ·· أو آخذ الرجال غيلة ، ولكنى خشيت أن يفسد على صوتك المزعج كل شىء ·

وجن جنون الرجل ! ·· وحاول ان يرفع المنديل عن فمه ! ·· ولكن باردليان لم يمكنه من ذلك ، بل رفع سيفه فى الحال ودعاه الى المبارزة ·

وترك الرجل المنديل ! ·· واستل سيفه وتاهب لملاقاته وقال الفارس :

ـ انى اخشى كذلك ان يسمع احد صليلَ سيوفنا ، ولذا سأكفيك مؤونة القتال ، وأأنزع سيفك منك

وانقض الرجل بقسوة وخشونة على الفارس الذى زاغ منه فى مهارة ··

وبذل باردليان قصارى جهده لكيلا يلتقى السيفان الا للدفاع عن نفسه فحسب ·

واخيرا تمكن من تجريد العملاق من سيفه ، والقاه بعيدا عنه ، ثم انقض عليه وانتزع احد الحبال المعلقة فى الستائر وقيد يديه وقدميه ، ثم القاه فى ركن بعيد وهو يقول :

ـ تستطيع الان ان تنام هادىء البال !

ثم عاد باردليان الى مكانه الاول ليسمع بقية حديث فوستا الخطير ·

وعندما ارهف اذنيه سمع فوستا تقول

ـ اريد ان ابسط لك الان خطتى ·· مادمت قد قبلت شروطنا ·· واقسمت على العمل معنا ·

ـ نعم يا سيدتى ! ·· يجب ان يكون لى رأى فى هذه الخطط ·· فربما ابدى من النصائح ما يكون ذا جدوى ··

وسكتت فوستا برهة ثم قالت فى صوت رهيب :

ـ يجب ان نتخلص قبل كل شىء من الملك لويس الثالث عشر · حتى يكون طريقك الى العرش سهلا معبدا ·

فانتفض شارل وقال :

ـ معنى ذلك ان سيدتى تريد إن تجعل مصير لويس الثالث عشر كمصير والده هنرى الثالث ! ·· هذا مريع !

فقالت فوستا فى برود :

ـ لقد قتل جان كليمان هنرى ! ·· واوشكت خططى

على النجاح لولا باردليان ! .. فانه قتل الدوق دى جيز ! .. وشردنى وطردنى من فرنسا شر طردة .

وظهرت على وجهها امارات الحقد ثم قالت :

ـ لولا هذا اللعين ، لكان الدوق دى جيز الان ملكا على فرنسا ! ولكنت انا كذلك ملكة متوجة .

وتنهد شارل وقال : واين هو باردليان الان ؟

ـ ان الشياطين وحدها التى تعرف مكانه ! . انه ليس فى فرنسا بطبيعة الحال .. والا عرفت ذلك من رجالى وجواسيسى ! .. انى اعتقد انه الوحيد الذى يستطيع عرقلة أعمالى !.. اذ لا توجد قوة فى العالم تصمد أمام فوستا .. الا هذا الشيطان ! . .

وقال شارل :

ـ ولكنى لا اريد ان اقتل لويس الثالث عشر .. ان مطالبتى بحقى فى عرش فرنسا هى مطالبة مشروعة .. ولكن القتل غير مشروع يا سيدتى .

فانفجرت فوستا ضاحكة وقالت :

ـ اراك تتكلم عن المشروعية وعدمها . هل قلت لك انك ستنصب قاضيا فى محكمة باريس . كلا . . انك ستكون ملكا .. وما الذى يمنعنا من قتل لويس الثالث عشر مادمنا لا نجد امامنا طريقة اخرى غير التخلص منه ؟

ـ اننى وان كنت ارتكبت قبل دخولى السجن من الهفوات ما اعتبرها اشنع من الجرائم .. الا اننى اعتبر نفسى نقية وروحى طاهرة الجوهر .. فانى لم أدنس يدى فى يوم من الايام بدماء رجل برىء ياسيدتى .

فقالت فوستا فى احتقار

ـ اراك اذن تتقهقر امام صغار الامور . .

ورمقته بنظرة من نظراتها الحادة الباردة التى تحطم

اقوى الشخصيات واشدها ارادة .. وقالت :

ـ ألم تسمع من قال ان الغاية تبرر الواسطة ؟

فقال شارل مغلوبا على امره : بلى ..

وادركت فوستا من هيئته انه قد تخاذل فقالت :

ـ لا أخالك تعتقد أننى سأكلفك بأداء هـــذه المهمة بنفسك .. انك تريد ان تعتلى عرشا .. فما عليك الا اصدار الامر باخلاء هذا العرش من مغتصبه . فهل تفكر فى الاحجام . ام من طبيعتك الجرأة والاقدام . خبرنى ؟ ما الذى اعتزمته ؟

فقال شارل : انك محقة يا سيدتى .. لقد كانت لحظة ضعف خالجتنى ولا اعتقد انها ستعود ..

ـ ان ظنى لا يخيب فيمن على غرارك من الرجال .

ـ شكرا ! ولكن هل اعددت اليد التى ستنفذ حكم الاعدام والتى لا تخطىء ؟

ـ نعم ..

بيد ان فوستا لم تكن الى هذه اللحظة قد عثرت بعد على الرجل الذى يصلح للقيام بهذه المهمة العسيرة .. ولكنها اضطرت الى الكذب حتى تقتل فى نفسه كل تردد او احجام . .

وسأل شارل : ومن هو هذا الرجل ؟

وترددت فوستا قليلا ثم قالت :

ـ انه شاب فقير ! .. التقطته من حثالة الشعب لما تبينته فيه من الجرأة والاقدام .. فأغدقت عليه من نعمى ما جعله اطوع لى من بنانى ! .

فقال شارل : وما اسمه يا سيدتى ؟

ـ ليس من الضرورى ان تعرفه ..

ـ ولم لا ؟ ألست انا الذى يعنينى هذا الامر ؟

فقالت فوستا انه يدعي اوديت دى فالفير ..

فقطب شارل حاجبيه كأنه يبحث فى ذاكرته عن صاحب هذا الاسم . ثم قال : اننى لا اعرفه ..

ثم اردف : وهل انت واثقة من انه سوف يؤدى هذه المهمة على الوجه الاكمل ؟

ـ الواقع انى لست على تمام الثقة من قبوله

وارتعد شارل وقال :

ـ وكيف نكل اليه هذه المهمة اذن ..

فابتسمت فوستا ابتسامة الواثق وقالت :

ـ اننى اعرف كيف احمله على الاذعان .. واعرف اسرار الرجال ونقط الضعف فيهم ! .. ان هذا الشاب يحب فتاة حبا يقرب من العبادة .

فقال شارل : ان قصة جان كليمان تعيد نفسها !

ـ تماما ! . فلقد كان جان يحب الدوقة دى مونباسيه شقيقة جيز . وهى التى دفعته الى حمل خنجره المسموم .. فقضى على هنرى الثالث بضربة كالصاعقة ! ..

ـ ومن هى عشيقة فالفير هذا ؟ ..

ـ انها فتاة رائعة الجمال ! .. قد تمكنت من استدراجها . . ونثرت شباكى حولها .. وسوف ادفعها الى حثه على القتل .. لانها تتمنى ان تراه عظيما .. وسوف اعمل على اقناعها بأنه اذا قتل لويس الثالث عشر .. فسيجعله الملك الجديد قائدا لحرسه الخاص ..

وقال شارل فى اعجاب : هذا رائع ولا شك .

وسكتت فوستا قليلا ثم اردفت :

ـ ان هذه الفتاة التى يحبها اوديت دى فالفير تشبه كثيرا زوجتك فيوليتا . .

فانتفض شارل عند سماعه اسم زوجته وقال :

ـ فيوليتا ! .. يا الهى .. اين هى الان ! .. لقد نسيت امرها ! .. لا شك ان الحزن قد قتلها بعد القائى فى الباستيل ..

فابتسمت فوستا وقالت فى خبث

ـ يبدو لى انك لا تفهم كثيرا طوايا النساء ! . .

ـ ماذا تقصدين يا سيدتى ؟

ـ ان فيوليتا لم يقتلها الحزن يا عزيزى ! .. بل لا زالت على قيد الحياة ! ..

فقال شارل بلهجة حزينة : انها تعيش بأمل لقائى

ـ ربما كانت تعيش بأمل ! . ولكنه ليس امل لقائك على اى حال !

فقال شارل مذعورا : هل نسيتنى ؟

ـ كلا ! فالمرأة لا تنسى حبيبها الاول كما يقولون .. لا تنسى شخصه .. ولكنها تنسى حبه !

ـ هذا مستحيل يا سيدتى ! . . ان فيوليتا اوفى واصدق من عرفت من النساء

ـ ان الكثير من النساء يخلصن لازواجهن مادامو على قيد الحياة .. فاذا ما حرمتهن الاقدار منهم .. تخلين عن هذا الحب وذاك الاخلاص .

فقال شارل من بين اسنانه غاضبا :

ـ ان كان ما تقولين صحيحا .. فالويل لها !

ـ واين هى منك الان ؟ انها فى احضان ضابط شاب سافرت معه الى ايطاليا .

واستطردت فوستا قائلة فى لهجة رقيقة كأنها تحاول ان تخفف من وطأة هذه الطعنة النجلاء التى صوبتها الى صميم فؤاده :

ـ ليس هذا وقت السعى وراء الحب او الكراهية ! انه وقت الامل والعمل على تحقيقه ٠٠ واياك ان تقع فيما وقعت فيه وانت شاب يسوقك قلبك وتهمل نداء عقلك ٠

فهز الدوق دانجوليم رأسه فى يأس وقال : هذا صحيح

وادارت فوستا دفة الحديث قائلة :

ـ لقد اخبرتك ان الفتاة التى يحبها اوديت دى فالفير ٠٠ تشبه فيوليتا شبها عظيما ٠٠ فلقد كانت فيوليتا ضالة فى الطرقات لا تعرف لها ابا او اما ٠ وكانت تغنى للشعب مستجدية ٠٠ وكذلك الحال مع عشيقة فالفير ٠٠ فهى فتاة ضالة لا تعرف ابويها ٠٠ تبيع الزهور فى الطرقات ٠ ويسميها الفرنسيون (زهرة السوسن) كما كانوا يسمون زوجتك (زهرة البنفسج) او فيوليتا !

فقال شارل محتجا :

ـ ولكن هناك فارقا كبيرا بينهما ٠٠ فقد كانت فيوليتا من بيت مجد اثيل ٠ وحكمت عليها الظروف القاسية بالتشريد ! انها حفيدة الكونت مونتيج وابنـــة الامير فارنيز !

فقالت فوستا مطيبة خاطره :

ـ هذا ما كنت على وشك ان اقوله ٠ بيد ان ذلك لا يفرقها عن موجيت ٠٠ فكلتاهما وليدة حب اثيم ٠٠ وموجيت ايضا من بيت مجد اثيل !

وعجب شارل ٠٠ وهم بالكلام ٠فقالت فوستا

ـ ستسألنى ولا شك عن ابويها ؟

ـ نعم !

ـ اننى انا الوحيدة فى هذا العالم التى اعرف هذا السر الخطير !

ـ وما عمرها ؟

ـ سبعة عشر عاما ٠٠ ولقد اعتقد ابواها انها ماتت بعد ولادتها وعهدا بها الى احد الخدم ليقتلها غرقا ٠ فدفع بها الى امرأة عجوز قامت على تربيتها ٠

فقال شارل متاثرا :

ـ مهما يكن من امر هذين الوالدين فهما اقرب الى الوحوش منهما الى بنى الانسان ٠٠

ـ ان قصة هذه الفتاة تهمك الى حد كبير ٠٠ وسوف اقصها عليك فى فرصة اخرى ولكن ما يهم الان ان تعلمه ٠ هو ان صعودك الى العرش يستلزم حتما قتل هذين الوالدين ! ٠ ولا يفوتنى ان الفت نظرك الى انهما قويان واسعا الحيلة عظيما السطوة والسلطان ٠

ـ حسنا ! ٠ انى على استعداد لمنازلتهما ٠٠ كما اعتقد انك انت الاخرى قد اتخذت العدة لهذا النزال ٠

ـ نعم ! ٠ لقد اعددت كل شىء ٠٠ وابتدأت موجيت تنضوى تحت لوائى ، وقد نجحت فى تأخير زواجها من فالفير ٠ حتى لا يطفىء الزواج نار الحب او يخفف من لهيبها

ـ هذا عظيم يا سيدتى ٠ وانى لا اريد ان يأتى اليوم الذى لا ترى فيه موجيت الا بعينيك ٠ ولا يجيش صدرها الا بما ينبض به قلبك من رغبات ياسيدتى ٠

ـ سوف يأتى هذا اليوم قريبا ٠

واذا ما اتى امكننا ان نلقى بقنبلتنا فى التو واللحظة مادمت على يقين من حب فالفير لها .

ـ انه يحبها فى جنون كما كنت تحب فيوليتا وانت شاب !

ـ هذا رائع يا سيدتى ! انك لم تفقدى شيئا من حسن تدبيرك وحدة ذكائك ٠

وما سمع باردليان هذه الجملة حتى قال بينه وبين نفسه :

ـ مسكين يا شارل ! · لقد تمكنت هذه الشيطانة من خنق ضميرك هذا الضمير الذى كنت تعتز به وترضخ لاوامره ! ها انت تقتله بيديك لتحقيق امل خادع ! انك تطرب لدفع فتاة بريئة الى حتف حبيبها على انفراد !·· او بعبارة اوضح على الانتحار !

يجب ان انقذ فالفير ـ هذا الطفل البريء ـ من براثنكما !

وتكلم شارل ·· فأرهف باردليان السمع · قال :

ـ ومتى نبدأ العمل يا سيدتى ؟

ـ اننى ··

وفى هذه اللحظة سمع طرق على الباب ·· فتوقفت فوستا عن الكلام ·

ولم يهتم شارل بهذا الطارق ·· كما لم يدر بخلد باردليان ان هناك خطرا يحلق فوق رأسه بسبب هذا الدخيل ·

اما فوستا ·· فانها ادركت للتو ان شيئا هاما قد استدعى خادمها لازعاجها وهى منهمكة فى هذا الحديث الخطير ·

ورغم ذلك · ظل وجهها جامدا لا ينم عن تلك الشكوك التى ساورتها فقالت فى صوت هادىء :

ـ من بالباب ؟

فاجاب صوت اجش : دالباران يا مولاتى ·

ـ ادخل ·

ودخل دالباران ·· فارتاع شارل من تلك القامة المديدة وهذا الجسم الضخم ·

وانحنى العملاق امام سيدته فى احترام ·· ثم مد يده اليها بمظروف صغير وهو يقول :

ـ انه بريد هام ·

ونشرت فوستا الرسالة ·· والقت عليها نظرة سريعة ! · وهى ثابتة الجنان ·· مسيطرة على نفسها ومشاعرها ! كما لم تزايل الابتسامة شفتيها ولو كانت امرأة اخرى فى مكانها لصعقت من هول الصدمة التى تلقتها بين سطورها !

اما هذه الرسالة فكانت ممهورة بامضاء (دالباران) ! . وقد كتب فيها

« طرق رجل باب القصر ثلاث طرقات متفرقات ·· ثم القى كلمة السر ،، ودخل القصر ·· ولما ابلغنى الحارس انه ليس أحد المعتادين على التردد علينا ·· انطلقت فى البحث عنه مع زميل لى ·· وقد بحثت طويلا دون جدوى · كما لم يعد هذا الزميل واخيرا رأيت من الطاقة السرية فى الطابق الثانى رجلا يسترق السمع !·ولايزال واقفا حتى هذه اللحظة التى تقرأ فيها مولاتى الخطاب ·· وراء الباب الغربى فى هذه الغرفة ·

« وقد رأيت زميلى ملقى على الارض ·· مقيدا · وتأكدت فى النهاية ان هذا الرجل هو الفارس باردليان »

« دالباران »

وقد تلقت فوستا هذا النبأ بما عهد فيها من الثبات ورباطة الجأش فلم يظهر على وجهها اى اثر سوى دلائل تفكير هادىء عميق ! · وكل ما فعلته انها طوت الورقة بين اصابعها فى عصبية ! ·

ولاحظ شارل ذلك فسأل هل من اخبار سيئة يا سيدتى · ؟

www.newfly.com dodyaddo

ـ هذا ما لا استطيع ان اصارحك به ! · فقد يكون الخبر سيئا · كما قد يكون حسنا ·

ثم التفتت الى دالباران وقالت :

ـ حسنا يا دالباران ! · سأذهب اليه بنفسى .

ونظرت اليه بما يعبر عن رغبتها فى بقائه بجانبها ·· وعلى مقربة منها

الفصل السابع

النضال الرهيب

ونهضت فى كبرياء وشموخ ·· وسارت فى تؤدة وجلال الى ناحية الباب الذى يرهف باردليان السمع من ورائه ·

وادرك الفارس انها كفت عن الكلام ! ·· بعد أن سمع ما دار بينها وبين دالباران من الحديث ·· فاوجس خيفة . · وتلفت حوله فى حرص

ولما سمع وقع اقدام تقترب ·· اسرع الى الممشى الذى اقبل منه وصاح :

ـ يا الهى ! · لقد اغلقوا الابواب ! · عجبا ! ·· انى لم اسمع صوت اغلاقها !

ووقف حائرا لا يدرى ماذا يفعل وهو يحدث نفسه قائلا :

ـ لقد فهمت ! · لابد ان هذا « البريد الهام » الذى حمله اليها خادمها كان يتضمن خبر عثورهم على · ! يالى من غرابله

والقى باردليان بمعطفه على الارض ·· حتى يصبح خفيف الحركة مستعدا للنضال . · وربت على قبضة سيفه

وقال :

ـ هيا ايها السيف العزيز ! · لقد آن وقت يقظتك من سباتك انها فوستا ·

وفتح الباب ! ·

وظهرت فوستا فى روعتها ورهبتها !

ووقف باردليان منتصب القامة ·· ثابت الجنان ·· رابط الجاش ·

وانفرجت شفتا فوستا عن ابتسامة فاتنة رائعة ·· وتألقت عيناها بذلك البريق المزدوج الذى كان وقفا على باردليان · بريق النقمة والغضب والرغبة الجامحة المزوجة بالحب العميق .

وقالت فى رقة :

ـ تفضل بالدخول يا فارسى المحبوب ! · ان ما وراء الابواب ليس هو المكان اللائق بمن هم على شاكلتك من الشجاعة والنبل ·

وأدرك باردليان ما فى لهجتها من تهكم فقال وهو ينحنى فى رشاقة :

ـ الف شكر لك يا اميرتى ·

ودخل الحجرة ·· بقدم ثابتة · وابتسامة مشرقة ·· وهو يقول :

ـ كنت اعلم اننى لم اكن فى المكان اللائق بى ·· ولكن ما فعلته لم اكن اجسر على التشرف بالتماسه منك .

فقالت ولم تفارقها لهجتها الرقيقة : ولم لا ؟

ثم اضافت بلهجة جدية

ـ اؤكد لك ·· اننى لم اكن لارفض طلبك لو احطتنى علما برغبتك فى حضور حديثى مع الدوق دانجوليم ·

ـ انى على يقين من ذلك يا سيدتى ·· الا أنك كنت

وغلى الدم فى عروق الدوق دانجوليم ! · وشعر بوقع الاهانة على نفسه ! · وعض باسنانه على شفته السفلى حتى كاد يدميها ·· وقابل باردليان بنفس البرود الذى قابله به · وقال :

ـ معنى ذلك اننا اصبحنا عدوين ! ·

فقال الفارس فى غير اكتراث

ـ هذا الامر يتوقف عليك انت ·· لا على !

ثم التفت الى فوستا وقال :

ـ الا ترين يا سيدتى ضرورة التفاهم بيننا ؟

فاجابت مبتسمة : اننى اتوق الى ذلك منذ امد بعيد ! ·

ـ هل لى اذن أن أتحدث اليك على انفراد ؟

ـ بكل سرور يا فارسى المحبوب !

ثم التفتت الى دالباران وقالت :

ـ اذهب الى الغرفة المجاورة واعدها .

فتحول دالباران لتنفيذ الامر · فقالت فوستا موضحة :

ـ الغرفة الفاخرة التى فى اسفل البرج

ـ لقد فهمت يا مولاتى ·

ثم قالت للفارس :

ـ اننى آثرت ان نتحدث فى هذه الغرفة لانها أفضل وآمن من الغرف الاخرى · اذ لا يمكن لانسان أن يسمع ما يدور بيننا من حديث ·

فقال باردليان ضاحكا : الامر سيان عندى · هيا بنا ·

وخرجا الى الممشى ·· وساروا الى غرفة البرج حيث كان (دالباران) يرتب مقاعدها فى شكل خاص ·· حتى اذا ما دخلا الغرفة · استأذن من مولاته وانصرف ·

واشارت فوستا الى أحد المقاعد وقالت :

ستتحاشين بعض العبارات التى نطقت بها وسمعتها من وراء الباب ·

ومرت برهة سكون بينهما · كان الناظر اليهما يخدع فيما يكسوها من هدوء غريب ! ويحسب انهما حبيبان سعيدان ينعمان بفرصة لقاء

والواقع ان فوستا كانت فى هذا الوقت تفكر فى أفضل واجدى الطرق للتخلص منه ·

اما باردليان ·· فلم يبد عليه انه لاحظ وجود شارل ·· صديقه القديم ·· او دالباران ·· تابع فوستا ! · بل كان يفحص القاعة بطرف خفى ويدرسها دراسة وافية استعدادا للطوارىء ·

اما شارل ·· فانه لبث برهة مشدوها ·· لا يتكلم من هول المفاجأة ينظر الى باردليان نظرة ملؤها الحب والوفاء لصداقتهما القديمة ·· ثم افاق من ذهوله فجأة واندفع نحو الفارس وهو يقول فى صوت متأثر :

ـ باردليان ! · صديقى ·· اخى ! · كم انا سعيد برؤيتك يا عزيزى !

وقابل باردليان كلماته بابتسامة باردة · ثم انحنى أمامه قليلا ولم ينبس ببنت شفة !

وفوجىء شارل بهذا المسلك الخشن فقال :

ـ ماذا حدث بيننا يا باردليان ؟ · اهكذا تستقبل أعز صديق لديك بعد غيابه عنك عشر سنوات فى جحيم السجن ! ·· الم تر يدى التى امدها اليك ؟

فقال باردليان :

ـ انه لشرف عظيم لفارس حقير مثلى ان يتنازل صاحب الجلالة شارل العاشر ملك فرنسا بمصافحته ! ·

ولكنه لم يصافح اليد الممدودة اليه !

ـ تفضل بالجلوس يا عزيزى

وجلس باردليان على المقعد الذى قدمته اليه . . اما هى . . فقد جلست قبالته وأمامها منضدة صغيرة .

وضربت الاميرة بمطرقة من الذهب على لوح رنان من الفضة . . فاقبل دالباران .

ـ هل أقبلت فرقة المساء ؟ .

ـ منذ نصف ساعة يا مولاتى .

ـ جميعهم .

ـ نعم يا مولاتى .

ونظرت الى باردليان نظرة فهم كنهها !. الا أنه لم يكن من السهل ادخال الذعر على مثل قلبه !. فقال فى نفسه :

ـ اننى لا أجهل ايتها الشيطانة ان النضال الرهيب قد ابتدأ بيننا . ولكنى لا أعرف شيئا من أسرار هذا القصر !. انى أشعر هذه المرة بخوف لا أدرى مبعثه .

وقالت الاميرة لتابعها :

ـ ادع الدوق دانجوليم . .

فانحنى التابع . . وانصرف مسرعا . . وبعد برهة دخل شـــارل . . فدعته الاميرة الى الجلوس بجانبها . . وقالت لدالباران :

ـ ـ ليأت رئيس الحراس لمقابلتى . .

وذهب دالباران . . بينما نظر باردليان نظرة طويلة وقال :

ـ انى اعرف ان الاميرة فوستا لن تترك فرصة وجودى بقصرها دون أن تنتقم منى ! . ولا شك انك اعددت العدة لهذا الانتقام .

فلم تجب فوستا الا بابتسامة مقتضبة . .

وبعد قليل دخل رئيس الحـــراس . . اوديت دى فالفير . . فانحنى امامها . . وادى التحية العسكرية . . وتجاهل وجود باردليان . .

اما هذا الاخير . . فانه خشى ان تكون فوستا قد ادركت علاقة فالفير به . . ولكنها قالت له :

ـ اجر تحقيقا فى الحال لتعرف المسئول عن دخـول هذا الشخص الى قصرى . .

واشارت الى باردليان . . فأومأ فالفير برأسه . . وانصرف . .

واطمأن الفارس . . وتظاهر بعدم الاكتراث لهـذه المناورات وقال :

ـ انك لم تشف بعد من هذا المرض العضال الذى كان سبب الفرقة بينى وبينك . . وهبعث عدائنا ! . وها أنت قد عدت الى فرنسا لتمثلى نفس الدور الذى مثلته مع الملك هنرى الثالث ! . الا أنه فى هذه المرة اشد قسوة . وابشع .

فقالت فوستا فى برود : ولم ؟

ـ لانك أنت والسيد شارل الدوق دانجوليم . . مقدمان على قتل طفل لم يبلغ الحلم بعد ! . وهو لويس الثالث عشر ! . انها حقا لمأساة جديرة بأن تسجل فى صفحات التاريخ بحروف من دم ! .

فقالت فوستا فى هدوء : وما الذى يغضبك أنت ؟

ـ ما الذى يغضبنى ! . ان التاريخ يعيد نفسه يا سيدتى !. لقد حسبت أننى أخلدت الى الراحة حتى أقضى البقية الباقية من أيامى بعد أن قتلت الدوق دى جير ! . واذا بك تقومين بنفس الدور . . وفى نفس الظروف ! . ولذا أجد نفسى مضطرا الى امتشاق سيفى من جديد . .

فابتسمت وقالت : وهل ترى أن من الضرورى تدخلك يا سيدى الفارس ؟ ٠

ـ نعم يا سيدتى ! ٠ سأقاتلك مضطرا ٠٠

ثم أردف قائلا :

ـ انك ولاشك قد ذهبت الى البركة المقدسة التى كانت تقص على جدتى الشيء الكثير من أقاصيصها ٠٠ وكنت أحسبها خرافة لا ظل لها من الصحة ، اذ كانت تقول ان ماء هذه البركة اذا اغتسل به الانسان ظل أبد الدهر شابا لا يعرف الشيب طريقا اليه ! لقد اغتسلت بها يا سيدتى ولاشك ! ٠ لانك لم تفقدى شيئا من جمالك وفتنتك ! ٠ لم تفقدى مثقال ذرة من آمالك الكبار وأطماعك التى لا حد لها ٠

أما أنا ! . أنا الذى لا أمل لى الا اسعاد البشرية والدفاع عن الضعيف والذود عن المظلوم ٠٠ ها قدهرمت وأضعفنى الشيب ٠٠ وهدت الايام من كيانى ! ٠ وقصفت المتاعب عود شبابى ! ٠ فأنا أحوج الى الراحة منى الى القتال ! ٠ ورغم ذلك .. أجد نفسى مسوقا الى الحد من سلطانك يا سيدتى ٠٠

كان باردليان يلقى عبارته فىلهجةمؤثرة ! ٠وظلت فوستا وشارل يرمقانه بنظرة اعجاب ٠٠ وقد بدا شابا فى عنفوانه ! . عريض المنكبين معتدل القامة

وقالت فوستا :

ـ انك تبالغ كثيرا ٠٠ ومع هذا فلازلت مصرا على ضرورة استئناف القتال بينى وبينك ٠٠

ـ هذا لاشك فيه ! .

فقالت فوستا وعلى وجهها دلائل الحيرة :

ـ انني لا أكاد أفهمك ! ٠ فقد تكون محقا في قتالك لي

فيما مضى وتحطيمك آمالى ٠٠ وطردك لى من فرنسا بأسرها لاننى كنت أماليء رجلا تكرهه ٠٠ وتعده أنذل فرسان فرنسا ٠ وهو الدوق دى جيز ! ٠ أما الان ٠٠ فاننى أشد أزر صديق قديم لك ٠٠ كنت تنزله منزلة الاخ وتحتفظ له فى قلبك بأكثر ما يحتفظ به صديق لصديقه ! . فاذا بك تصر على منازلتى ومناهضتى ! ٠٠ انى لا أجد مبررا لهذا التصرف يا باردليان !

فابتسم باردليان وقال : بالاختصار ٠٠٠ انت تطلبين منى الاسباب التى تدفعنى الى مقاومتك بكل ما أملك من قوة ٠٠٠ ؟ أليس كذلك ؟ ٠٠

ـ نعم ! ٠٠

ـ ان هذه الاسباب متعددة ٠٠ وسأذكر لك الواحد بعد الاخر فى التو واللحظة

ـ انى مصغية اليك ٠٠

ـ بل وسأقيم الدليل على صحتها

ثم التفت الى شارل وقال له :

ـ لقد وعدت فوستا بمنحها شيئا فى اليوم السابق لذهابك الى كنيسة (نوتردام) لتتوج ملكا ؟

فقال شارل بصوت خافت : نعم ٠٠ لقد وعدتها ٠

ـ هل تعلم هذا الشيء ؟ ٠

ـ كلا ٠٠ انى لا أعلمه ٠٠ ولكنى أعتقده معقولا مادامت الشروط الاخرى كذلك ٠٠

فقال باردليان فى خبث :

ـ هل لك أن تطلب من سموها أن تفصح لك الان عن هذا المطلب ؟ ٠٠

فنظر الدوق دانجوليم الى فوستا وقال :

ـ لعلك سمعت سؤاله يا سيدتى

فقالت فوستا :

ـ سوف أتكلم اذا ما حانت ساعة الكلام ٠

فانحنى باردليان أمامها وقال فى هدوء :

ـ اذا تنازلت مولاتى وخولتنى حق الكلام عوضا عنها ٠٠ صرحت بهذا المطلب الان ! فهل تأذنين لى ؟ ٠

فأجابت بعد تردد :

ـ أنت تعرف يا سيدى الفارس أن لك مطلق الحرية فى الحديث ٠ ولا أجسر على منعك من الادلاء بما يروقك٠

ـ الف شكر لك يا مولاتى ! ٠

ثم قال لشارل :

ـ فى هذا اليوم ستقول لك فوستا :

« لك أن تختار بين أحد الامرين ٠ . اما التنازل عن كل آمالك فى أن تصبح ملكا ٠٠ أو اقتسم الملك بينى وبينك ٠ »

فقال شارل : ما الذى تعنيه من ذلك ؟

ـ ستقترح عليك أن يكون الاحتفال فى كنيسة نوتردام مزدوجا ٠٠

ـ اننى لا أفهم ما تقول ٠٠

فقال باردليان ضاحكا : سأفصح لك ما دمت لا تريد أن تفهم ! ٠٠ سترغمك فوستا على الزواج منها ٠

فهتف شارل دهشا :

ـ ترغمنى على الزواج منها ؟٠ هذا غير معقول !٠ بل مستحيل ! ٠

فقال باردليان فى هدوء : ولم لا ؟ ٠

ـ لانى متزوج ! ٠ متزوج من فيوليتا ! ٠

فقهقه باردليان وهو يقول :

ـ فيوليتا ! ٠٠٠ رحم الله حبها ! ٠٠ أو بالاحرى حبك

لها ! ٠ أليست هى الخائنة التى سافرت الى ايطاليا مع عشيقها ! ٠٠ كما تدعى فوستا ! ٠٠ أو تندم من أجلها وقد اعتقدت فى خيانتها ! ٠

فقال شارل :

ـ أنا لا أقصد هذا المعنى ، ولكنه من المستحيل على أن أتزوج ولا تزال فى عصمتى ! ٠

ـ انك لا تفهم فوستا ! ٠ ان هذا الامر ليس من العقبات التى تستحق تفكيرها ! ٠٠ فلا أسهل عليها بجرة قلم واحدة ، من أن تلغى هذا الزواج ! ٠

وسكت شارل هنيهة وكأنه أدرك انه ظلم فيوليتا بتفكيره السىء فيها فقال :

ـ ولكنى أحب فيوليتا ! ٠ وسأظل على حبها وفيا حتى ولو تحققت من خيانتها !

ـ ومتى كان لحب وزن عند فوستا ؟ ٠

فغمغم شارل قائلا : ولكن هذا مستحيل ٠٠

فقال باردليان :

ـ انك تهذى بغير شك ! ٠ ولا زلت قصير النظر بطىء التفكير ولم تصقلك التجارب القاسية التى مرت بك ! ٠ سوف تطلب منك فوستا أن تتزوج بها ، لانها هى التى ذللت أمامك العقبات ، وأخذت بيدك الى هذا العرش الذى كان مدار أحلامك ! ٠ فان خضعت لها ، واستسلمت لرغبتها ، ظلت تؤيدك وتؤازرك ، وان ثرت عليها وخالفتها ، حطمت أمانيك ! ٠

ونظر الى فوستا نظرة سريعة ثم أردف :

ـ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ، فان ارتقاءك العرش متكئا على ذراع فوستا معناه صيرورتك تحت امرتها ورحمتها حتى يتوفى أحدكما الله ! فهذا

www.rewity.com dodyadodo

الانقلاب الذى تزمع فوستا القيام به ، هـو فى الواقع لمصلحتها هى لا لمصلحتك أنت ! . اذ لن تظفر منه الا بالتاج واللقب ، أما هى ، فسوف تظفر بالتاج واللقب والقوة والسلطان ! ٠

وسكت باردليان ، بينما نظر شارل الى فوستا نظرة فاحصة ! ٠

ولم يبد على الاميرة انها تأثرت لقوله ، ولكنها رغم هدوئها الظاهرى ، كانت تحدث نفسها وهى تعض على نواجذها من شدة الكمد :

ـ كيف أدرك هذا الشيطان ، تلك الحقائق التى تعبر عن أمانى ، الويل له ، انه لن يخرج من هذا المكان حيا مهما كلفنى الامر ! .

واستطرد باردليان قائلا :

ـ هذا هو لب الموضوع ! . والدافع الذى يحفزها الى التضحية بما لها وأوقاتها ! ٠ وانى أطلب من سيدتى الاميرة أن تكذبنى ان كانت تستطيع الى التكذيب سبيلا ، انى أعرف انها لا تكذب ، أو على الاقل لا تجسر على الكذب مع من كان فى يوم من الايام صديقها وعشيقها

وترددت فوستا برهة طويلة ، كانت تتمنى فيها أن تجرؤ على تكذيب ادعاءات باردليان ، ولكنها لم تستطع وتخاذلت أمام نظرته القوية النفاذة وقالت :

ـ نعم ؟ ٠ انك لم تقل الا الحق ! ٠ ولكن خبرنى ، أليس ما أطلبه من شارل هو العدل بعينه ؟ ٠ الا يحق لى أن أقتسم معه هذا الملك وقد انتزعته من ذلك المكان الذى قبر فيه حيا ، وجعلت منه ملكا بعد أن كان نسيا منسيا ! ٠

فلم يجب باردليان ، بل تحول ببصره الى الدوق

دانجوليم وعلى فمه ابتسامة ساخرة وقال :

ـ لقد تحقق لك ما كنت تحسبه مستحيلا يا صاح ! . انى لن اناصبك أنت العداء ، بل سأناصبها هى ! . ولا تعتقد اننى نسيت ما بيننا من صداقة وود متبادل : ولكنى أشعر بأسف عميق حينما أرى جوهرك قد تبدل ومبادئك قد تغيرت ! ٠ فاذا بك ترضى لنفسك أن تنزل على رأيها فى الاقدام على أعمال لا تتنافى فقط مع أبناء الملوك ، بل مع أقل الرجال شانا واحطهم خلقا ! .

فاطرق شارل برأسه ولم يتكلم ٠

ونظرت فوستا الى باردليان وابتسمت ابتسامة فهم معناها ٠ وهو أن سكوت شارل معناه ضياع ذلك السمو الذى كان يتوقعه منه باردليان ! ٠ وان الطمع قد أعماه عما كان يتحلى به من فضائل

ولما رأى باردليان ذلك ٠ كف عن توجيه الحديث اليه ، والتفت الى فوستا وقال :

ـ وهذا أيضا من الاسباب التى دفعتنى الى استئناف القتال معك ٠ ان أكره شىء الى نفسى .. وأعظم مدعاة لاحتقارى ٠٠ هو سوء استعمال القوة والرغبة فى الطغيان !٠ انك لا تختلفين عن قطاع الطرق الذين يتصدون لكل عابر سبيل ليقتلوه ويسلبوه ما يملك !

ثم أردف فى انحناءة لطيفة :

ـ عفوا يا مولاتى ان كنت قد سقت مثلا لا يتناسب مع ما لك من عظمة وجاه ! ٠ ولكنى مضطر وأنا آسف الى القول بأن هذا المثل لا يفترق بحال عما تزمعين القيام به ! ٠

فقالت فوستا فى هدوء غريب :

ـ كل ما فى الامر أن نستبدل الملك بعابر السبيل

الذى أوردته فى مثلك !

فقال باردليان متحمسا :

– انه طفل يا سيدتى ! . طفل مسكين · ! يخدعه كل من حوله ! · وأولهم أمه . فما الذى جناه هذا البرىء لكى تغمدى خنجرك فى صدره

وضحكت فوستا ضحكة صفراء وقالت :

– ألهذا السبب تثور كل هذه الثورة ؟ ·

– نعم ·· له ولغيره من الاسباب ·

– أى انه اذا كان رجلا مثل أبيه لتركتنى وشأنى أفعل به ما أشاء ؟

فقال باردليان فى صوت قوى :

– انى أكره الدسائس والخداع ! . ولو كانت تلك الحرب التى تريدين اشعال نارها حول سبب مشروع ·· وغرض عادل · لما تعرضت لك · وان كانت أساليبك فى تحقيق أغراضك نبيلة لازرتك بغير شك ·

– ومن أدراك أننى سأطرق سبلا غير شريفة لتحقيق مآربى ؟ ·

– اننى أعرف تماما يا سيدتى ما سوف تقدمين عليه ·· أعرف خططك تمام المعرفة ·

– تعرف خططى تمام المعرفة ! · انك تبالغ كثيرا ·

قالت ذلك وهى واثقة ان باردليان ليس بالرجل الذى يجرى الكذب على شفتيه ·· فاذا قال انه يعرف خططها ·· فلا شك انه يعرفها ·

والتفت الفارس الى شارل وقال :

– أرجوك أن تدلى بدلوك فى هذا النقاش ·

فقال شارلى بصوت ذليل : انى آذان صاغية ·

واستطرد باردليان :

– يبدو لى ان الملكة الوصية على العرش ·· مارى دى مدسيس كان لها عشيق فى أيام صباها · وهذا العشيق هو كونسينى : وقد أثمرت تلك العلاقة طفلة صغيرة أراد والداها أن يتخلصا منها · بقتلها · فعرفت فوستا هذا السر ! · وأمكنها أن تحصل على شهادة ميلاد هذه الطفلة وتزور فيها بعض الاسماء · فوضعت اسم مارى دى مدسيس فى المكان المخصص لاسم الام التى كانت مجهولة ·

كما أمكنها أن تشترى بعض شهود الحادث مثل (لاندرى ككنار) و (لاجوريل) · وغرضها من ذلك أن تثير الفضيحة حول الاسرة المالكة · وتلطخ العرش بها · فتهتز أركانه · ويتزعزع كيانه · وبذلك تخلق الفرصة الصالحة لاجراء الانقلاب والمناداة بشارل العاشر ملكا !

أما هذه الطفلة فهى (موجيت) بائعة الزهور الحسناء · التى يحبها رئيس حرسها الكرنت أوديت ·

ولم تفلح فوستا فى التغلب على شعور الدهش والعجب الذى انتابها عند سماعها هذه المعلومات الخطيرة التى يلم بها باردليان ··

واستعرض الفارس فى حديثه والقاء بياناته ·· موجها كلامه الى الدوق دانجوليم الذى كان لا يقل عن الاميرة فوستا دهشة واستغرابا ··

– والان ! · لك أن تسأل ضميرك ان كان يقرك على هذه الاساليب الشائنة ! · وانى على يقين من أن هذا الضمير سوف ينتفض اشمئزازا · اللهم الا أن كنت قد أمته من زمن بعيد ! ·

وأحنى شارل رأسه ولم يتكلم ! ·

أما فوستا فانها قالت فى صوت أجش :

ـ انك الشيطان بعينيه ! · من أين لك كل هـذه المعلومات ؟ انك ساحر بغير شك ·

فضحك باردليان وأجاب :

ـ ليس فى الامر سحر ولا تعويذ ! انك أنت يا مولاتى التى تكرمت على بها ··

فصاحت فوستا : أنا ؟! انى لم أر وجهك منـذ أمد بعيد ! ·

فقال باردليان فى هدوء : ولكنى رأيتك

ـ متى ·· وأين ·· ؟

ـ لقد تبعتك حينما ذهبت الى قصر الماريشال كونسيتى هذا الصباح · واسترقت السمع من غرفة مجاورة · وسـمعت كل مادار بينكما من حـديث انتهى بتوقيعه على أمر الافراج عن الدوق دانجوليم ! · أليس كذلك ؟ ·

ولبثت فوستا مبهوتة لا تتكلم ! · وراحت ترمقه بنظرة طويلة يلمع فيها ـ رغما عنها ـ بريق التقـدير والاعجاب ·· وقالت :

ـ لقد سألت عنك فقيل لى انك غادرت باريس ·· ولم أعثر لك على أثر فى فرنسا ! ·

ـ لقد عدت منذ قليل يا سيدتى ·

وسادت فترة صمت ظلت فوستا خلالها ترمقه بذات النظرة التى تنم عن التقدير المقرون بالرهبة وهى تقول فى نفسها :

« عجبا ! · ان الايام والسنين لم تغير من طبيعته ! · انه رغم تلك الشعيرات البيضاء التى جللت رأسه لايزال فى عنفوان شبابه فاتنا جذابا ·· ولا يزال تفكيره النارى قويا لا يعرف الكلل أو التهاون ·

كم أحبك يا باردليان · وكم أتمنى أن يظلنا سقف واحد · وأهنأ معك حياة هادئة كشأن كل النساء ··

أواه · انى أريد أن أساله عن ابنى جيهان ·· ولكنى أخشى ان يرمينى بالضعف والتخاذل ·· أنا التى آليت على نفسى الا أقيم وزنا للعواطف البشرية · واحتقارها ·

ولكنى ·· سوف أقتله ··بل وسأقتله الان · ولن يخرج من هذا المكان حيا

كم تمنيت أن أقتلك أيها الشقى الجميل وأبكى عليك ·· فكنت تهزمنى وتسخر منى ·

ولكنى لن أخفق فى هذه المرة ·· ستكون نهايتك يا باردليان · وأقول النجم الوحيد الذى أسرنى شعاعه وبهرنى تألقه ·· »

ولما انتهت الى هذا العزم ابتسمت ابتسامة غامضة وقالت :

ـ معنى ذلك انك كنت تجهل هذه القصة قبل اليوم ؟

ـ نعم · اننى لم أحط بها علما الا منك ··

ـ ولكن كيف علمت ان هذه الطفلة هى (موجيت) بائعة الزهور ؟ ·

ـ منك أيضا ··

ـ منى أنا · !

ـ نعم ·

ـ ولكنى لم أحدث كونسينى بشأنها ·· فهو لا يزال يعتقد انها ماتت ··

ـ ولكنك حدثت شارل بشأنها ·· ولم تذكرى له اسم أبيها فأدركت انها هى ·

وأومأت فوستا برأسها وقالت :

– هذا صحيح ·· لقد أنهيت اليه بنفسى كل هذه المعلومات العظيمة الشأن ··

ثم سألته بخشونة :

– أهذا كل ما تريد أن تبلغنيه ؟

– كلا ·· أريد كذلك أن أخبرك باننى لا أناهضك حبا فى ذلك الطفل والشفقة عليه فحسب · بل محافظة منى على ذكرى أبيه الذى مات شهيدا بخنجرك المسموم !

وضحكت فوستا وقالت فى خبث :

– ومن أدراك أن (لويس الثالث عشر) هو ابن هنرى الثالث ملك فرنسا السابق ؟ ·

– ابن من اذن ؟ ·· ابن الشيطان !

– كلا · اننى لا أقدم على حرب وأنا لست مسلحة ·· ان تحت يدى خطابا مكتوبا بخط الملكة الوالدة وممهورا بامضائها ومرسلا الى كونسينى يظهر بجلاء ان (لويس) وأخاه الصغير الدوق (دانجو) ليسا سوى ولدى كونسينى

فقال باردليان متعجبا :

– أى انك ستقولين أن لويس الثالث عشر ليس له حق فى هذا العرش الذى يعتليه

– نعم ·· وسوف يتناقل الناس جميعا هذا القول من بعدى ·

فقال باردليان وهو يهز رأسه :

– لقد فهمت الان ما ترمين اليه · اننى أؤكد لك ان اليد التى زورت شهادة ميلاد موجيت هى نفسها التى زورت هذين الخطابين ·· ولكن هذا الامر لا يهمنى فى قليل أو كثير ، واليك صراحة ما يحفزنى الى الدفاع عن هذا الطفل الصغير ··

لقد شاءت الظروف أن التقى بأبيه وهو يعالج سكرات الموت بعد أن طعنه رسولك (جان كليمان) بخنجره · فطلب الى أن أعده بحماية ابنه الذى خلفه فى المهد صبيا لا يدرك من أمور العالم الذى يحيط به شيئا ، ضعيفا لا يقوى على محق هـــذه الذئاب الجشعة التى تنبح من حوله · فوعدته بذلك ·

وأنت تعرفين يا سيدتى باردليان اذا قطع على نفسه عهدا · فان أى حائل لا يقوى على منعه من تنفيذه الا الموت ··

فقالت فوستا فى لهجة لها معناها : نعم انى أفهم ذلك جيدا ·

ولم يفت على باردليان ما فى كلامها من تهديد خفى فقال :

– وأنا أعرف ذلك أيضا ·

وتكلم شارل فى صوت خافت خجل فقال :

– ولكنك تعرف يا باردليان أن هذا العرش من حقى ·· ولطالما دفعتنى اليه وآزرتنى للحصول عليه ·· فما الذى جعلك تأخذ هذا العهد على نفسك ؟ ·

فقال باردليان :

– ليس لدينا متسع من الوقت لبسط تفاصيل ما ترمى اليه ! ولكنى اذكر انك أضعت من يدك ألف فرصة وفرصة ·· وطالما ضربت بنصائحى عرض الحائط ولم تعرها اهتماما · ولقد كانت الفرصة سانحة أمامك حين فر الملك هنرى الثالث من فرنسا ·· وبقى العرش خاويا ينعى من بناه ·· وحاولت فوستا أن تنصب عليه الدوق دى جيز ·

اما الان فقد تغيرت الامور ·· ولا يسعنى الا أن أحملك

تبعة كل هذه النتائج ٠

فقال شارل مندفعا :

ـ كنت وقتئذ شابا طائشا ! مجنونا بحب فيوليتا ٠٠ أما الان فقد تبدلت الامور واصبحت رجلا متزنا لا تؤرجحه العواطف ذات اليمين وذات الشمال !

واستطرد باردليان فى حديثه كما لو لم يسمع ما قاله الدوق :

ـ واذا بالايام تدور دورتها وتجعل منى رجلا يقسم بشرفه أن يحمى هذا العرش الذى تتطلع اليه ٠ ! فنحن منذ هذه اللحظة عدوان لا يعرفان الرحمة ! ٠ فاذا قدر لك أن تعتلى هذا العرش فى يوم من الايام فلن يكون ذلك الا اذا جعلت من جثتى قنطرة لامانيك

ثم التفت الى فوستا وقال :

ـ لقد انتهى ما أردت اطلاعك عليه ! ٠ وابتدأ القتال بيننا ٠٠

فقالت الاميرة فى برود :

ـ لك أن تكيف الامر كما يحلو لك ٠٠ وما دمت تعتقد بضرورة قتل أحد الطرفين حتى ينجح الاخر ٠٠ فاننى أميل الى احترام رأيك ٠٠

ـ انى أفهم ما ترمين اليه ! ٠ هانذا فى قبضتك وبين جدران قصرك ! ٠ فاقتليني ٠٠ اقتليني أن شئت قبل فوات الاوان ٠٠

فقالت فوستا وهى تبتسم ابتسامة رهيبة :

ـ اننى لم أرفض نصائحك فى يوم من الايام ! ٠

فقال باردليان بصوت غاضب :

ـ اذن نادى خدمك وحراسك ! ٠ مريهم أن يبرزوا من وراء هذه الابواب التى يلوذون بها ٠٠ هيا ولا تتوانى !

ولنضع حدا لهذه المهازل بموت أحدنا ! ٠

فقالت فوستا بلهجة رقيقة :

ـ اننى لم أرك تغضب للموت وتثور كما تفعل الآن ! فخل عنك وهدىء من حدتك ٠٠ واجلس على هذا المقعد ٠ فربما قرب الحديث شقة الخلف بيننا ! ٠ انك حدثتنى طويلا ٠ ولم تجد منى الا كل اهتمام واصغاء لحديثك ٠٠ فانا بدورى التمس منك أن تعيرنى أذنا صاغية ٠٠ فعندى ما أريد أن أفضى به اليك ٠٠

وجلس باردليان على المقعد الكبير الذى كان جالسا عليه من قبل وقال

ـ تكلمى ما شئت ياسيدتى فلن تجدى منى الا كل انتباه واهتمام

وسكتت فوستا قليلا ٠٠ وهى تطيل النظر اليه !٠ فعجب باردليان وقال يحدث نفسه :

ـ لا شك أنها تفكر فى طريقة للخلاص منى !٠

وتكلمت الاميرة أخيرا ٠٠ قالت : لقد سمعت منك الان ما يفيد خوفك من وجود أحد الحراس على مقربة منا ٠٠

ـ اننى لا أخاف شيئا

ـ أعرف ذلك تمام المعرفة ! ولكنى أؤكد لك أنه لا يوجد انسان آخر سوانا فى هذا المكان !٠ وأنت تعرف أن فوستا لا تكذب مع باردليان !

فأومأ الفارس برأسه وقال :

ـ ربما !٠ ولكنى مع ذلك لا أكتم عنك ما أشعر به من القلق !٠ اذ لم يكن جانبك مأمونا لى فى يوم من الايام !٠

ـ لا يوجد ما يستدعى قلقك !٠ انك أسديت الى نصيحة ثمينة ووعدتك باتباعها وسأتبعها فعلا ٠٠

فقال الفارس فى هدوء : اننى واثق من ذلك

www.rewity.com dodyadad

ـ هذا جميل ٠٠ الا أن الامر فى هذه المرة يختلف عن المرات السابقة !٠

ـ وما هو وجه الاختلاف ياسيدتى ؟٠

ـ اننى لن استعين بأحد غيرى على التخلص منك !٠ سأقتلك بنفسى وبيدى ٠٠ فاحذر لنفسك

فقال باردليان مبتسما :

ـ يكون لى عظيم الشرف يامولاتى ٠٠

ثم غمغم قائلا لنفسه :

ـ احترس يابارديان ٠! ان فى عينيها ذلك البريق الذى يشبه وميض الخنجر قبل الطعن ٠! فيم تفكر هذه اللعينة ؟

وقالت فوستا :

ـ يؤسفنى الا يكون النزاع بيننا طويلا هذه المرة !٠

ورفعت يدها ببطء ٠٠ وقد تقلصت أصابعها كما لو كانت تقبض على خنجر غير مرئى ٠٠ وقالت فى صوت رهيب :

ـ ضربة واحدة من هذه اليد ٠٠ تكفى للقضاء عليك فى التو واللحظة ٠

نعم ضربة واحدة ياعزيزى ! ولا زلت أقول اننى سأقتلك وابكى عليك ٠

اقتلك وأنا أعلم أننى أمحو بيدى الرجل الوحيد الذى استحوذ على قلبى ٠! على قلب فوستا المتحجر الذى لا ينبض الا بالامال العظام ٠٠ والامانى الكبار ٠

ثم صرخت صرخة ثاقبة دوت فى أنحاء الغرفة وقالت:

ـ بضربة واحدة كهذه ٠!

وكان باردليان يسمع كل حرف من كلماتها ٠٠ ويتتبع

قبضة يدها فى اهتمام زائد ٠! وعلى الرغم من أن فوستا كانت عزلاء لا تحمل سلاحا فقد شعر لاول مرة فى حياته برهبة لم يعرف كنهها ٠! وباضطراب لم يدر مصدره ٠

وهوت فوستا بقبضة يدها على منضدة صغيرة أمامها ٠٠ واغمضت عينيها ٠!

وفى نفس الوقت ٠٠ فتحت هوة تحت قدمى الفارس ٠٠ وهوى بمقعده فيها ٠! ولم تظهر منه غير يديه وهو يحاول بهما فى حركة غريزية أن يتعلق بشىء ٠! غير أن أرض الغرفة مالبثت أن عادت الى ما كانت عليه ٠ واختفى باردليان ٠٠ واختفت معه تلك الصيحة المختنقة التى أفلتت من شفتيه من هول المفاجأة

ووقف شارل شاحب الوجه ٠٠ أبيض الشفتين ٠٠ مرتجف الاوصال ينظر الى فوستا فى بلاهة ٠٠ وأخيرا أفاق من ذهوله وسألها :

ـ ماالذى فعلته ياسيدتى ؟

فقالت الاميرة فى هدوء غريب :

ـ لقد انهيت النزاع مع الرجل الوحيد الذى بوسعه أن يشل يدى وفى نفس الوقت أيقنت من نجاحى وتنفيذ خططى ٠

فقال شارل فى لهجة مؤثرة :

ـ ولكنه كان صديقى ٠! كان صديقى الوحيد فى هذه الحياة

فقالت فوستا فى صوت تخنقه العبرات :

ـ وكان رفيق قلبى ٠٠ وحبيبى ٠! ورغم ذلك فقد قضيت عليه فهتف شارل قائلا :

ـ اذن لنبادر ياسيدتى بانقاذه ٠٠ فربما كان به رمق

من الحياة ،

ـ كلا ٠! لا فائدة الان ٠٠ فلقد مات باردليان ٠

ثم أضافت فى لهجة حزينة :

ـ نعم ٠! لقد مات ٠٠ مات الرجل الذى تحطم الموت تحت أقدامه مات انبل من عرفت ٠٠ واقوى وأجمل من صادفت ٠! ولكن موته كان لازما ٠٠ ان فوستا لا تعرف معنى للعواطف البشرية ولا تقيم لها وزنا ٠! ان الحب ضعف واستكانة لا تعرف الطريق الى قلبى ٠٠! والشفقة جريمة عقابها الندم وفوات الاوان ٠!

الفصل الثامن

غرام كونسينى

كانت فوستا عند مقابلتها للماريشال كونسينى قد المحت اليه بأنه يعرف ابنته تمام المعرفة ٠! ولكنها لم تطلعه على اسمها أو محل اقامتها ٠

وكانت الاميرة تعلم المأساة الخلقية الدامية ولم تشا لغرض فى نفسها أن تتلافاها ٠

اما هذه المأساة فهى ان الماريشال كونسينى كان يحب (موجيت) حبا جما ٠٠ ويحاول أن يستأثر بها لتصبح عشيقته ٠! وهو يجهل أنها ابنته !

ولقد رآها يوم أن أنقذ (فالفير) لا ندرى من يد الجنود ٠ وملكت عليه لبه ٠! فاتفق مع القزم (ستوكو) بعد ذلك على أن يهتدى الى محل اقامتها ٠٠ ويسعى بكل الطرق الى ادخالها القصر ٠!٠ ووعده بجـــائزة قدرها خمسة آلاف من الجنيهات ٠٠ ان نجح فى مهمته ٠

وفى أحد الايام ٠٠ دخل القزم على الماريشال دون

استئذان وقال :

ـ عم مساء ياسيدى ٠!

ـ أين كنت ؟ وماذا وراءك من الاخبار ٠!؟

ـ اننى أطالب بمبلغ الخمسة آلاف جنيه

وتهلل وجه كونسينى وقال

ـ ماذا تقول ؟ عثرت عليها ؟٠ وعرفت أين تقيم ؟٠

ـ نعم ٠!

ـ تكلم ما الذى يسكتك ؟

ـ اننى اريد الجائزة أولا ياسيدى ٠!

فقال كونسينى بصوت غاضب :

ـ أو تجسر على هذا القول يامنكود ٠! ألا تثق بولى نعمتك

فقال القزم فى رباطة جأش :

ـ اننى أثق فى سيدى ثقة لاحد لها ٠٠ ولكنى واثق من ناحية أخرى أن الالاف الخمسة ستطير بمجرد سماعك قصتى ٠

ـ كلا ٠! انى أعدك باعطائها لك ٠٠

ـ ان الحب يكاد يقتل سيدى ٠! والرغبة الجامحة تناجج نارها بين ضلوعه ! ولذا أفضل أن أرجىء قصتى الى الغد ٠

ـ ولم لا تذكرها الان ؟

ـ لانها ستكون أشبه بماء بارد يطفىء هذه النيران المتاججة فى لمح البصر

ونفذ صبر كونسينى فصاح وهو يضرب مكتبه بقبضة يده :

ـ تكلم فى الحال ٠٠ والا حطمتك بيدى أيها القزم

ـ ان هذه الفتاة التى كنانحسبها موضع العفة ومعين

الطهارة لها ابنة فى الرابعة من عمرها !٠

فهتف كونسينى غاضبا :

ـ ابنة ؟ هل أنت واثق من ذلك أيها المنكود ؟٠

ـ نعم ياسيدى !

ـ وماذا أيضا !٠ اذكر ما رأيت وسمعت ٠ ولكن حذار من الزيادة والنقصان والا لن تنجو من بطشى

ـ انها تعود فى الساعة السادسة من مساء كل يوم الى منزلها ٠٠ وتستقبلها هناك امرأة ريفية عجوز اسمها (بيرين)أو « الام بيرين » كما تسميها موجيت ٠

وتردد كونسينى برهة ثم قال :

ـ ستتولى انت الذهاب بنا مساء اليوم الى هناك ٠٠ وسوف اختطفها بالقوة واحملها الى منزلى الاخر ٠

فقال القزم فى خبث :

ـ ان سيدى الماريشال لن يجد أفضل من هذه الوسيلة لتنفيذ أغراضه

ـ اصبت فهى اسرع واجدى !٠

ـ ولكن هذا العمل لا يروقها ٠

وضحك كونسينى ضحكة خشنة وقال :

ـ ان هذا يبدو لى أكثر متعة مما لو نلتها برضاها !٠ انك قزم لا تعرف شيئا !٠

فضحك ستوكو بدوره وقال لقد تفتق ذهنى المتواضع عن خطة أخرى تحملها على المجىء بقدميها ٠٠

ـ ماهى هذه الخطة ؟٠

ـ كل شىء له ثمنه ياسيدى !٠

ـ لا بد أن أعرفها قبل أن تملى على شروطك أيها الشره !٠ هل هى ضرب من ضروب السحر ؟

ـ كلا !٠

ـ اذن ابسطها لى !٠

وشرح القزم خطته !٠ فسر كونسينى واطمأن اليها ! ووعده باعطائه عشرة آلاف من الجنيهات ان قدر لها النجاح !٠

وصمم كونسينى على اعداد منزله الاخر لموجيت !٠ لانه كان يخشى سطوة زوجته (ليونورا) ! التى كانت فى هذه اللحظة تسترق السمع من وراء باب الغرفة المجاورة له !٠ وكان يجهل ذلك كما كان يجهل أيضا انها سمعت مادار بينه وبين فوستا ٠٠ وادركت أن (موجيت) ماهى الا ابنته !٠ ولكنها لم تخبره بذلك لغرض فى نفسها !٠

وقبيل عودة (موجيت) الى منزلها ٠٠ ذهب كونسينى وستوكو على رأس ثلة من جنوده الى هناك ٠٠

وكانت (بيرين) تغط فى نومها وبجانبها « لويزيت » تلعب ببعض الدمى ٠٠ ودخل الرجال فقيدوا العجوز ٠٠ وكمموها

وذهب ستوكو بالطفلة الى مكان قصى فى الدار ٠

ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى عادت موجيت ٠ فعجبت لما يخيم على المنزل من السكون والوحشة ٠ فدخلته بقلب واجف وقدم مضطربة واذا بها تقابل كونسينى واعوانه وجها لوجه ٠

وفوجئت الفتاة وصاحت فى ذعر ٠

ـ من أنتم أيها السادة ؟ ولاى غرض جئتم ؟

فقال كونسينى مبتسما :

ـ تفضلى بالدخول ياعزيزتى !٠٠ وحيينا ٠٠ ثم اطرحى علينا ما عن لك من الاسئلة ٠

ووقفت الفتاة واجمة ولم تجب ٠ فقال كونسينى :

ـ ادخلى ياعزيزتى ٠٠ فانت السبب فى مجيئنا الى

منزلك بهذه الطريقة الغريبة ٠٠ فهتفت موجيت فى سذاجة : أنا ؟

ـ نعم انت ٠٠ فلولا جمالك الاخاذ وفتنتك التى سلبت لبى وافرغت صبرى لما جئت بنفسى الى هذا المكان ٠أنا٠٠ سيد فرنسا وأعظم رجالها ٠

ونطوع احد رجاله بشرح كلمته الاخيرة فقال :

ـ ان لك شرف الحديث مع الماريشال كونسينى

ولم تعبأ موجيت بهذا الشرف وصاحت :

ـ وأين (بيرين) ٠٠ هل قتلتموها ؟٠

فقال كونسينى مطمئنا : لالا ٠ انك تسيئين الظن بنا ياآنستى الجميلة

ـ ولوبزيت ٠

ـ لم نمسسها بسوء

ثم التفت الى أحد رجاله وقال :

ـ اذهب ياروبنياك وادع ستوكو والطفلة ٠

وبعد قليل اقبل القزم والطفلة التى ما كادت ترى موجيت حتى صاحت : والدتى المحبوبة ٠ أين كنت ؟ انقذينى من هذا « العفريت » !

واندفعت موجيت نحو الطفلة ٠٠ غير أن كونسينى صاح آمرا :

ـ اذهب بها ياستوكو الى منزلى الصغير ٠

وصرخت موجيت باكية :

ـ الى أين يذهب بها ياسيدى ٠ هل معنى ذلك اننى فقدتها الى الابد ؟

ـ كلا ٠ . تستطعين أن تستعيديها فى أى وقت شئت

ـ ولكنى اريدها الان ياسيدى ٠

فقهقه كونسينى وقال : كلا٠٠.اذا اردت ابنتك فتعالى

هذه الليلة الى منزلى الكائن بشارع (كاست) فى الصف الايمن وراء حديقة (كارم)

وسألته الفتاة فى سذاجة : هل هذا وعد رجل شريف ؟

فقال وهو يلتهمها بنظراته : نعم ٠٠ وعد رجل شريف ٠

وابتدأت موجيت تفهم ما يرمى اليه فقالت :

ـ لا شك ان هناك بعض الشروط فى مقابل اعادتك ابنتى ٠

ـ ربما ٠

ـ وما هى ؟

ـ سنرجىء الحديث فيها الى حين حضورك

وتأكدت (موجيت) من غرضه الدنىء فقالت :

ـ واذا لم أحضر ٠ . فما الذى تفعله ؟٠

ـ سأعيد اليك الطفلة فى صباح الغد ٠

فلما فتحت عينيها دهشة مما قاله ٠٠ افصح عن مقصوده بابتسامة صفراء وقال :

ـ سأعيد اليك جثة الطفلة المسكينة !

فقالت موجيت فى احتقار هائل :

ـ أيها النذل الوقح ٠٠ أيها الدنىء الزنيم ٠٠ هل هذا هو وعدك الذى تمنينى به ٠٠ وهل بلغت بك قحتك أن تخلع على نفسك لفظة رجل شريف

وكان وقع هذه الاهانة البالغة شديدا على كونسينى! لا سيما أمام اتباعه ٠٠ ولكنه كظم غيظه وقال فى هدوء :

ـ سوف تسوى كل هذه الخلافات بيننا أن شئت ٠ الى اللقاء اذن هذه الليلة ٠

وانصرف كونسينى ورجاله !٠

أما موجيت ٠ فانها بادرت الى فك قيود بيرين !٠

وجلست العجوز فزعة تجيل الطرف فى خوف فى أنحاء المكان · ثم قالت

ـ أين ذهب هؤلاء الوحوش ؟

وقبل أن تجيب موجيت ·· سمعت صوتا يقول من ورائها :

ـ عفوا لازعاجك مرة ثانية .

فالتفتت فاذا به كونسينى !· وانحنى الماريشال أمامها وقال :

ـ لقد نسيت أن الفت نظر آنستى الجميلة الى شىء على جانب كبير من الاهمية ·· وهو انك اذا فكرت فى الحضور هذه الليلة الى منزلى فانى أنصحك بالحضور بمفردك ·· هل فهمت ؟

فاشاحت موجيت بوجهها · فخرج وهو يقول وعلى شفتيه ابتسامة بشعة :

ـ انى على يقين من حبك الشديد للويزيت ·

وقالت العجوز : من هذا الوحش ؟

ـ انه للاسف الشديد سيد فرنسا ورجلها الذى لا ترد له كلمة !· ان أحقر الرعاع أنبل منه وأسمى خلقا

ـ وما غرضه من هذه الزيارة ؟·

ـ لقد خطف لويزيت · ووعدنى بردها الى اذا ما وافيته فى منزله هذه الليلة !· والا أرسل الى جثتها فى الغد ·

فقالت بيرين فى اشمئزاز :

ـ ياله من قذر جبان !· انه لا يجسر على قتلها !

ـ انك لا تعرفينه يابيرين ! ···

ـ وما الذى صح عليه عزمك ؟ ·

فدفنت موجيت وجهها بين راحتيها ثم تنهدت فى الم

وقالت :

ـ لم أتخذ بعد قرارا حاسما ·

ـ يجب ألا تنسى ان لويزيت ليست ابنتك !· ومن الرعونة اقدامك على مثل هذه التضحية من أجلها ··

فقالت موجيت وهى تبكى :

ـ وهل ترضين بترك هذا الوغد يقتل طفلة بريئة مثل لويزيت ! ·· سأكون أنا بغير شك السبب المباشر فيما يصيبها من أذى ! ·· فلولاى · لما فكر هذا الرجل فى أن يمس شعرة من رأسها !

ثم أضافت فى عزم سوف أذهب اليه .

ونظرت اليها العجوز طويلا ثم قالت :

ـ سأرافقك اذن !· لان ··

فقاطعتها موجيت قائلة : الم تسمعيه يحذرنى ؟· انه يريدنى بمفردى والا قتل لويزيت ·

وودعت موجيت ·· بيرين وغادرت المنزل وهى دامعة العين كسيرة القلب ·

ولم تكد الفتاة تزايل الدار حتى قالت بيرين تحدث نفسها :

ـ أوديت دى فالفير !· انه الرجل الوحيد الذى ينقذها الآن ! كيف غاب عن ذهنها ! لعلها تخشى عليه من سطوة كونسينى ·· ولكنها حمقاء ولا شك !· ياالهى · ! كيف استطيع العثور على هذا الشهم انها لم تذكر لى أين يقيم ·

ثم ضربت براحتها على جبهتها فجاة وقالت : العم كركاس !· انه يعرف كل سكان باريس ! سأذهب اليه فى الحال ·

وأغلقت العجوز الشجاع باب المنزل ونوافذه

www.rewity.com
dodyadodo

بعناية ٠٠ وذهبت الى جار قريب واستأجرت عربته وجواده وانطلقت بها الى المدينة ٠٠

وكان الجواد ينهب الارض نهبا ٠٠ فلم تمض لحظات حتى أدركت موجيت ٠٠ فأخفت وجهها ومرت بجانبها بسرعة قبل أن تتبينها ٠

وكانت الفتاة تمشى مطرقة الراس فلم ترها ٠

ووصلت العجوز الى العم كركاس ٠٠ وهو كهل ذو لحية بيضاء ٠٠ يقوم ببعض الاعمال القانونية ككتابة العقود واجراء الصفقات ٠ فما أن رآها حتى صاح :

ـ أهلا بالاخت بيرين ! ٠ كيف حالك ؟

ـ فأجابته فى جزع : شكرا لك ٠

فقال الرجل وهو يتأملها :

ـ ما بك يابيرين ! ٠ انى أراك مضطربة على غير عادتك يا عزيزتى ٠٠

فاجابته العجوز وهى تلهث

ـ اننى جئتك فى أمر هام ٠٠ أريد مقابلة شاب يدعى الكونت أوديت دى فالفير ٠٠ ولا أعرف أين يقيم ٠٠ فهل تستطيع ارشادى عن مقره ؟

وابتسم العم كركاس وقال :

ـ أوديت ! ٠ انه أشهر من نار على علم ٠٠ ان هذا الصغير يعرف منزله ٠٠

ثم نادى صبيا طلب اليه أن يذهب مع بيرين الى منزل فالفير ٠ فوثب الى العربة وجلس بجوارها

ووصلت العربة الى شارع (كوسونبرى) ٠٠ وبعد قليل طلب اليها الصغير أن توقف الجواد ٠٠ ثم قفز الى الارض ٠٠ وقفزت هى فى نشاط دون حاجة الى مساعدته ٠٠ ونقدته فرنكا واتجهت مسرعة الى المنزل

الذى أشار اليه

وطرقت بيرين الباب فى قوة وسرعة ٠٠ ففتح لها لاندرى ككنار فنظرت اليه طويلا ثم سألته فى خشونة :

ـ هل أنت الكونت أوديت دى فالفير ؟

ولم ترق لا ندرى لهجة كلامها فقال لها فى اقتضاب وجفاء :

ـ لا ٠٠ لست هو ٠٠ من أنت ولاى غرض تطلبين سيدى الكونت

ـ آه ٠٠ ! انك خادمه ٠٠ لقد كدت أفقد عقلى حينما حسبتك هو ٠

فاغتاظ لا ندرى وصاح بها : ما الذى تريدينه ٠ ؟ ان الكونت غير موجود الان ٠ ! انه لم يعد منذ أمس الى منزله ٠

فشهقت بيرين وقالت : يا الهى ٠٠ سيكون أشد بؤسا منها ٠

فهتف لاندرى : من هى ؟ ٠ ومن أنت ؟

ـ اننى بيرين ٠٠ بيرين يا بنى العزيز ٠

ـ بيرين من ؟ ٠ افصحى ٠٠

فقالت العجوز وهى تبكى : بيرين يا بنى

ونفد صبر لاندرى فصرخ فيها قائلا

ـ ألا تتكلمين بحق الشيطان ٠ ! بيرين ، بيرين ٠٠ بيرين من ؟ ٠ الاولى أم الثانية يا صاحبة الجلالة ٠

ونظرت اليها العجوز شذرا وقالت :

ـ وما الذى يهمك من معرفة اسمى ؟ ٠

ـ ربما استطعت أن أمد اليك يد المعونة ٠

ـ اننى بيرين رفيقة (موجيت) ٠٠ وأمها الحنون ٠٠ اننى العش الهادىء الذى يضم « طائرة غرام الكونت » ٠

www.rewity.com dodyadodo

وفوجىء لاندرى بهذه الاقوال ٠٠ ونظر اليها مليا ثم قال :

ـ هل أفهم من هذه الاشعار أنك خادمة موجيت خطيبة سيدى الكونت ٠٠

ـ نعم ٠٠ انك شديد الذكاء !

ـ وما الذى تريدينه ؟

ـ أريد أن أخطر الكونت بأن خطيبته فى خطر داهم ٠

وكان لاندرى يحب موجيت حبا أبويا عميقا ٠٠ فهو الذى أنقذها من برائن موت محقق ٠٠ وعهد بها الى (لاجوريل) لتقوم على تربيتها ٠٠ فلما عرف أنها تسىء معاملتها سهل لها سبيل الفرار ٠٠ ولذا فانه لم يكد يسمع من « بيرين » أنها فى خطر داهم حتى هتف من قلبه :

ـ ماذا حدث لها ؟ ٠ خبرينى بحق السماء ٠ اننى فى حكم منزلة أبيها يا سيدتى ٠

ونظرت اليه العجوز نظرة مستنكرة من قمة رأسه الى أخمص قدميه وقالت :

ـ فى منزلة أبيها ؟ ٠٠ هل يجسر خادم على التطاول على خطيبة سيده أيها الغبى !

ـ انها قصة طويلة ! ٠ لا تضيعى الوقت عبثا فى هذه الثرثرة ! ٠ اخبرينى ماذا حدث لها بحق السماء ٠٠

ـ كنت اليوم مستغرقة فى النوم ! ٠ وكنت أحلم أحلاما ذهبية جميلة ٠٠ منها أننى رأيت نفسى ٠

فصرخ لاندرى :

ـ رأيت نفسك فى جهنم ! ٠ تكلمى بما حدث لموجيت ٠ اسرعى والا ٠٠

وارتعبت العجوز وقالت ساخطة :

ـ لقد كنت نائمة ٠٠ نعم نائمة ٠٠ فاذا بعدد كبير من الرجال يجثمون فوق صدرى ٠ ويقيدون يدى وقدمى ويكممون فمى ! ٠ ثم جاء أحدهم وهو قزم كريه المنظر قبيح ٠٠

فدوى صوت لاندرى قائلا وماذا فعل هذا القزم ؟

ـ أخذ لويزيت ٠٠ وهى الفتاة التى تبنتها موجيت ٠٠ فحدثها كبيرهم حديثا قصيرا ابكاها ٠ ثم أخذ الطفلة وانصرف ٠٠

وتنهد لاندرى فى ارتياح وقال : هل هذا كل ما فى الامر ؟ ٠

ـ كلا ٠٠

ونفذ صبر لاندرى فأمسك بكتفى المرأة النحيلتين وهزها هزا عنيفا وهو يقول فى غضب : تكلمى ! ٠٠ ماذا حدث لموجيت ٠ ؟

ـ لقد أخبرها هذا الوغد أنه سوف يقتل الطفلة اذا لم تذهب اليه فى منزله هذه الليلة ؟ ٠

ـ وماذا فعلت ٠٠

ـ تركتنى وذهبت اليه شفقة على الطفلة ٠

وفوجىء لاندرى بوقع الخبر فسأل :

ـ أين منزل هذا الرجل ؟ ٠ ومن هو ٠٠

ـ أنه سيد فرنسا ! ٠ الماريشال كونسينى ٠

فصرخ لاندرى من أعماق صدره : الماريشال كونسينى ؟ ٠

وقال يحدث نفسه :

ـ والدها ؟ ٠ كونسينى يستدرج ابنته ويرغمها على الذهاب الى منزله ؟ ٠ يالسخرية المقادير ؟ ٠

وقالت العجوز ألا تستطيع أن تعثر على الكونت

أوديت دى فالفير الان يا سيدى ..

فهز لاندرى رأسه ببطء وقال :

ـ الكونت أوديت ! . انه لم يعد ليلة أمس الى منزله .. وها هو قد تأخر عن موعد أوبته هذه الليلة .. اننى لا أعرف له مكانا .

وكان لاندرى قد سأل عن سيده بالامس فى قصر الدوقة دى سورينتيه فقيل له انه غادره ولم يعد !

ثم قال بصوت يائس :

ـ ولكننا سنبحث عنه ونعثر عليه .

ذهب كونسينى الى منزله .. وظل ينتظر موجيت على أحر من الجمر ورغم تحذيره لها من أن تصطحب أحدا معها عند مجيئها .. فقد اتخذ الحيطة لذلك ووضع فى الطابق السفلى من منزله ثلاثين جنديا مسلحين بالبنادق والسيوف .

وأمر اثنين من رجاله باعداد غرفة خاصة لمقابلة زائرته .. وأشرف بنفسه عليها ..

وطال به الانتظار .. ومرت أربع ساعات دون أن تأتى الفتاة ..

وأخيرا .. أقبل جندى يقول :

ـ بالباب آنسة تلتمس مقابلة سيدى الماريشال .

فتهلل وجهه وقال : لتدخل فى الحال .. ولتظلوا جميعا فى الطابق السفلى .. اسرع ! .

ودخلت موجيت .. وأغلقت الباب خلفها فى هدوء ورزانة ..

وكانت شاحبة الوجه كالموتى ! . ولكنها تقدمت فى خطوات وئيدة ثابتة .. وقد وضعت يدها اليمنى فوق صدرها كما لو كانت تمنع قلبها من التفجر أسى وكمدا ! .

وبدت على وجهها أمارات العزم وقوة الارادة ! . اذ كانت تقبض بهذه اليد التى وضعتها فوق قلبها ، على خنجر ماض فى طيات ثيابها ، .

كانت تعلم أن قتلها لكونسينى معناه الموت المحقق لها .. ولكنها لم تجد أمامها أنجع من هذا الدواء لمثله من الانذال .

ورغم ذلك .. فقد كان يضىء ظلمات نفسها قبس من الأمل الخفى الذى لا تعلم كنهه ولا مبعثه ! .

أى أمل هذا الذى تعلق نفسها به .. وهى التى ستتهم بقتل سيد فرنسا ! .

ووقفت صامتة كصنم لا حراك به ! .

أما كونسينى .. فما كاد يقع بصره عليها حتى انفرجت شفتاه عن ابتسامة أشبه بتكشيرة .. وأقبل عليها يقول وهو ينحنى أمامها

ـ لقد كنت واثقا من حضورك ! .

وظل يلتهمها بعينين تنمان عن الرغبة الجامحة الاثيمة ..

ولم تستطع موجيت أن تصمد أمام تلك النظرات الوقحة فأغمضت عينيها . وشعرت فى هذه اللحظة بفداحة طيشها ورعونتها ! وندمت على حضورها الى شباك هذا الوحش ! . ولكن .. مافائدة هذا الندم وقد فات الاوان ! .

وكانت تعتقد أن نجاتها ليست بخروجها على قيد الحياة من هذا المكان .. بل بمحافظتها على عفافها وشرفها ولو خرجت جثة هامدة ولذا كانت ترى قبس الامل فى نصل الخنجر اللامع الذى تخفيه تحت ثيابها ..

وقال كونسينى :

ـ لا شك أنك على استعداد لقبول شروطى من أجل حياة وسلامة ابنتك ! ٠

فقالت فى احتقار شديد :

ـ وحتى اذا قبلت شروطك ٠٠ فما الذى يضمن لى وعدك ؟ ٠ ان مثلك لا وعد له ولا شرف ٠٠

فلم يكترث كونسينى لهذه الاهانة ٠٠ وقال فى جراة غريبة وهو يشير الى ركن الغرفة :

ـ لقد أعددت لك فراشا لا يليق الا ببنات الملوك يا عزيزتى ! ٠

قال ذلك وهو يجهل أن مخاطبته ما هى الا ابنته ٠٠ وابنة الملكة مارى دى مدسيس ! ٠

ولم تجب موجيت ٠٠ وظلت صامتة ! ٠ وخيل اليه أن هذا الصمت منها هو دليل الرضوخ والاستسلام ! ٠ فاضطرمت نار الرغبة بين جوانحه ٠٠ واقترب منها ٠٠ ثم اقترب ٠٠ حتى شعرت بانفاسه الحارة المتأججة تلفح بشرة وجهها الحريرى الملمس ٠٠

ولم تتحرك موجيت من مكانها !٠٠ فسر لاستسلامها ايما سرور ! ٠ ولم يدرك أنها انما أرادت قربه منها حتى تتمكن من غمد خنجرها فى أعماق قلبه الاثيم ٠٠

ولكن كونسينى كان يشعر رغما عنه بقلق خفى يساوره ! ٠ اذ أن هذا الثبات غير المنتظر الذى بدت عليه موجيت ٠٠ وتلك الاسارير الناطقة بالعزم والدالة على ما تعانيه من أزمة نفسية حادة ٠٠ أثارت فى نفسه بعض الشك ! ٠

فقال يحدث نفسه :

ـ انها فتاة ذكية لا تخلو من العند ! ٠ فما الذى يدفعها الى هذا الهدوء الغريب ؟ وما لهـا تضع يدها اليمنى

على صدرها باستمرار ؟ ٠ ساكرهها على اخراجها لارى ما تخفيه ! ٠٠

وتقهقر الى الخلف بضع خطوات ٠٠ ثم ضرب بمطرقة صغيرة على لوح من النحاس ٠ فدخلت امراة متقدمة فى السن ٠٠ أحنت هامتها فى احترام ٠٠ فقال لموجيت :

ـ ان ابنتك فى كنف هذه السيدة الطيبة القلب ٠

ونظرت موجيت الى المراة نظرة سريعة ولم تنبس ببنت شفة ٠٠

وأضاف كونسينى موجها الحديث الى خادمتـــه التى كانت تختلس النظر الى الفتاة :

ـ بمجرد خروج هذه السيدة من غرفتى ٠٠ سلميها الطفلة ٠٠ وأطيعيها كما لو كانت أوامرها صـادرة منى ٠٠ هل فهمت ؟ ٠

فقالت المراة فى احترام : نعم ٠٠ فهمت يا سيدى ٠٠

والتفت الى موجيت وقال لعلك اقتنعت الان يا عزيزتى ! ٠٠

وانصرفت الخادمة وأغلقت من ورائها الباب ! ٠

وقال كونسينى :

ـ انك تسيئين الظن بى الى درجة كبـيرة يا آنستى ! لست غولا بشريا ٠٠ أو حيوانا كاسرا لكى أسىء الى تلك الطفلة الصغيرة البريئة ! ٠ فلن يمنعنى من الوفاء بوعدى شىء مادمت توفين بوعدك أنت أيضا ٠٠

ولم يبد على موجيت أنها فهمت ما قاله كونسينى ٠٠ أو حتى سمعته ! ٠

واستطرد كونسينى :

ـ اننى التجأت الى القوة واعتمدت على سطوتى لكى أحملك على الحضور بقدميك الى هذا المكان ! ٠ ولكنى

أخبرتك مرة قبل الان أنك أنت المذنبة ·· أنت التى أفعمت قلبى بهذا الحب الجامح الذى ينسى الانسان مبادىء الانسانية والشفقة ! ·

ومادمت قد جئت الى طائعة مختارة ·· فاننى عظيم الامل فى تكرار هذه الزيارات بمحض اختيارك يـا عزيزتى ··

وظلت موجيت صامتة · وعلى وجهها علامات اليأس الشديد ·

وافتتن كونسينى بها · وشجعه سكوتها فاقترب منها وقال وهو ينظر اليها فى رغبة جامحة :

ـ الى بشفتيك يا عزيزتى · الى بهاتين الوردتين وقد أكسبهما خوفك الذى لا مبرر له شـحوبا ليس من طبيعتهما ·

ولم تجب الفتاة ·· بل لبثت ترقبه فى حذر وأصابعها تزداد تقلصا حول مقبض الخنجر ·

ورفع ذراعيه ليطوقها · فلم تبد حراكا أو رغبة فى المقاومة ··

وحسبت موجيت أن الفرصة التى ترتقبها قد حانت ·· فاستلت خنجرها فى سرعة خاطفة ورفعت يدها ثم هوت بها بكل ما أوتيت من قوة فوق صدر كونسينى ·

وانتظرت أن تسمع منه أنة الالم أو حشرجة الموت · فاذا به ينفجر ضاحكا ويقول :

ـ يا الهى · كل انسان يتلهف الى قتل كونسينى المسكين · حتى أنت يا معبودتى الجميلة ·

وكان كونسينى ـ كما قدمنا ـ قد لاحظ وجود شىء فى يدها · فما أن رآها تخرج الخنجر من صدرها وتصوبه نحو صدره ·· حتى تدارك الامر وقبض على معصم يدها

بعنف ·· وألقى بالخنجر بعيدا عنها ··

وفوجئت المسكينة حين وجدت نفسها عزلاء وقد تحطم الامل الوحيد الذى كانت تحيا به ! ولبثت مشدوهة لا تدرى شيئا ! ·

وأمسك كونسينى بكتفيها العاريتين فى قسـوة شديدة ! ثم طوقها بذراعيه وهو يقول :

ـ انك ملكى الان · ! سواء أردت أو لم تريدى ! · انك تحت رحمتى ·

وأدركت المسكينة ألا خلاص لها من قبضته الفولاذية ! فانطلقت منها صرخة يائسة غاصت فى حنجرتها ·

وانحنى عليها كونسينى فى غلظة ووحشية ·· وظل وجهه يقترب من وجهها ببطء وهى تدفعه عنها بيديها دون جدوى ! · حتى اذا ما وضع شفتيه على شفتيها ·· شعرت بلهيبهما كأنه رصاص مصهور ينصب عليها ! ·

وفقدت موجيت وعيها ! · وما كاد ينهض عنها · حتى صرخت بملء حنجرتها

أوديت ! . أوديت ··

ثم طرحت رأسها الجميل على كتف ذلك الوحش ! · فعجب من أمرها · ونظر اليها فاذا بها فاغرة الثغر مغمضة العينين ! ·

وتراجع كونسينى الى الخلف مذعورا فسقطت على الارض بلا حراك ! ·

وقال الماريشال فى جزع يحدث نفسه : يا الهى ! · هل ماتت ؟

وانحنى عليها ·· وفحصها جيدا · ثم وضع يده على صدرها فشـعر بدقات قلبها الحزين ينبض فى سرعة وعنف · فقال :

www.rewity.com dodyadodo

ـ لقد أغمى عليها فقط ٠

وارتفع فى هـــذه اللحظة صوت ضميره ٠ فغمغم :

ـ لقد ارتكبت حماقة ما بعدها حماقة ! ٠ اننى أدنا بنى الانسان بغير شك ٠ اذن فلاتركنها وشأنها ٠ فهى حريصة على شرفها وعفافها وتستحق الاجلال والتقدير ٠

بيد أن هذا الخاطرَ النبيل ما لبث أن خبا نوره ! ٠ واختنق معه صوت ضميره ٠٠ فانه رمق جسم موجيت الممدد على الارض بنظرة طويلة ٠٠ وأغرته فتنته ودقة تقاطيعه ! فاشتعلت نار الرغبـة فى قلبـه من جديد ٠ وانحنى عليها وقبلها فى صدرها قبلة شرهة طويلة ٠٠ ثم رفعها بين يديه واتجه بها الى الفراش وهو يقول :

ـ سأكون غرا أبله اذا تركت هذه الفرصة النادرة تفلت منى ! انها لن تبدى مقاومة أو حراكا !

الفصل التاسع

بطولة باردليان

فى تلك اللحظة الرهيبة التى كانت العجوز بيرين تتحدث فيها مع (لاندرى ككنار) ٠٠ كان الكونت فالفير فى أشد المآزق حرجا وأدناها الى الموت المحقق ٠

لقد تركنا فالفير عندما استدعته فوستا لاجراء تحقيق دقيق لمعرفة المسئول عن دخول باردليان الى قصرها ٠

ورأينا أنه تجاهل الفارس كما نصحه ٠٠ وانصرف دون أن تلاحظ فوستا شيئا مما بينهما من علاقة ٠ ولكن هذا لم يمنعه من القلق على مصير صديقه بعد أن أوقفه الاخير على سر الدوقة دى سورينتيه ! ٠

وكان (دالباران) هو موطن ثقة الاميرة ٠٠ والشخص

الوحيد فى القصر الملم بأسراره ومنافذه ٠

وكان على قوته وضخامة جسمه ٠٠ خارق الذكاء سريع البديهة ٠ ! وقد أدرك من نظرة فوستا اليه وأمرها له باعداد غرفة البرج ، انها حكمت على بـاردليان بالموت ٠ ! ولذا أعد عدته لذلك ٠٠ وخصص للفارس مقعدا كبيرا فوق فتحة خفية فى أرض الغرفة ٠

فلما عزمت فوستا على التخلص من باردليان دعته فى رفق الى الجلوس على المقعد لتتحدث اليه مليا ، ثم ضربت المنضدة بقبضتها فانفتحت الثغرة وسقط الفارس ! ٠

ولبث فالفير يرقب الممشى الموصل للباب الخارجى حتى طال به الانتظار وقال فى نفسه :

ـ ان الحديث قد طال ٠ ! لعل ذلك يكون أدعى للتفاهم بينهما ٠

ولكن انقضت ساعة وهو فى انتظاره ! ثم ســـاعة أخرى ٠٠ وثالثة فقال فى يأس وقلق :

ـ اغلب الظن أن فى الامر شيئا ٠ ! اذ لا يعقل أن يظل باردليان معها طوال هذه المدة وقد أرخى الليل سدوله ٠

وكان فالفير لا يقل عن باردليان عزما وقوة شكيمة ٠٠

ولما وصل اليها وجد الباب نصف مغلق ٠٠ فتلفت حوله فى حرص لانه كان واثقا من العثور عليه فى هذا المكان ٠ وان وجوده فيه وفى مثل هذه الساعة مدعاة للشك ٠

بيد أن هذا التردد لم يدم طويلا ٠٠ فقد أيقن أن الغرفة خالية ٠٠ فدفع الباب فى شجاعة ودخل ٠

ووجد فالفير الباب الاخر مفتوحا بدوره فشعر بشىء من الطمأنينة وقال : لقد تمكن باردليان من الهرب من هذا الباب ٠

ولكن صرخة أليمة أفلتت منه برغمه حين وقع بصره على الثغرة الموجودة فى أرض الغرفة ·· فقال وهو يحملق اليها فى فزع

ـ انه لم يخرج من هذا الباب اذن ·· بل الذى خرج منه هو الدوق دانجوليم وفوستا ·· أما باردليان فقد القى ولا شك فى هذه الثغرة ·

وصرف بأسنانه غيظا وقال :

ـ اذا كان باردليان قد مات ·· فلن أخرج من هذا القصر الا بعد أن أغمس سيفى فى دم تلك الشيطانة ·

وترك الغرفة بعد ان امتشق حسامه ·· وقصد فى غير حرص الى دالباران ·

وبينما هو يسير فى دهاليز القصر باحثا عن تابع فوستا الذى يعلم ولا شك مصير الفارس ·· طرق أذنيه صوت ناعم رقيق ·

فقال فى غضب :

ـ انه صوت فوستا ! · الى أيتها المنكودة ·· فلم يعد فى القصر سواى وسواك ·· وسوف أريحك من عناء الامال وشقوة الامانى ·

وتتبع مصدر الصوت فوجده ينبعث من احدى الغرف ·· فالصق أذنه بالباب وأصاخ السمع ·

قالت فوستا : وأين الدوق دانجوليم ؟

ـ لقد غادر القصر يا مولاتى

ـ بمفرده ·· ؟

ـ نعم بمفرده ··

ـ ولم ·· ؟ ·

ـ لانه رفض أن يتبعه أحد من أعوان اميرتى · فاضطررنا الى اطاعته ·

وابتسمت فوستا وقالت : انه شجاع ·· طيب القلب شان كل آل (فالوا) ·· ولكن حياته غالية · ثمينة يا دالباران ·

ـ انى أعرف ذلك يا مولاتى ·

ـ ولا شك ان مسيره بمفرده ليلا فى طرقات باريس أمر لا يلائمنى كثيرا !

ـ انك على حق فى مخاوفك يامولاتى ·

وسكتت لحظة · ثم قالت :

ـ هل لى ان اسألك عما فعلته بعد ذلك ؟ ·

ـ ان مولاتى تعرف ما اتخذه من الاحتياطات فى مثل هذه الاحوال ·

ـ حسنا ·· هل افهم من ذلك انك أدركت وجهة نظرى فى هذا الصدد ··

وابتسم العملاق وقال :

ـ يسرنى ان اكون عند حسن ظن مولاتى بى ·· فلقد تبعته أنا واربعة من رجالى عن بعد دون أن يشعر بوجودنا ·

وقالت فوستا فى لهجة تدل على ارتياحها لاحتياطات دالباران :

ـ هذا عين ما كنت أتوقعه منذكائك ومن حسن تدبيرك للامور ·

واحنى العملاق هامته وقال :

ـ شكرا يا مولاتى ·

ـ يمكنك ان تنصرف الان ·

ولما انسحب دالباران ·· واقترب من الباب الذى يختفى وراءه فالفير واستعد هذا الاخير لملاقاته ·· ولكنه سمع صوت فوستا يقول :

ـ سؤال آخر يا دلباران ٠
فعاد الرجل ووقف بين يديها ٠٠ قالت :
ـ ألم يحدثك الدوق قبل انصرافه عن باردليان ٠
ـ نعم ٠٠ حدثنى يامولاتى ٠
ـ وماذا قال لك ؟ ٠
ـ لقد سالنى عن مصيره ، وحاول أن يعرف منى ان كان قد مات أم لايزال على قيد الحياة ٠
ـ وماذا قلت ؟ ٠
ـ أجبته بانه لقى حتفه ! ٠ لان باردليان ان لم يكن قد مات بعد ٠٠ فسوف يموت بعد قليل ٠
ـ لقد أحسنت صنعا ٠
وما كاد أوديت دى فالفير يسمع كلمات دالباران حتى أثلج صدره وحدث نفسه قائلا : ان كان باردليان لم يمت بعد ٠٠ فلن يموت ما دام فى عرق ينبض ٠
ثم قالت فوستا : اصعد الى الطابق الاعلى لكى ٠٠
فقاطعها دالباران : سأذهب اولا لاغرق الكهف الذى سقط فيه باردليان كما أمرتنى ، بفتح ثغرات الماء ٠
وقال فالفير : ياالهى ٠٠ انها تريد أن تميته غرقا ! صبرا أيها المذكور فلسوف أفتح تلك الثغرات فى صدرك ٠
ولكن فوستا عدلت عن رأيها وقالت فى صوت متاثر حزين ،
ـ كلا ! ٠ ان باردليان لن يموت غرقا ٠ انه شجاع ويجب أن يموت موت النبلاء ٠٠ يجب ان يلقى حتفه بطعنة نجلاء فى صدره ٠
ـ لتكن ارادة مولاتى ٠
وقال فالفير : أيتها الافعى السامة انك أشبه بمن يضع أكاليل الزهور على قبور ضحاياه ٠

وقالت فوستا : انى أكلفك أنت بأداء هذه المهمة ٠
ـ سأقوم بها على الوجه الاكمل يا مولاتى ٠
ـ ولكن باردليان مسلح يا دالباران ٠
فقال العملاق فى لهجة المعتز بنفسه :
ـ ان هذا القول لا يوجه الى مثلى يا مولاتى ٠
فضحكت فوستا وقالت : اننى لا أنكر قوتك الجثمانية الهائلة ٠٠ ولكن هذا لا يمنعنى من أن اهمس فى اذنك أن باردليان ليس رجلا كسائر الرجال الذين صادفتهم ! ٠ انى أخشى عليك منه ٠٠ فهو أقوى منك وأخف حركة ٠
وغلى الدم فى عروق دالباران وقال وهو يكظم غيظه :
ـ هذا غريب حقا يا مولاتى ٠
ـ وما وجه الغرابة فيه ! اننى اذا قلت لك أن باردليان أقوى منك فلا شك انه كذلك ! ٠ انك لا تعرفه كما أعرفه أنا ٠
فأحنى الرجل رأسه فى خضوع وقال :
ـ معنى ذلك أننى لا أذهب بمفردى اليه ؟ ٠
ـ كلا ٠٠ يجب الا يعرف بسر مقتله انسان !
ـ اذن بم تشير على مولاتى ؟
فابتسمت الاميرة ابتسامة شاحبة وقالت :
ـ الامر سهل هين ! ٠٠ اذ يكفى أن تضع قليلا من هذا المخدر فى النبيذ ٠٠ فيفقد وعيه ولا يقوى على المقاومة ٠
وناولته قارورة صغيرة الحجم وهى تقول :
ـ لقد تناول باردليان طعام العشاء على ما أظن ! ٠
ـ نعم يا مولاتى ٠
ـ اذن احتفظ بهذه القارورة معك وصب ما فيها غدا فى طعام افطاره ٠٠
وانصرف دالباران تعبا منهوك القوى ٠٠ حتى اذا

وصل الى غرفته استلقى على فراشه كما لو كان جثة هامدة !..

وفى صباح اليوم التالى .. التمس اوديت دى فالفير الاذن بالتشرف بمقابلة الاميرة ..

فلما مثل بين يديها .. حيته باسمه الثغر .. ضاحكة الوجه وقالت :

ـ اننى راضية عنك كل الرضـــا يا فالفير .. فانك اظهرت بالامس من اللباقة والبراعة فى حمل السلاح .. وحسن التنظيم .. ما حفز السيد باردليان الى ابداء اعجابه بك وبرجالك ..

فقال فالفير باسما :

ـ اننى أتيت اليك من أجل هذا بعينه يا مولاتى

ـ افصح . اننى لا أفهم ما ترمى اليه .

ـ أريد ان اقف على حقيقة ما وقع بالامس .

ونظرت اليه فوستا نظرة فاحصة ثم قالت :

ـ أى حوادث تعنى ؟ .

ـ الحوادث الهامة بطبيعة الحال ! .

ـ وما شانك انت فى ذلك ؟

ـ انها تهمنى الى أقصى حد يا مولاتى ! . أريد أن اعرف ماذا تم فى امر الفارس باردليان بعد أن ضبط وهو يسترق السمع .. فدخل غرفة البرج ولم يخرج منها ! .

وقد وقعت هذه الكلمات على مسامع فوستا وقوع الصاعقة ! . لانها كانت تعلق على الشاب اهمية كبيرة .. وتقدر قوته وشجاعته حق قدرهما .

ورغم ذلك فقد ظلت رابطة الجاش ثابتة الجنان . ولم يبد على وجهها أى أثر مما تعانيه من أزمة نفسية حادة .. وكل مافعلته أنها اعتدلت فى جلستها وابتسمت فى غير

تكلف وقالت بصوت هادىء :

ـ هل تسمح لى باستدعاء أحد الشهود لحضور جلستنا هذه ؟

بكل سرور يا مولاتى ! .

وطرقت بمطرقتها ثلاث طرقات .. فحضر دالباران على الاثر كما لو كانت ارض الغرفة قد انشقت عنه .

ولم تخاطبه فوستا بكلمة واحدة . غير أنه أدرك من نظراتها ما تنوى القيام به ؛ فوقف فى أحد أركان الغرفة صامتا لا يتكلم .

ولم يعره أوديت اهتماما .

أما فوستا ، فانها سالت فالفير ولم تفارق ابتسامتها الجميلة وجهها الفاتن : هل لك ان تتلكم فى شىء من الصراحة عن غرض زيارتك المبكرة هذه لى ؟

ـ اننى ما جئت الا من اجل باردليان . وبوسعى الان أن اتكلم فى صراحة اكثر .. .

ثم أشار الى دالباران وقال :

ـ نعم . ساتكلم فى صراحة اكثر . لاننى ساكون حرا فى انتقاء الالفاظ والكلمات التى أمتنع عنها لو كانت الاميرة بمفردها ... وبغير ساعد يدافع عنها .

وقد اومات برأسها ايجابا .. واستطرد فالفير :

ـ لقد سمعت ما دار بينك وبين الدوق دانجوليم من حديث !.. وعلى ذلك فانا ملم بكل النقط الجوهرية فى هذا الموضوع .

وارتجفت اهداب فوستا فى اضطراب وقالت :

ـ آه .. وماذا تعلم اذن ؟! انى أتوق الى سماع ذلك منك .

ـ سأجيبك الى طلبك يا مولاتى !

ثم اضاف فى هدوء غريب : انى أعرف انك بمساعدة ملكاسبانيا ومعونته تريدين أن تخلعى صاحب الجلالة لويس الثالث عشر ملك فرنسا لتنصبى شارل بدلا منه ، اليس كذلك ؟

ـ وماذا ايضا ..

ـ وانك لكى تصلى الى تحقيق هذا الغرض .. لا تتورعين عن ارتكاب اقسى الجرائم واشنعها كالقتل والفتنة وبث الدسائس .

وأعرف كذلك أنه بلغ بك الخيال حدا أن اعتمدت على فى قتل هذا الملك الطفل . فارتكب بيدى ما ارتكبه جان كليمان ! . وقد حسبت أننى من تلك النفوس الضعيفة التى تستبيح التفريط فى النبل والشرف من أجل المال ! . ولا شك أن فى قولك هذا اهانة لا أغتفرها .. وأقول لك فى صراحة تامة انك لو كنت رجلا لعرفت كيف أثأر لهذا الشرف الذى ثلمته بمثل هذه السهولة .

وسكت فالفير قليلا وقد انتفخت أوداجه وظهرت عليه أمارات الغضب .

أما فوستا .. فانها بعدهذا القول قر رايها على قتله ، وصممت على الا يخرج حيا من قصرها .. لانه لا يقل خطورة عن باردليان ما دام يعرف كل هذه المعلومات ! .

وعجب دالباران لسر هدوئها وعدم اصدارها الامر بالتخلص منه . وغاب عنه انها كانت تريد أن تقف على مدى ما عرفه من أسرارها الخطيرة . فقالت ولم يزايلها هدوؤها : وماذا بعد ؟

ـ وأنا الذى قابلت الفارس باردليان ومكنته من سماع حديثكما ..

وهنا خرجت فوستا عن وقارها لاول مرة .. فصرخت

فى وجهه :

ـ هل فعلت ذلك حقا ؟ .

فقال فالفير فى هدوء : نعم ؟

ـ ولم .. ؟

ـ لان باردليان طلب الى ذلك .

ـ وهل اذا طلب اليك انسان شيئا ، تعمله فى الحال ! ولو كان ذلك فى قصرى؟ ..

ـ كلا .. ولكنى لا اكاد أجسر على مخالفة ما يطلبه الى هذا الفارس العظيم .

ونظرت اليه فوستا مليا ثم قالت :

ـ هل أنت من أصدقاء باردليان ؟ .

ـ نعم ! انه بمثابة الاب والاخ الاكبر لى . وليس فى هذا ما يدعو للغرابة ! . انه هوالذى جعل منى رجلا قوى القلب مرهوب الجانب .. واغدق على من عطفه وحبه ورعايته ما جعلنى أسير اخلاصه على مر الايام .

ورفعت فوستا عينيها الى سقف الغرفة وهزت رأسها فى يأس .

أما فالفير .. فانه ادرك ما يدور فى خلدها فقال فى ثبات وهدوء :

ـ اننى أعرف خيبة املك فى يا سيدتى ! .. ولكنى افضل ان انفض يدى من خدمتك . واتخلى عن جاهك ومالك، عن الاشتراك فى مس شعرة واحدة من رأس باردليان .

فقالت وعلى شفتيها ابتسامة شاحبة : وهل فرغت جعبتك مما لديك

فقال فالفير فى جرأة :

ـ كلا ! . لم أنته بعد ! . فان هناك أمرا أريد أن

www.newily.com 4adyaadda

اصارحك به ٠٠ ولولا انك امراة لقلته فى غير تردد ! ٠٠ اذ ليس من شأنى اهانة النساء ٠٠

فقالت فوستا ببرود :

ـ انى أبيح لك التكلم كما يروق لك ٠

ـ لقد ادعت مولاتى الدوقة دى سورينتيه انها لا تسمح للكذب ان يمر بين شفتيها ! ٠٠ ورغم ذلك فقد كذبت على ! ٠٠ ولا زلت اذكر ما قلته لى حينما سألتك عن نواياك تجاه ملك فرنسا فادعيت انك تكرسين كل ما تملكين من قوة وسعة نفوذ لشد أزره اليس كذلك ؟! ٠

فقالت فوستا فى خبث :

ـ نعم لقد قلت ذلك ! ٠٠ ولم أكذب فيه ٠٠ لان ملك فرنسا الحقيقى هو الدوق دانجولييم ابن شارل التاسع ! ٠ وأنت لا تستطيع ان تنكر ما أبذله لاجله من خدمات جليلة !؟ ٠

فقال فالفير : انها سرعة بديهة تستحق الاعجاب ٠ وليست بغريبة على الاميرة فوستا التى سعت فى يوم من الايام الى نقل الكنيسة من روما الى باريس لكى تصبح هى الكاهنة العظمى ! ٠

ولم تفاجأ الاميرة بهذا القول ٠ لانها توقعت ان يعرف عنها كل شىء مادام على اتصال وثيق ببارديليان ٠ ولكنها قالت له فى هدوء :

ـ انك لم تكمل حديثك بشأن باردليان ! ٠

ـ لقد اوقعته فى شرك دنىء ! وعاملته معاملة لا تتفق والنبل فى شىء ٠٠ اننى أريد ان اعرف ماذا تم فى أمره ٠٠

وسكتت فوستا برهة ثم قالت : لقد مات ٠

ـ أنت تكذبين ! ٠ وأتوقع منك كذبات أخرى أحط من

هذه الكذبة ٠٠ انى أعرف انه لا يزال على قيد الحياة مسجونا فى احدى غرفك السرية ٠٠

ثم أشار الى دالباران وقال :

ـ كما أعرف ان هذا الشخص الذى يكاد يقتلنى بنظراته ـ سيضع مخدرا فى نبيذ باردليان حتى يتسنى له أن يقضى عليه وهو آمن ٠٠ انى أعرف كل هذا كما ترين ٠

ـ هذا جميل ٠٠

ـ وأجمل منه اننى لن أخرج من هذا المكان الا بصحبة باردليان ٠

وكانت فوستا تستمع اليه فى هدوء شديد ٠٠ وبغير اكتراث كما لو كانت كلماته القاسية موجهة الى شخص آخر غيرها ٠٠ واخيرا قالت :

ـ اذن فأنت مصمم على عدم مبارحة القصر الا بمصاحبة صديقك باردليان ٠

ـ نعم ٠٠

ـ ان مطلبك يبدو لى فى الحقيقة عادلا ومشروعا ٠٠

ثم التفتت الى دالباران وقالت فى رقة :

ـ اننى أحب كثيرا الفارس باردليان ٠ ولا شك أننى أحب من يحبه ٠٠ وعلى ذلك فاننى لا أجسر على رفض رغبة الكونت أوديت دى فالفير فى خروجه برفقة الفارس ٠ فنفذ هذا الامر فى الحال يا دالباران ٠٠٠

ولم يغب عن ذهن فالفير المعنى الخفى الذى ترمى اليه من وراء هذا الكلام الرقيق ٠ اذ كان ينطوى فى الواقع على حكم الاعدام ٠

وكان مبعث هدوئها هو اطمئنانها الى قوة دالباران الهرقلية وعضلاته الفولاذية ٠٠ حتى انها لم تفكر فى

استدعاء من يشد ازره فى هده المهمة ٠

وكان العملاق الضخم يثق فى قوته ويعتز بجبروته ٠٠ فنظر الى فالفير نظرة احتقار ٠٠ وتقدم اليه ببطء ٠

اما فالفير ٠٠ فقد تظاهر بأنه لم يدرك كنه هذه المناورا ت٠٠ وانحنى امام الاميرة ليشكرها ٠٠ ثم وقف امام دالباران وجها لوجه وهو يبتسم له فى اطمئنان ٠

ولما اصبح العملاق على قيد خطوتين منه ٠٠ قال له فى صوت هادىء عميق :

ـ انك اهنت مولاتى ٠ ويجب أن تموت ٠ واننى أهبك ثانية واحدة لتوصى روحك بالذهاب توا الى الجحيم ٠٠

ورفع قبضة يده الهائلة ٠ وهوى بها على رأس فالفير الذى كان يبدو قزما بجانبه ٠

ورأى فالفير يدالباران الضخمة ترتفع فوق رأسه ٠٠ ورغم وثوقه من أن مثل هذه القبضة جديرة بأن تقتل ثورا لساعته ٠٠ فانه لم يحرك ساكنا ٠ وظل ثابتا حتى أوشكت يد العملاق أن تصطدم برأسه وتحطم جمجمته فدار على عقبيه ٠٠ وراغ من الضربة فى سرعة ومرونة جديريتين بالاعجاب ٠

وكان دالباران قد وضع كل قوته فى هذه اللطمة التى لم تقابل الا الهواء ٠ فاندفع العملاق الى الاما م٠٠ وكان هذا ما توقعه فالفير الذى عاجله بضربة هائلة فى مؤخرة رأسه طرحته على الارض منبطحا على وجهه ٠

ولم يضع فالفير لحظة واحدة ٠ بل قفز فوقه وانهال على رأسه بطلمات سريعة قوية ٠ ففقد وعيه من هول ما أصابه ٠٠ وتمدد على الارض تحت قدمى فوستا وهو أشبه بجثة هامدة ٠٠

أما هذه الاخيرة ٠٠ فانها لم تفقد رباطة جأشها ٠

وكل ما فعلته أنها رمقت دالباران بنظرة سريعة وهى تعجب فى نفسها لهزيمته ٠

ومدت الاميرة يدها فى هدوء الى المطرقة الذهبية لكى تستدعى حرسها ٠٠

وما رآها فالفير تفعل ذلك حتى قال لها محذرا :

ـ اذا فكرت فى استدعاء حرسك فأنك ترغمينى لاول مرة فى حياتى على قتل امرأة ٠

فنظرت اليه فى احتقار وقالت :

ـ هل تجرؤ على هذا العمل ٠٠ هل تجسر يداك على قتل اميرة ؟ ٠

ـ نعم ٠ اننى أجرؤ على هذا العمل مع من كان على شاكلتك من النساء ٠

قال ذلك فى جرأة وعزم ٠٠ فشحب وجه فوستا قليلا ٠٠ وقالت تحدث نفسها :

ـ ان الكلاب التى تعوى كثيرا لا تعض ٠

وفى الواقع ٠ لم يدر بخلد فالفير ان يقتلها ٠٠ بل كان يحسب أن مثل هذا التهديد يكفى لامرأة عزلاء مثلها ٠٠

ورفعت فوستا المطرقة فى غير اكتراث لتطرق بها لوح الفضة ٠

وفى هذه اللحظة قفز اليها فالفير ٠ وانقض على معصم يدها وانتزع المطرقة منها ٠٠ ثم ألقى بها بعيدا فى أحد اركان الغرفة ٠

وأخرج فى لمح البصر خنجره ووضعه على عنقها العاجى الفاتن ٠

وحاولت فوستا أن تخلص يدها منه بكل ما أوتيت من قوة فلم تستطع ٠ وأدرك فالفير ما يدور بخلدها فقال مهددا :

ـ أى نداء أو صرخة تخرج من هذه الحنجرة المقوتة تضطرنى الى غمد هذا الخنجر فى عنقك فورا ٠

وأدركت فوستا انه جاد فى وعيده فقالت :

ـ اننى لن انادى احدا ٠ دعنى ٠٠

وتركها فالفير ٠٠ ولا زال ممسكا خنجره فى يده ٠٠ قالت فى رقة واغراء ٠ وهى تبتسم ابتسامة فاتنة تفيض بالسحر والجاذبية :

ـ انى لم أر فى حياتى شابا جميلا مثلك يطاوعه قلبه على قتل امراة ٠٠

ـ انى لا أتردد فى ذلك مادمت تكرهيننى على هذا العمل يا سيدتى ٠

ـ اذن اقتلنى ! ٠ اننى لا أخاف الموت ٠٠

ـ اننى لا أجهل انك امراة شجاعة ٠٠ وأنا لا يهمنى موتك بقدر ما يهمنى موت مشروعاتك الخطيرة التى تسعين بها الى قلب فرنسا رأسا على عقب ٠

انى أخيرك بين أمرين لا ثالث لهما : اما أن تهبيننى حياة باردليان واما ان أغيب خنجرى هذا فى قلبك حتى مقبضه ٠

فقالت فى هدوء : انى اهبك حياته اذا شئت ٠

ـ ولكنك ـ وارجو المعذرة ياسيدتى ـ امراة خداع ومختالة ! ٠ فأنا لا آمن من جانبك ٠٠ ولذا سأضطر الى استصحابك الى الغرفة التى بها باردليان ٠٠ وأنا ممسك خنجرى بيدى ٠ حتى اذا ما فكر تفى الاستنجاد بأحد قتلتك فى التو واللحظة ٠

ولم تجب فوستا ٠ بل نهضت فى الحال ٠ والقت نظرة سريعة على دالباران ٠٠ ثم خرجت من الغرفة يتبعها فالفير ٠

وسار الاثنان فى سراديب القصر وفالفير ممسك بقبضة يدها حتى لا تفر منه ٠٠ وعلى استعداد لان يغمد خنجره فى صدرها اذا حاولت الاستنجاد ٠

وكان الطابق الارضى شديد الحلكة ٠ فأخذت فوستا مصباحا صغيرا لينير لهما السبيل ٠٠ حتى اذاما وصلت الى غرفة لها باب حديدى صغير فتحته بطريقة خاصة وتقدمت الكونت الى الداخل ٠

وتلفت فالفير حوله ثم قال فى صوت خافت :

ـ انى احذرك للمرة الثانية يا سيدتى ! ٠ لو كنت تنصبين لى شركا آخر ٠ فانك ستدفعين ثمنه غاليا ٠

وقالت فوستا فى هدوء :

ـ كلا ٠٠ ان صديقك باردليان سجين فى هذه الغرفة

ودخل فالفير فى أعقابها ٠٠ وأجال النظر حوله على ضوء المصباح الذى تحمله فوستا ٠ فلم يجد لباردليان أثرا ! ٠ فقال : أين هو باردليان

فتصنعت فوستا الدهشة وقالت : اننى فى حيرة من أمرى »

فصرخ فالفير أين هو ! تكلمى ؟

ـ اننى لا اعرف وأيم الحق ٠٠ لقد سقط أمس فى هذه الغرفة ! ان صديقك شيطان ولا يبعد أن يكون قد هرب ٠

وتبين فالفير فى لهجتها الصدق ! وكان يبدو عليها حقا أنها فوجئت باختفاء باردليان ٠٠ ورغم ذلك فقد اعترض فالفير طريقها وقال :

ـ هل أنت واثقة يا سيدتى من أننا فى الغرفة التى ألقى فيها باردليان ؟

ـ هذا مما لاشك فيه !

فدهش فالفير ٠ وقال يحدث نفسه

ـ انى أستشف فى نبراتها لهجة الصدق ٠٠ وأنا لا أستبعد أن يكون باردليان قد فر بطريقة خفية !

وأراد أن يستوثق فتناول المصباح من فوستا ٠٠ وتقدم خطوة الى الامام ليبحث فى أنحاء الغرفة ٠ وفى هذه اللحظة شعر بضربة هائلة تصيب رأسه ٠ وبطنين داو فى أذنيه ٠٠ وسقط على الارض فاقد الوعى ٠

وخرجت فوستا من الغرفة فى هدوء غريب ٠ وتبعها (دالباران) وقد أمسك بيده مصباحا آخر ٠ وأغلق الباب من خلفه بعناية ثم لحق بها ٠

والتفتت اليه فوستا وقالت :

ـ لقد كنت واثقة من أنك سوف تلحقنى بعد قليل ٠ اذ رأيتك عند انصرافى وأنت تفتح عينيك فى حرص ٠ فتعمدت أن أسير ببطء ٠ حتى أتيح لك فرصة فى ادراكنا ٠

وقال دالباران فى صراحة : أما أنا يا مولاتى ٠ فلم أكن واثقا من هذه النتيجة ٠ لقد خيل الى أننى فقدت عقلى بعد ضربة هذا الشيطان ٠

وسألته فوستا بلهفة : ولكنى لم أجد باردليان هناك ؟

ـ لقد لاحظت أنه أبعد قضبان النافذة وذهب الى الحجرة المجاورة ٠

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

ـ نعم ٠

ـ اذا كان ذلك كذلك ٠ فانه يكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ٠

وارتسم شبح ابتسامة على شفتى دالباران ولم يتكلم ٠٠ وقالت فوستا : هل أنت واثق من موت فالفير ؟

ـ كلا يا مولاتى !

ـ يخيل الى أن تلك الضربة التى تلقاها قد حطمت جمجمته تحطيما ٠

ـ لو كنت فى حالتى الطبيعية لمات فى الحال ! ولكن هذا المنكود أنهك قواى وجعلنى أتحامل على قدمى كى ألحق بكما ٠

وعقدت فوستا ما بين حاجبيها وقالت فى شىء من الضيق :

ـ فى هذه الحالة يتغير وجه الامور ٠

ـ لم يا مولاتى ؟

ـ لانه اذا عاد الى وعيه فسيحدث باردليان بخدعة المخدر ٠

ـ هذا صحيح يا مولاتى ٠

ـ كما أنهما اذا اجتمعا ٠٠ أصبحا قوة لا يستهان بها ٠

وفكر دالباران قليلا ثم قال

ـ فى هذه الحالة لا نجد بدا من اغراق الكهف فيموت الاثنان معا ٠

فقالت فوستا فى عزم : هذا ما سألجأ اليه أخيرا ٠

ـ يجب أن ننفذ هذا العمل فى الحال يا مولاتى قبل أن يفكروا فى ايجاد طريقة للهرب ٠

ـ اذن اذهب وافتح فوهات المياه ٠

فانصرف دالباران مسرعا ٠

شعر باردليان حين فتحت الثغرة من تحته بأنه يسقط بمقعده فى قوة هائلة ٠٠ غير أن سرعة اندفاعه بعد ذلك أخذت تخف تدريجيا حتى وصل الى القاع فى رفق ولم يصب بأذى ٠

وأدرك الفارس أن المقعد كان ينزلق بطريقة ميكانيكية

خاصة تبدأ بسرعة وتنتهى ببطء شديد · فقال يحدث نفسه :

ـ ان الاميرة لم تشأ أن تحطم عظامى ! لعلها تضمر لى ميتة أخرى غير هذه ··

وترك مقعده ·· وأجال نظره حوله ثم قال :

ـ انها بئر سحيقة القرار ·· غير أنى أستطيع أن أتسلق هذه العمد وأعود الى الثغرة ··

ولشد ما كانت دهشته حين سمع أزيز آلة بين الجدران · واذا بالعمد تختفى وقطعة الحديد التى كان يرتكز عليها المقعد تميل ببطء حتى سقط المقعد على الارض وارتفعت الى أعلى لتسد الثغرة فى غرفة البرج ·

وكان المكان مظلما ·· فلم يتبين الفارس شيئا حوله ·· واذ ذاك أخرج سيفه ومد يده الى الامام يتلمس طريقه ويتفقد سجنه ·

وقال يحدث نفسه :

ـ يبدو لى أننى الان فى قاع البرج · لان هذه الغرفة مستديرة أيضا · ولا شك أنها تحت مستوى سطح النهر ·

وشعر بخور فى قواه فتمدد فى مكانه وغط فى نوم عميق · وفى الصباح راى بصيصا من الضوء مختنقا ينبعث من أحد الجدران ·· فجر المقعد وصعد عليه وقال :

ـ يا الهى ·· انها نافذة صغيرة . على أى جحيم تطل هذه النافذة ؟

وظل يعالج قضبانها ويحاول أن يقتلعها بعضلاته الفولاذية ·· غير أنها لم تتزحزح ·· فوضع كتفه عند حافتها وأمسك بأحد القضبان وظل يدفعه بكل قوته حتى

تحرك أخيرا ·

وكرر باردليان هذه العملية حتى تصبب العرق من جبينه وكاد الدم ينفجر من شرايين ذراعيه · وأخيرا تمكن من فتح ثغرة بين القضبان تسمح بمروره · فنفذ منها وقفز الى أرض الغرفة المجاورة ··

كانت هذه الغرفة أقل ظلمة من الاولى · ولاحظ باردليان أن الضوء يتسرب اليها من ثقوب مرتفعة · وأمكنه بعد قليل أن يرى كل شىء فى وضوح تام ·

وقال الفارس يحدث نفسه :

ـ يا الهى ! لقد أدركت الان كل شىء ! ان هذه الخراطيم الضخمة التى تختفى تحت الجدار تنقل مياه السين الى الغرفة المجاورة ! وبما أن النافذة الوحيدة فيها أعلى من قامة الرجل بأكثر من نصف متر فلا أمل للنجاة من الغرق اذا غمرتها المياه ؟

ووضع قدمه على نتوء بارز فى الجدار ·· ونظر من أحد الثقوب فرأى مياه السين تنسكب من حول البرج متدافعة ··

وهبط الى أرض الغرفة وهو يقول :

ـ ان هذا المكان ليس أكثر طمأنينة من الاخر ·· اذ من الممكن غمره بالماء كذلك ·· ان هذه الشيطانة فوستا لا تقهر !

وبعد قليل ·· سمع صوت باب يفتح · فأرهف السمع ·· ومشى على أطراف أصابعه والصق أذنه بالجدار ··

وسمع باردليان همهمة فوستا وفالفير فى الغرفة المجاورة ·· ولكنه لم يتبين صوت صديقه جيدا ·

وفضل الفارس أن يظل صامتا على أن يشعر أحدا

بوجوده .. كما أنه أدرك ألا فائدة من وصوله الى هـذه الغرفة دون أن يلفت أنظار الموجودين بها ، لعلو النافذة من ناحية وضيق الثغرة التى يمر منها من ناحية أخرى . مما يستغرق وقتا طويلا .

ولم تمض لحظات حتى سمع باردليان صرخة مختنقة هى التى أرسلها فالفير عندما فاجأه دالباران بضربته القاسية .. ثم صوت صرير الباب وهو يغلق بعد انصراف فوستا وتابعها .

وانتظر باردليان قليلا .. ثم قفز الى النافذة فى خفة . وانتقل الى الغرفة المجاورة ..

وكان المصباح الذى يمسكه فالفير فى يده قد سقط على المقعد .. وشاء القدر ألا ينتبه اليه دالباران رغم أنه ظل موقدا .

وتقدم باردليان من الجسم الممدد أمامه .. ثم فحص وجهه على ضوء المصباح وما لبث أن هتف فى صوت خافت :

ـ أوديت دى فالفير ! .. يا الهى . لابد أن يكون هذا الطفل المسكين قد أطلق لسانه ! ..

وانحنى فوقه . ووضع أذنه على صدره ثم قال وهو يتنفس الصعداء :

ـ انه لا يزال على قيد الحياة ! .. شكرا لله .

وعمل الفارس على افاقة فالفير . حتى عاد الى وعيه أخيرا .. وفتح عينيه ببطء .. وقال فى دهش : آه ! .. باردليان ! ..

فقال الفارس فى هدوء :

ـ نعم هو ! . كيف حالك الان أيهـا الكونت المسكين ..

ـ أحسن كثيرا والحمد لله .

وأجال فالفير بصره فى الغرفة ثم قال :

ـ أليس هذا هو المكان الذى سقطت فيه بالامس ..

ـ نعم هو ..

ـ ولكنى لم أجدك حينما أرغمت فوستا على المجىء معى لانقاذك .

فهتف باردليان دهشا : أرغمت فوستا ؟؟

ـ نعم أرغمتها على ذلك بخنجرى ؟ .. ولو وجدناك فى هذه الغرفة لاستطعنا الخروج بسلام .

فابتسم باردليان ابتسامة عريضة وقال :

ـ انك داهية شجاع ! .. كيف حدث ذلك ..

ـ سأقص عليك الامر فيما بعد .. ولكن خبرنى أين كنت بحق الشيطان . هل اهتديت الى طريقة تخفيك عن الاعين ؟

فضحك باردليان وقال : كلا .. ولكنى اهتديت الى طريقة تمكننا من مغادرة هذه الغرفة اللعينة .

فهتف فالفير : حقا .

ـ سنتركها الان .. حتى لا نموت غرقا .. أو على الاقل نؤخر هذا الموت بضع ساعات قليلة .

وبعد برهة سمع الاثنان صوت أزيز آلة ينبعث من بين الجدران .. تلاه خرير مياه متدفقة .

فقال فالفير جزعا : انها ستنفذ وعيدها .

ـ وهل كنت فى شك من ذلك ؟

وتقدم باردليان فارتقى المقعد .. ونفذ من بين قضبان النافذة .. ثم عاون فالفير على الصعود بعد أن تناول منه المصباح فى حرص شديد .

وفحص باردليان الغرفة الاخرى على ضوء المصباح

من جديد . · فوجد الجدران من الاحجار الضخمة ·· فقال لصديقه :

ـ ليس من المعقول الا يكون لهذه الغرفة من منافذ غير الذى دخلنا منه ؟

ـ ماذا تعنى يا باردليان ؟

ـ اننى واثق من وجود باب سرى هنا ·

ـ هذا لاشك فيه ·· ولكن كيف نهتدى اليه ونيس أمامنا متسع من الوقت للبحث والتنقيب ·

ـ انتظر قليلا ·· وعاونى على تسلق هذه النافذة مرة أخرى ·

وعاونه فالفير ·· فانتزع باردليان قضيبا حديديا وهبط به ثم اخذ يطرق الجدران بعنف ويصغى الى صوت الطرقات .

ولكنه على الرغم من ذلك لم يهتد الى ما يدل على وجود فراغ وراء احداها ·· فأعاد الكرة مرة أخرى · ولكن بغير جدوى أيضا ·

وارتسم اليأس على محياه ·· وقال :

ـ بعد قليل ستمتلىء الغرفة المجاورة ·· ثم تتدفق المياه الينا من النافذة وتغرقنا ·

ولم يجب فالفير . · وظل صامتا ·

ونظر اليه الفارس · فالفاه مطرق الرأس ·· مهموما ·· فقال له :

ـ هل تخاف الموت يا فالفير ؟ ليس هذا عهدى بك ·

فتنبه الشاب من اطراقه وقال

ـ كلا · ! اننى لا أخاف الموت ·· ولكن . ·

ـ ولكن ماذا ؟

ـ قد حدثنى قلبى الان بوقوع أمر جلل ·

ـ وحدثنى أنا أيضا ·· فالامل فى نجاتنا ضعيف لا يذكر ·

فقال فالفير فى لهجة حزينة :

ـ كلا ! ليس هذا ما أخشاه ، ولكن يخيل الى أن موجيت فى خطر ·

وقبل أن يجيبه باردليان · . تذكر فالفير (لويز) ابنة جيهان فقال فى صوت طروب :

ـ دعنا نلتمس شيئا من التسرية فى هذا الشقاء المطبق ! ان لدى خبرا سارا يا باردليان ·

وعجب الفارس لهذا التطور الغريب الذى طرأ على الشاب فسأله دهشا : وما هذه الاخبار السارة ؟

ـ لقد عثرت على لويز ·· حفيدتك ·

وقفز الفارس وصاح :

ـ حقا ؟ هل أنت على يقين من أنها هى لويز بعينها ؟

ـ نعم ·· ورأيت ثيابها الصغيرة التى وجدت عليها يوم اختطافها ·· والمرسوم عليها التاج شعار المركيز جيهان دى باردليان .

ونسى الفارس أمر نفسه ·· وطفق يسأله فرحا مستبشرا عن كيفية عثوره عليها وعن مكان وجودها ، فأجابه فالفير بما طمأن قلبه وقال له :

ـ أما لويز فانها الان شيطانة جميلة فى الرابعة من عمرها ·

وقال باردليان : ان هذا النبأ فأل حسن ·· !

وفى هذه اللحظة سمع باردليان صوتا ضعيفا كأنه صادر من وراء جدران الغرفة · فوضع أصبعه على فم فالفير وهمس قائلا :

ـ ألا تسمع شيئا ··

فأرهف فالفير السمع وقال :

ـ يخيل الى أننى أسمع صوت مجاذيف ترتطم بالماء ٠

ـ نعم ٠٠ وأنا أيضا !

ـ وما معنى ذلك ٠٠

ولم يجب باردليان بل أشار اليه أن يعتلى كتفيه لينظر من الثقوب المرتفعة ٠٠ ففعل ٠٠ وارسل باردليان بصره الى ما خلفها ٠ فالفى دالباران وأربعة من رجاله يقتربون من البرج ٠

ووقف القارب على مقربة من جدار الغرفة الخارجى ٠٠ وانحنى دالباران على مكان خاص بالجدار وفحصه جيدا ثم أومأ برأسه علامة الاطمئنان وأمر رجاله بالتجذيف وانصرفوا ٠

وهبط الفارس وهو يكاد يطير فرحا وقال :

ـ يالنا من أغبياء ! لقد أكدت لك أن فى هذه الغرفة بابا سريا ولكننا قصرنا بحثنا على الجزء الاسفل من الجدار ! ٠٠ ان هذا الباب مرتفع حتى لا تنفذ منه المياه اذا فتح ٠

فهتف فالفير مسرورا ومن أدراك بذلك ٠٠

ـ لقد رأيت دالباران يفحص هذا الباب من الخارج ليطمئن على عدم هروبنا وبوسعى أن أحدد مكانه على وجه التقريب ٠

وحمله فالفير بيديه واقترب به من الناحية التى عينها باردليان ٠ وأمسك الفارس المصباح بيده وظل يفحص الجدار فحصا دقيقا ٠٠

وأخيرا صاح : هاهو ٠٠ انه من الخشب السميك رغم أن طلاءه يوحى الى الناظر أنه جزء من الجدار ٠٠

ونزع باردليان غطاء المصباح وسلط لهبه على الباب ٠

وظل كذلك برهة حتى اشتعلت به النار ٠

وبعد فترة قصيرة ٠٠ احترق جزء كبير من الباب ٠٠ فلما أيقن باردليان من أنه يتسع لمنكبيه العريضين أطفأ النار ونفذ منه وقفز الى النهر ٠٠ وتبعه فالفير ٠

وسبح الاثنان الى الشاطىء ٠٠

وبينما كانا يبتعدان عن القصر ٠٠ سمعا صفيرا قويا ينطلق من أعلى البرج ٠٠ فقال باردليان :

ـ لقد رآنا الحارس بغير شك ٠٠ هيا أسرع حتى نصل الى الشاطىء قبل أن يلحقوا بنا ٠٠

وسبح الاثنان بكل قوتهما ٠ غير أن دالباران ومساعديه كانوا قد سمعوا الصفير فاندفعوا بالقارب وهم يجذفون بقوة وسرعة الى ناحية الهاربين ٠٠

وما هى الا برهة ٠٠ حتى أدركوهما ٠ وتنبه باردليان الى وجود القارب على قيد بضعة أمتار منهما ٠ وكانت تفصلهما عن الشاطىء مسافة كبيرة فأيقن الا سبيل للفرار ٠ وأعمل فكره بسرعة للاهتداء الى وسيلة للنجاة ٠

وصاح دالباران محذرا : قفا ٠ والا أطلقنا عليكما النار ٠

فهمس باردليان : غص تحت الماء بسرعة ٠ ولا تظهر على سطحه الا لتتنفس فى اتجاه مضاد ٠

ورضخ فالفير ٠٠ وغاص الاثنان تحت الماء على الاثر ٠

أما دالباران ٠ فانه أدرك مكانهما بعد اختفائهما بقليل ٠ ولبث حائرا ثم أطلق رصاصة فى البقعة التى غاصا فيها ٠

وظهر فالفير ليستنشق الهواء فلمحه أحد الرجال

وصاح : ما هو أحدهما · بيد أن دالباران ماكاد يتحول اليه · حتى اختفى أوديت فى لمح البصر . أما باردليان · فانه لم يظهر ·

وفجأة شعر الموجودون فى الزورق بانه يميل الى ناحية اليمين · واذا بباردليان يقفز فجأة بينهم أشعث الشعر · مكفهر الوجه يتقاطر الماء من ملابسه ·

وتراجع دالباران الى الخلف ليصوب بندقيته الى صدره · بيد ان الفارس لم يترك له فرصة اطلاقها ·· بل عاجله بركلة قوية من قدمه فى بطنه قذفت به الى النهر ·

ووثب أحد الرجال على باردليان من الخلف . فانحنى الفارس فى خفة وسرعة الى الامام ثم اعتدل · فادرك الرجل رئيسه وهو يتخبط فى الماء ·

ودار باردليان على عقبيه وأعمل ذراعيه القويتين فى الرجال الثلاثةالباقين فهشم وجوههموفروا من أمام هذه العاصفة الهوجاء والقوا بانفسهم طائعين مختارين الى النهر ·

وأمسك باردليان بمجذافين وهم بتحريك القارب فلمح فالفير يطفو برأسه على سطح الماء ليتنفس ثم ألفاه يتجه دون وعى الى ناحية القصر فصرخ فيه منبها اياه الى مكان الزورق ·

فسبح فالفير اليه مسرعا · واقترب منه باردليان بالزورق ثم انتشله وهو منهوك القوى ·

واتجه الاثنان الى الشاطىء حتى اذا ما أدركاه غادرا الزورق · وقال باردليان باسما : ان فوستا لم تخل من الكرم ·· لقد وفرت علينا مؤونة السباحة ·· وأرسلت الينا هذا القارب المريح ·

وانطلق الاثنان الى الفندق الذى يقيم فيه باردليان مع

ابنه جيهان ودعا الفارس صديقه الى أخذ قسط من الراحة وتناول شىء من الغداء · فقبل فالفير وقال :

ـ انها فرصة طيبة لنزف بشرى العثور على لويز الى والدها ··

فتهلل وجه باردليان وقال : انى أخشى أن يقتله الفرح ·

بيد أن (روبين) خادم باردليان أبلغهما أن المركيز جيهان قد غادر الفندق منذ قليل ·

فقال الفارس :

ـ لقد أخر عن نفسه وصول البشرى اليه ·

وجلس فالفير وباردليان يتجاذبان أطراف الحديث· ثم تناولا طعام الغداء سويا · ونام الاثنان ما يقرب من ساعتين أراحا فيهما جسميهما ·

وفى تلك الاثناء كانت العجوز بيرين تقص على (لاندرى ككنار) ما حدث لموجيت ·· وتسأله فى الحاح عن الكونت أوديت دى فالفير ·

وحين قصد لاندرى الى قصر فوستا ليسأل عن سيده ·· انكروا وجوده · وادعوا أنه غادر القصر الى وجهة غير معلومة ·

فاستقل لاندرى العربة مع العجوز · وانطلقا بها للبحث عن سيده فى أنحاء باريس ·

وطال بهما البحث · وأخيرا قال :

ـ لقد اختفى من باريس ·· اننى لا أعرف أين أجده ·

وقالت العجوز فى يأس : لقد أبى سوء الحظ الا أن

يحالفنا اليوم ٠

وفجأة صرخ لاندرى : يا لى من أبله معتوه !

ودهشت العجوز ونظرت اليه مستفسرة وقالت مازحة :

ـ معتوه ٠ قد يكون هذا معقولا !

فرمقها بنظرة احتقار وقال : كفى هذرا أيتها العجوز ٠

ثم أشاح بوجهه وأردف : لقد نسيت أن أذهب الى باردليان ٠

فسألت : ومن هو باردليان هذا ؟

ـ أشجع فرسان باريس وأقواهم ٠ كما أن ٠٠

ـ ولكنه لن يغنى عن أوديت ٠ لان قلب المحب أربط جأشا وأشد جراة ٠

ـ انى معجب بفلسفتك ٠ اعجابى بجمالك الفتان أيتها العجوز الثرثارة ٠ اننى سأذهب الى باردليان لانه صديق الكونت دى فالفير ولا يبعد أن يكون على علم بمقره ٠

وربتت العجوز على كتف لاندرى ٠ وقالت وهى فرحة مستبشرة :

ـ لاول مرة تبدو فى نظرى ذكيا ٠٠ هيا بنا اذن يا عزيزى ٠

ولما وصل لاندرى والعجوز الى الفندق الذى يقيم فيه باردليان أخبرتهما صاحبته انه مذ غادر ابنه فى اليوم السابق لم يعد بعد ٠

وكان باردليان وفالفير وقتئذ يتلمسان طريق النجاة من قصر فوستا الرهيب ٠

وقالت العجوز لصاحبة الحانة : ألم ترى الكونت دى فالفير ٠

ـ كلا ٠٠ اننى لم أره ٠

فقالت لها فى صيغة الامر : اذا رأيته فأبلغيه ان السيدة (بيرين) ترغب فى مقابلته لامر على جانب كبير من الخطورة ٠ قولى له أنه أمر يتصل بخطيبته ٠ واننا فى انتظاره بمنزله ٠ هل فهمت ؟

ـ نعم فهمت ٠

وانطلقت العربة عائدة بهما الى منزل الكونت دى فالفير ٠

ولما عاد باردليان ورفيقه الى الفندق ٠ كانت صاحبة الحانة فى المدينة لقضاء بعض الحاجيات ولم تعد الا عند مغرب الشمس ٠

وعندما علمت بحضورهما هرولت اليهما والتقت بفالفير عند أسفل الدرج وهو يهم بمغادرة الفندق فقالت له : لقد جاءت امرأة عجوز تدعى بيرين وسألتنى عن سيدى الكونت ٠

وكان فالفير لايعرف العجوز ٠ فان موجيت لم تحدثه عنها ٠ وحاول أن يبحث فى ذاكرته عن صاحبة هذا الاسم فلم يوفق ٠ وأخيرا سألها :

ـ ألم تخبرك لاى أمر كانت تريد مقابلتى ؟

ـ كلا ! بل اقتصرت فى قولها على أنها تريدك لامر على جانب من الخطورة ٠ وكانت تستقل مع رفيق لها عربة يجرها جواد أحمر اللون ٠ وقد قالت أن هذا الامر الخطير متعلق بخطيبتك ٠

وفوجىء فالفير بهذا النبأ ٠ فظل لحظة مشدوها ٠ ثم هتف فى ذعر : متعلق بخطيبتى ؟ يا الهى !

ـ نعم ٠٠ بخطيبتك موجيت كما قالت ٠٠ وهى الان فى انتظار سيدى الكونت بمنزله ٠

فوقف فالفير مضطربا حائرا ثم قال :

www.rewity.com dodyadodo

ـ الا يوجد جواد فى هذا المكان ؟
ـ نعم يا سيدى الكونت
ـ اذن على به · واسرعى
واسرعت المرأة الى حظيرة قريبة وعادت بجواد مطهم قوى وقالت :
ـ هذا جواد المركيز جيهان دى باردليان ·
ـ لا بأس ·· انه كجوادى · فانا وجيهان اخوان
وامتطى صهوته ، واندفع به كالعاصفة حتى وصل الى داره ·
وصعد فالفير الدرج مهرولا · ثم اقتحم الدار باحثا عن العجوز ·
اما بيرين ·· فانها ظلت تنتظره فى الشرفة بعد ان غادرها لا ندرى ككنار وخرج الى باريس ليواصل بحثه عنه ·
وما رأت بيرين فارسا مقبلا على جواده يطوى الارض طيا ويندفع مسرعا الى المنزل حتى ايقنت انه هو اوديت دى فالفير فخفت الى مقابلته
وفى كلمات وجيزة شرحت العجوز للكونت ما حدث لموجيت واخبرته انها ذهبت الى منزل (كونسينى) لانقاذ لويز
وصعق فالفير عند سماعه قصة بيرين · واضحى كتلة من الغضب الشديد والحقد القاتل ·· وزايل العجوز دون أن ينطق بكلمة · ثم غادر المنزل · وانطلق بجواده فى سرعة جنونية يشق طريقه بين المارة غير عابىء بسبابهم ولعناتهم
وبينما هو كذلك ، صادفه رجل فى شارع (لكرو) · اعترض طريقه ورفع يديه كانه يمنعه من المرور ·

وعجب فالفير لشأن هذا الرجل ·· وكاد يدهمه بجواده لولا انه عرفه فى آخر لحظة وصاح : لا ندرى ·· اين كنت ؟
واوقف الجواد وهو يقول : اقفز ورائى بسرعة ·
ووكز الجواد فانطلق بهما باقصى سرعة ··
ووصل فالفير الى منزل كونسينى · وهبط عن جواده ·· واتجه نحو الباب وهو لا يتمالك نفسه من شدة الغضب ·· والثورة التى تعصف بكيانه · فامسك به لاندرى وقال :
ـ ارجو ان تتمالك غضبك ·· وتستعيد هدوءك ·· والا فلن يفتحوا الباب ولو لبثنا نطرقه حتى الغد ·
وارتد فالفير الى عقله ويمم صوب الباب وطرقه فى رفق ·
وفتح الباب بعد قليل وبرز من ورائه رجل مسلح من قمة رأسه الى اخمص قدميه ·· ونظر الى الطارقين وقال فى شىء من الكبرياء :
ـ من انتما ؟ وماذا تريدان ؟
فقال فالفير : أليس هذا هو منزل المارشال كونسيتى ؟
وتردد الرجل قليلا ثم قال : نعم هو ·· ولكن الماريشال موجود فى قصره الاخر ·· وهو القصر الخاص بالزيارات ·
فقال فالفير فى حدة : ولكنى اعرف انه فى هذا القصر
فاجاب الرجل ببرود : واذا فرض وكان الماريشال موجودا فلن اسمح لك بالدخول ·· لان هذا المنزل خاص براحة الماريشال ·· ولا يسمح لاحد باقلاق راحته ، فتفضل ··
وقبل ان يتم عبارته كان لاندرى قد انقض عليه واطبق

شرر الغضب والحقد الشديد ·· ووقف الغريمان وجها لوجه · وظلا برهة واجمين، يتبادلان النظرات الملتهبة ··

وكانت لحظة سكون رهيب ·· قطعها لاندرى بمسيره الى باب الغرفة واغلاقه بالمفتاح ·

وصرف كونسينى بأسنانه فقد ادرك الا فائدة من الاستنجاد بحراسه · والا مفر من الاعتماد على نفسه وصد عدويه بخنجره ··

وكان شجاعا قوى القلب ·· فتقدم من فالفير فى رباطة جأش وقال :

ـ من الذى اذن لك بدخول منزلى ايها الوغد · سأعرف كيف اجعلك تكفر لابليس عن زلتك ··

فانفجر فالفير ضاحكا ضحكات عصبية وقال وهو يخرج سيفه من غمده : طالما تمنيت قتلك · وها هى الفرصة التى كنت اتلهف اليها قد سنحت اخيرا يا عزيزى ··

وشعر كونسينى برجفة شديدة تسرى اليه من قمة رأسه الى قدميه · فقال يحدث نفسه :

ـ يا الهى من اين دخل هذان الشقيان · انهما مسلحان بالخناجر والسيوف وانا لا احمل معى غير هذا السلاح الحقير ·

وبدا عليه التردد والخوف مما حفز فالفير الى الانقضاض عليه بقسوة

وفى هذه اللحظة اندفع لاندرى بينهما معرضا نفسه لسلاح الكونت ! ·· فذهل هذا الاخير وصرخ فيه قائلا :

ـ ماذا دهاك ايها المجنون ··

ولم يجب لاندرى ·· بل ظل فى مكانه بينهما ليمنع

بيديه القويتين على عنقه ·· وظل به حتى فقد وعيه والقاه بقسوة على الارض وهو يقول : كنت واثقا من هذا الجواب يا عزيزى ! ·

واندفع الاثنان الى فناء الدار ·· وفى هذه اللحظة بالذات كانت موجيت قد صرخت صرختها الثاقبة مرددة اسم « اوديت » حين اطبق عليها ذلك الوحش ! ··

وسمع فالفير الصرخة فغلى الدم فى عروقه واندفع نحو مصدر الصوت ·

وتنبه (روبنياك) رئيس حرس الماريشال الى الضجة التى احدثاها باقتحامهما الدار ·· وذهب الى الباب فوجد الحارس ملقى على الارض فاقد الوعى · واذ ذاك ادرك خطورة الامر وصعد الى الطابق الثانى فى اثرهما ·· ولما كان يعرف مقر كونسينى ·· فقد سبقهما الى غرفته وارهف السمع · فلم يجد ما يقلقه · ولبث بباب الغرفة للحراسة ·

ووصل فالفير ولاندرى ·· واسترعى نظرهما وجود روبنياك فأيقنا أن موجيت سجينة فى تلك الغرفة ··

ولم ينتظر رئيس الحرس مهاجمتهما بل اندفع اليهما فى شجاعة وقد استل خنجره فى يده ·

اما فالفير ·· فانه لم يمهله لحظة وانتزع الخنجر من يده فى حركة سريعة ثم لكمه فى صدغه لكمة اطاحت برشده وقذفت به الى الارض ·· ثم وثب نحو باب الغرفة ودفعه دفعة قوية فانفتح على الاثر ·

ولحسن الحظ كان دخول الكونت اوديت دى فالفير فى نفس اللحظة التى حمل فيها كونسينى فريسته الى الفراش

وفوجىء كونسينى وكاد يفقد صوابه عند رؤية فالفير متجهم الوجه اشعث الشعر ·· يرمقه بنظرة يتطاير منها

فالفير من قتل كونسينى ٠
وصاح فالفير مرة اخرى فى غضب :
ـ تنح عن طريقى ٠٠ والا قتلتك فى الحال
فقال لاندرى وقد خشى ان ينفذ فالفير وعيده ،
ـ هل قر عزمك على قتل هذا الرجل ؟
وفتح الكونت عينيه فى دهشة وقال : هذا لا شك فيه !
وكانت دهشة كونسينى لتصرف لاندرى ككنار لا تقل عن دهشة فالفير ! ٠ وساله هذا الاخير : لماذا توجه الى هذا السؤال الان ! ألم تمن نفسك بقتله فى احد الايام ؟
فقال لاندرى فى هدوء : ومن اجل ذلك امنعك من قتله ٠
ـ ولم ؟ اننى لا افهمك ! ٠
فاشار لاندرى الى كونسينى بأصبعه فى احتقار وقال :
ـ لان هذا الرجل اصبح ملكا لى ٠٠ لقد باعته لى هذه الفرصة النادرة واشتريته بحقدى وكراهيتى له يا سيدى الكونت ٠٠
ـ وهل هذا يمنع من قتله ؟
ـ كلا ٠٠ بل على النقيض يحفزنى اليه ٠٠
فقال فالفير فى ضيق : ما الذى تطلبه اذن ؟
ـ أن تترك مصيره الى ٠٠ لاشفى غليلى منه يا سيدى ٠
فقال فالفير فى لهجة آمرة :
ـ كلا ٠ يجب ان يموت كونسينى بيدى انا ٠
فقال لاندرى فى الحاح : حرصا على حياتك يا سيدى ٠ دعنى اجرب حظى معه ٠٠ فان قتلنى اقتله ٠٠
وهز فالفير رأسه سلبا وقال :
ـ كلا ٠ اغرب عن وجهى والا قتلتك قبل ان اقتله ٠
وابتعد لاندرى وقال : اننى اتنازل عن هذه الرغبة ٠٠٠

ولكنى اؤكد لك انك سوف تندم على قتله بيدك يا سيدى الكونت ٠
وكان لاندرى بتصرفه هذا ٠٠ يريد ان يمنع (فالفير) من قتل كونسينى والد عشيقته موجيت ٠
وكان فالفير بدوره يجهل ان غريمه هو والدها ٠٠ لان لاندرى لم يطلعه على هذه الحقيقة
وقال كونسيتى حينما ابتعد لاندرى :
ـ يبدو لى انك فارس شريف ٠٠ والفرسان لا تهاجم رجلا اعزل من السلاح ٠ الا من خنجر لا يقوى على قتل بعوضة ٠
فنظر فالفير الى لاندرى وقال له : اعطه سيفك ٠
وبسط لاندرى يده بسيفه الى الماريشال كونسينى ٠٠ الذى تناوله وقال : شكرا لك ٠٠ هل انت مستعد ٠
ـ نعم ٠٠ وعلى اتم استعداد ! ٠
وبعد لحظة كان السيفان مشتبكين فى صليل داو رهيب ! ٠
وابتدأ كونسينى يهاجم غريمه فى شدة وقوة حتى اضطر فالفير الى التقهقر بضع خطوات ٠٠ حتى اذا ما تبين طريقة الماريشال حمل عليه حملة شديدة ٠ فى مهارة وبراعة استرعت نظر خصمه ٠
ولاحظ فالفير ان الماريشال يتراجع الى الخلف فى سرعة غريبة ! ٠ فعجب لامره وقال يحدث نفسه وهو يراقبه فى حرص شديد :
ـ لابد ان هذا الشيطان يرمى الى شىء من وراء تقهقره هذا ؟ ٠٠ فربما كان بالغرفة باب سرى من الناحية الاخرى ٠
وتحقق حدس اوديت الا انه لم يكن يقصد الباب السرى

كما خيل اليه ! · بل ان كونسينى لم يتراجع الى الخلف الا ليقذف عدوه بمنضدة صغيرة بيده اليسرى ! ·

واصابت المائدة سيفه فحطمته واذ ذاك صرخ فالفير غاضبا :

ـ ايها الخائن القذر ·

وضحك كونسينى فى وحشية واندفع اليه مصوبا سيفه الى صدره

وذهل لاندرى · واخرج خنجره فى سرعة لانقاذ سيده · ! الا ان هذا الاخير لم يترك له الفرصة لانقاذه · فقد راغ من الضربة فى مهارة وخفة ·· ثم امسك بمعصم كونسينى وانتزع منه السيف والقاه على الارض ··

واشتبك الاثنان جسما لجسم ·· وما هى الا لحظات حتى ترنح الماريشال امام ضربات خصمه القوية القاسية ··

واخرج فالفير خنجره ورفعه ليهوى به فى قوة على صدر غريمه ! ·· غير أن لاندرى أمسك بذراعه ومنعه من تصويب الطعنة وقال :

ـ مهلا يا سيدى الكونت · لا تقتل هذا الرجل !

وجن جنون فالفير وصاح : ماذا دهاك اليوم ايها الابله ؟

ـ لا شىء ·· انما ··

ـ انما تدعنى بذلك الى قتلك انت !!

وقال لاندرى بصوت هادىء :

ـ انك لا تستطيع ان تقتل الماريشال كونسينى يا سيدى ··

ـ لم ؟ ··

ـ لان هذا الرجل هو والد الفتاة التى تحبها ! ··

فهتف فالفير كأنه لا يصدق اذنيه : ماذا تقول ؟

ـ هذا الرجل ·· الماريشال كونسينى ·· هو والد موجيت التى جئت لانقاذها من بين براثنه ·

وترك فالفير كونسينى فى الحال ·· اما هذا الاخير فانه تراجع الى الخلف وكأنه لا يصدق انه نجا من قبضة عدوه ·

وفى هذه اللحظة ·· عادت موجيت الى وعيها والقت نظرة حولها · فوجدت فالفير ورجلا آخر فى الغرفة ··

ونقلت الفتاة بصرها بين الثلاثة فى دهش شديد ·· ثم صرخت فى فرح : اوديت

والقت بنفسها بين ذراعيه ·

وكان اوديت لا يزال واقعا تحت أثر التصريح الذى فاجأه به لاندرى ! · فقال فى صوت خافت : الماريشال كونسينى والد موجيت ! ·

يا الهى ! · هذا الوحش القاتل يكون ابا لهذا الملاك الطاهر ·

وسمعت موجيت كلماته ·· فنظرت الى كونسينى فى رعب وقالت فى صوت مرتجف : والدى ! · يا للشيطان ··

وتقدم لاندرى من فالفير وقال :

ـ لقد رأيت نتيجة عنادك يا سيدى الكونت ! · فلو انك اصغيت الى ·· لكفيتنا حرج هذا الموقف المؤلم ·· ولعرفت فى نفس الوقت كيف انتقم منه ·· وبذلك ننقذ أنفسنا من متاعب كنا فى غنى عنها ! · أما الآن ·· فالله وحده يعلم نتيجة تشبثك برأيك ··

واطرق فالفير برأسه وقد بدا عليه انه خجل من تصرفه وشكه فى امانة لاندرى ومروءته ! ·

اما كونسينى فان تصريح لاندرى جعله يقف فى مكانه كتمثال من حجر · وقد كاد يصعقه هذا النبأ الذى لم تساوره الريبة فى صحته وهو اعرف الناس بلا ندرى الذى قضى فى خدمته اكثر من عشرين عاما ··

وتبدلت نظرة الماريشال الى موجيت · كما خبت نار الشهوة فى قلبه دفعة واحدة ·· وحل محلها حب ابوى عميق ··

وخيم على رؤوسهم صمت عميق رهيب ·· وطال بينهم السكوت حتى سمعوا صوت باب يفتح ·· واذا بثغرة سرية تظهر فى الجدار

وحول الاربعة ابصارهم الى مصدر الصوت فاذا بامرأتين تبدو عليهما سيماء العظمة والارستقراطية تدخلان الغرفة ··

وما كاد يقع بصر لاندرى على احدى السيدتين حتى همس فى صوت خافت :

ـ هذه السيدة هى ام خطيبتك موجيت

فقال فالفير فى عجب شديد : صاحبة الجلالة مارى دى مدسيس ! · الملكة الوصية على عرش فرنسا ؟

وانحنى كونسينى حتى كادت هامته ان تمس الارض ··

وقال لاندرى موجها الكلام الى كونسينى : ها هى الطفلة التى عهدت الى بها ؟ · والتى بمجرد ان رأت الحياة حكم عليها ابواها بحرمانها منها ··

وسمعت موجيت ذلك فقالت تحدث نفسها :

ـ امى ! · اهذه هى امى ·· يا الهى ·· امى التى ارادت ان تقتلنى بعد ان وهبنى الله لها · يا ليتنى مت قبل ذلك ·· وكنت نسيا منسيا

الفصل الحادى عشر

الام والابنة

كانت مارى دى مدسيس ام لويس الثالث عشر فى الحلقة الرابعة من عمرها · رائعة الجمال فاتنة الحسن كفتاة فى العشرين ! ·

وكانت تربطها بليونورا زوجة الماريشال كونسينى اواصر صداقة قوية ·

وكان لليونورا بدورها جواسيس يتنسمون اخبار زوجها ويوقفونها على كل حركة من حركاته · وكان من بين هؤلاء الجواسيس ستوكو القزم الذى اخبرها بأن كونسينى على موعد مع فتاة فى منزله الاخر وافضى اليها بمجمل ما حدث حتى اللحظة الاخيرة ·

كما ان ليونورا ـ كما قدمنا ـ كانت قد سمعت مادار بين فوستا وكونسينى من حديث وعلمت ان لزوجها ابنة من الملكة مارى دى مدسيس كان يعتقد انها قتلت فى طفولتها ولكنها مازالت حية ترزق كما اكدت الاميرة ·

وعلمت ليونورا بعد ذلك بوساطة عيونها وارصادها ان موجيت أو زعرة السوسن ·· تتردد كثيرا على قصر فوستا · وان هذه الاخيرة تحبوها بعطفها وحدبها · فلم تستبعد ان تكون بائعة الزهور الفقيرة هى ابنة كونسينى سيد فرنسا · ومارى دى مدسيس الملكة الوصية على العرش ·

وما لبث شكها ان اصبح يقينا حينما اخبرها احد اتباعها بأنه عرف من قصر الدوقة دى سورينتيه أن بائعة الزهور ما هى الا ابنة كونسينى

وكانت ليونورا داهية على جانب كبير من الذكاء ··

فلما اخبرها ستوكو بامر الموعد الذى حدده الماريشال مع موجيت ·· لم تخبر القزم بحقيقة ما تعلمه من الصلة بينهما ·· بل آثرت ان تضرب عصفورين بحجر واحد ·

وذهبت ليونورا الى قصر اللوفر حيث قابلت الملكة مارى دى مدسيس وقصت عليها كل ما تعلم من امر ابنتها · ثم اضافت ان كونسينى قد استدرج تلك الابنة الضالة الى شراكه ليوقع بها

وكانت زوجة الماريشال على علم تام بما بين زوجها ومارى دى مدسيس من علاقات · فارادت بعملها هذا ان توغر صدر الملكة بالحقد عليه وقد فكر فى خيانتها ·· وتهيىء لها الفرصة من ناحية اخرى للتخلص من الفتاة التى سوف يثير وجودها فضيحة حول العرش قد تزعزع من كيانه ·

وما كادت تنتهى ليونورا من قصتها حتى رافقتها مارى دى مدسيس فى مركبة صغيرة وغادر الاثنان القصر الى منزل كونسينى ·

ودخلت مارى دى مدسيس متجهمة الوجه مقطبة الجبين يرتسم عليها الغضب وآثار تفكير حاد عميق ·· وظلت تقترب من كونسينى وهى تحـــدق فى موجيت طويلا ! ·

اما ليونورا ·· فانها تبعتها وظلت ترمق الفتـاة بنظرات قاسية اشبه بسهام قاتلة · وكانت تعجب لوجود هذين الرجلين فى منزل زوجها

وقال كونسينى بلهجة الولاء : انت يا مولاتى ·· انه لشرف عظيم ان تتنازلى بتشريف منزلى الصغير ·

ثم اضاف باللغة الايطاليةبصوتخافت :

– يجب ان اتحدث اليك على انفراديا سيدتى ! · لقد

حدثت اشياء لم تكن فى الحسبان ! · امر خطير جلل ·· ان هذه الفتاة التى امامك الان هى ابنتنا فلورنس ! ·

فقالت مارى فى صوت مضطرب :

– اننى اعرف ذلك ·· ومن اجله اتيت الى منزلك ·

فقال كونسينى دهشا : ومن اين علمت يا سيدتى ؟

– من زوجتك ·

فهتف كونسينى : من زوجتى ؟ · من ليونورا ؟!

ثم التفت اليها وقال :

– ومن أين عرفت أنت ؟ · لقد كنت أجهل ذلك الأمر حتى هذه اللحظة !

فقالت ليونورا فى صوت هادىء : اننى لا اجهل شيئا يتعلق بك

فصاح كونسينى غاضبا : ولم لم تخبرينى من قبل ؟

– لقد اردت ان اعرف مدى امانتك الزوجيـة ياعزيزى ! ·

وأدرك المارشال ما ترمى اليه من وراء هذا القول أمام مارى دى مدسيس فحول مجرى الحديث فى لباقة والتفت الى الملكة وقال بالايطالية ايضا :

– الا يجدر بنا ان نتحدث على انفراد فى الغرفة المجاورة يا سيدتى ان الامر جد خطير

فقالت الملكة فى هدوء غريب : صبرا لحظة ··

واتجهت الى موجيت التى كانت شاحبة اللون تنظر فيما حولها فى شبه ذهول وكأنها لا تعى شيئا ·· ثم قالت لها فى لهجة جافة :

– اتبعينى يا آنسة ! ·

وانصرفت من الحجرة فى عظمة وجلال بعد ان همست فى اذن ليونورا بعض كلمات ·· ولم تكلف نفسها مؤونة

النظر الى الخلف لترى ان كانت موجيت قد صدعت بأمرها وتبعتها ام ظلت فى مكانها ! ٠

وعجب فالفير لتصرف الملكة وقال يحدث نفسه دهشا :

ـ ان هذه المراة لا قلب لها ولا شعور ! ٠ انها لم تتاثر للعثور على هذه الطفلة التى فقدتها منذ سنوات طويلة ! ٠ ولم يختلج قلبها لرؤية فلذة كبدها امامها على اتم ما تكون من الفتنة والجمال ٠٠ لعلها تخشى ما فى العثور عليها من فضيحة ٠٠ لانها برهان حى على دنسها وشرفها المثلوم ! ٠

وخرج كونسينى فى اثر الملكة ٠٠ وظلت ليونورا على عتبة الباب تنتظر موجيت التى ترددت قليلا ثم وجدت نفسها تتبع الملكة دون ان تشعر ٠

ولما رآها فالفير تهم بمغادرة الغرفة امسك بذراعيها وقال لها :

ـ الى اين انت ذاهبة ؟

فنظرت اليه وقالت فى سذاجة :

ـ الى امى ٠ انها طلبت الى ان اتبعها

ثم قالت للاندرى ككنار : انك لم تتكلم الا صدقا ! ٠ حقا أن هذا الرجل وهذه المرأة هما والداى ٠

ثم اردفت : يجب على ان اطيع امر امى ٠٠ او امر جلالة ملكة فرنسا ٠٠

ونظر اليها فالفير ولم يجب ٠٠ ثم قال يحدث نفسه :

ـ انى لا اريد ان اعكر عليها صفو لقائها لابويها ٠٠ ولو اننى اعرف ان هذين الوالدين هما اللذان فكرا فى قتلها عند ولادتها

واغلب ظنى انهما لا يزالان عند هذا العزم ! ٠ ولكنى لا استطيع ان ازعجها بهذا القول ٠ بل يكفى ان انصحها

فى لطف ٠٠

ثم اضاف بصوت عذب :

ـ اننى لا اسمح لك بالخروج من هذه الغرفة يا موجيت ٠

ـ ولم ؟

لان ذلك يكون جنونا ما بعده من جنون ٠

ـ وأدركت موجيت من وميض نظرته ونبرات صوته ما يرمى اليه فقالت فى هدوء ورباطة جأش :

ـ يجب على أن أطيع أمر أمى ، لا عرف ماالذى تريده منى هذه الام التى ظللت طيلة حياتى أمنى نفسى برؤيتها ٠ ! سأطيع أمرها ولو كنت على يقين من أنها جلاد تقمص فى ثوب امرأة ٠

قالت ذلك واتجهت مسرعة الى باب الغرفة حيث كانت تنتظرها ليونورا التى حثتها على الاسراع وهى تقول : هيا بنا يابنتى العزيزة ٠ انه من غير اللائق ان نترك جلالة الملكة تنتظرنا ٠

أما فالفير فانه صمم على اللحاق بها والدفاع عنها مهما كلفه الامر ٠ فتناول سيف لاندرى وامتشقه ٠ والتفت الى الاخير وقال :

ـ ان كنت تحرص على حياتك فابق هنا ولا تتبعنى ٠٠

فقال لاندرى : رغم علمى بأن هذه الحياة بخسة الثمن قليلة القيمة فانى أحرص عليها ٠ ومع ذلك فاننى اتبعك ياسيدى الكونت ٠٠ لان فلورنس هى ابنتى التى انقذتها من براثن هذين الوحشين وانى أضحى بآخر قطرة من دمى لكى انقذها ٠

فابتسم فالفير وقال : اذن هيا بنا ٠

واتجها الى الباب فاذا هو مغلق من الخارج ٠٠ فصاح

فالفير :

ـ يالهى · لقد انتهزت زوجة كونسينى فرصة حديثنا واغلقت الباب من خلفها ·

عندما أغلقت ليونورا باب الغرفة صحبت موجيت الى غرفة أخرى وقالت لها فى عطف : اجلسى هنا يابنتى العزيزة ·· حتى اعود فى طلبك بعد قليل ·

وتركتها وانصرفت وهى تحدث نفسها قائلة :

ـ لقد أنست المفاجأة كونسينى أمر هذين الرجلين · انهما ولاشك على علم بهذا السر الخطير ··· وفى مكنتهما أن يهددا كيان العرش ··· وينزلا بالماريشال من أوج العظمة والمجد الى حضيض الفضيحه والعار ·

ثم قالت من بين أسنانها : يجب أن يخرجا من هذا المنزل صامتين هامدين ·

ثم هبطت الى طابق الارضى حيث يوجد الحرس الذين أعدهم زوجها ··· فقابلت روبيناك الدى ما كاد يقع بصره عليها حتى أدرك ما تقصده وقال : لقد غلبنى هذان الشقيان على أمرى واقتحما على الماريشال الغرفة ·· فلما ذهبت لاستدعاء رجالى وجدتك بصحبة جلالة الملكة فآثرت ألا أتدخل فى الامر حتى يصدر لى أمر جديد ··

فقالت ليونورا فى كبرياء ، لقد أحسنت التصرف ·· والان تك أن تعتبر هذا الامر الجديد قد صدر بالفعل ·

وأحنى روبيناك هامته وقال : سمعا وطاعة يا سيدتى ··

ـ لقد حبست هذين الرجلين فى غرفة كونسينى فراقبهما جيدا واياك أن يتمكنا من الفرار ··

وتركته وصعدت الدرج الى الطابق الثانى ·· ثم اتجهت الى الغرفة التى جلست فيها مارى دى مدسيس مع كونسينى ··

ووقفت أمام الباب هنيهة ثم قالت تحدث نفسها :

ـ حقا ان المصادفات تخلق العجائب ! · من كان يتوقع ن بائعة الزهور الفقيرة التى تبيع ابتسامتها لكل عابر سبيل من أجل قروش معدودات · والتى تطوف الطرقات سارخة مستجدية · ! من يصدق أن هذه البائسة هى ابنة لكة فرنسا وكبير وزرائها ؟

لاشك أن وجودها يهددهما ·· ولا خير لهما فى بقائها لى قيد الحياة ثم مدت يدها الى مقبض الباب ·· فتحته ببطء ·· وقالت :

ـ هل لى أن أدخل يا مولاتى

فقالت الملكة : نعم ·· ادخلى ياليونورا ·· واغلقى باب من خلفك ·· اجلسى أمامى على هذا المقعد ··

وكان كونسينى يذرع الغرفة جيئة وذهابا وقد وضع يديه وراء ظهره ·· وبدا عليه القلق والاضطراب ·

أما مارى دى مدسيس فكانت تجلس على مقعد كبير هى تنظر الى الماريشال بين الفينة والفينة ·· وقد ارتسمت على وجهها دلائل التفكير العميق ·

وكان الناظر اليهما لا يتبين فيهما كونسينى ذلك الرجل ذوى البأس أو مارى دى مدسيس الملكة الوصية على عرش المرهوبة الجانب · بل مجرد عاشقين نزلت بهما ورثة من كوارث الحب يتلمسان وسيلة لتلافيها

وقالت مارى لزوجة الماريشال :

ـ ألا تعتقدين يا ليونورا أن ما حل بنا هو خطب جلل كبير ؟

فأجابتها وهى تحاول أن تسبغ عليها شيئا من الطمأنينة وراحة الباب :

ـ اننى لا أنكر يا مولاتى ما فى هذا الامر من خطورة ·

ولكنه لايستحق كل هذا الجزع الذى يبدو عليكما ..

فقالت الملكة فى لهجة يشوبها شىء من الجفوة :

ـ كيف تقولين هذا الان .. مع أنك ذكرت لى النقيض حين كنا فى قصر اللوفر ؟ .. فأجابت ليونور فى لباقة وسرعة بديهة جديرتين بالاعجاب

ـ لقد دفعنى اخلاصى لمولاتى الى أن أصوغ كلامى .. ونقلى اتخبر فى شىء من المبـــالغة حتى استحثك على الاهتمام به .. أما الان .. فاننى أقول لكما فى صراحة بأن العثور على ابنتكما لا يعقد الامور كما يخيـل اليكما ! .

وسكتت مارى قليلا ثم قالت :

ـ فكرى قليلا يا ليونورا . ! وضعى نفسك فى مركزى اذا ما عرف الناس أن مارى دى مدسيس كانت ...

ثم أمسكت وكأنها لم تجد فى نفسها الجراة الكافية على تتمة عبارتها فقالت ليونورا فى شجاعة :

ـ لا تتمى حديثك .. دعينى أتمه بدلا منك .. انك تريدين أن تقولى لى : ماذا يحدث لو عرف الناس أن مارى دى مدسيس ملكة فرنسا الحالية .. كانت أما آثمه قبل اعتلائها العرش .. وأن عشيقها لايزال على اتصال بها يتصرف كما يحلو له فى شئون فرنسا ؟ ..

ووقعت هذه الكلمات على مارى وقوع الصاعقة . لاسيما وهى صادرة من زوجة كونسينى . ! فشحب وجهها واضطربت أوصالها .. ولكنها كبحت جمـاح شعورها وظلت ثابتة ساكنة الجنان .

أما كونسينى فانه رمق زوجته بنظرة قـاسية .. واستمر فى ذرع الغرفة كالاسد السجين .

واستطردت ليونورا ،

ـ انك تريدين أن تقولى هذا .. أليس كذلك ؟ .

فقال مارى رغما عنها : نعم ..

فاضافت ليونورا فى يقين : ولكن فى مكنتك أنت يا مولاتى أن تتلافى كل النتائج السيئة التى نتوقعها جميعا من هذا الامر ...

فسألتها الملكة : وكيف أستطيع تلافيها يا ليونورا ؟ ! .

فأجابت ليونورا وعلى فمها شبح ابتسامة خبيثة :

ـ انك نسيت يا مولاتى شيئا هاما ..

ـ وما هو ؟ ..

ـ انك الملكة الحاكمة بأمرك فى فرنسا . وبوسعك أن تخلصى نفسك من هذا المأزق الحرج ..

وخرج كونسينى من سكوته أخيرا فقال :

ـ نعم .. لقد نسينا أننا أصحاب الامر والنهى فى فرنسا ! . ولا أسهل علينا من أن نطبق الى الابد شفتى كل من تحدثه نفسه بافشاء هذا السر .. ان ليونورامحقة فى قولها ..

فقالت ليونورا : ولكن هل يسعك أن تطبق بنفس الطريقة شفتى الاميرة فوستا .. أو الدوقة دى سورينتيه كما تسمى نفسها ؟ ..

فقال كونسينى فى عزم : ولم لا ؟ . ان كل من يتعرض لشرف الملكة واعتبارها السامى يلقى حتفه رغم أنفه سواء فى ذلك الامير أو الحقير ..

وقالت الملكة موجهة الحديث الى ليونورا : أعتقد أنك رجح منه عقلا وأثقب فكـــرا .. فانصحينا بما يجب عمله الان .

ولم تضطرب ليونورا لهذا الاطراء لانها طالما سمعته من الملكة لما كانت تتمتع به فى الواقع من رجاحة العقل وسلامة التفكير . فقالت :

ـ عفوا يا مولاتى ٠٠ ولكن الامر واضح وضوحا لا يحتاج معه الى نصيحة ناصح ٠ غير أنك تخشين المجاهرة برأيك ٠٠

ـ اننى لم أكون رأيى بعد ٠٠

والتفتت الى زوجها وقالت : وأنت يا كونسينى ؟ ٠

ـ اننى فى حيرة من أمرى ٠٠

فقالت فى جرأة : كل منكما يخشى أن يجاهر برأيه ٠ ساتكلم عنكما اذن : لكما أن تختارا بين أحد أمرين : اما موت أو حياة هذه الطفلة

وقالت مارى فى هدوء :

ـ وهل تعتقدين أن هذا الاختيار هين سهل ؟ ٠٠

فقالت ليونورا فى حرص : ربما ٠

ـ اذا كنت فى موضعى ٠ فما الذى تفضلين ؟

ـ اننى لا أفضل شيئا ٠٠

ـ وكيف ذلك ؟

ـ لاننى لست فى موضعك يا مولاتيى ؟ ٠

ـ هذا غريب حقا ٠ !

ـ كلا ٠ وما وجه الغرابة فيه ؟ ليس لى شأن بهذه المسألة المعقدة وأدركت مارى دى مدسيس أن ليونورا لا تريد أن تحمل نفسها تبعة نصيحة انقتل فقالت ملاطفة : هل تتقاصرين اذن عن نصيحتى فى مثل هذا الظرف يا ليونورا ؟

ـ كلا ٠٠

ـ اذن تكلمى ٠٠

ـ ليس هذا من شانى يا مولاتى ٠٠ ولا من شأن جلالة الملكة ٠ انما من شأن أم الطفلة التى أخرجتها الى نور الحياة ٠

وأيقنت مارى ألا فائدة من استدراجها فى الحديث ٠٠ لانها كانت أعرف الناس بخلق ليونورا ٠ فقالت وهى تضع يدها على جبهتها :

ـ بى صداع قاتل ٠٠ ولا أستطيع الان أن أبرم أمرا أو أقرر شيئا

ثم أردفت موجهة الحديث الى الماريشال :

ـ وأنت يا كونسينى ! ما الذى دهاك ٠ ولم لا تشترك معنا فى الحديث ؟

فقالت ليونورا ، نعم ٠ ان جلالة الملكة لها أن تطلب من الماريشال كونسينى بصفته والد هذه الفتاة أن يقرر مصيرها ٠

وفوجىء كونسينى بكلام زوجته ٠ وتردد هنيهة ثم قال فى حدة :

ـ ما الذى تقصدانه من مصيرها ؟

فقالت ليونورا : موتها أو حياتها

ـ ان رأيى الذى لا أحيد عنه ٠٠ ألا نتعرض لهذه الفتاة ٠٠ ولنتركها على قيد الحياة ! ٠

ولم يكد يتفوه بهذه الكلمات حتى رمقت الملكة مارى دى مدسيس ليونورا بنظرة سريعة لترى وقع هذه الكلمات عليها !

أما زوجة كونسينى فانها ابتسمت ابتسامة لا معنى لها ٠٠ وقالت فى نفسها : لقد كنت واثقة من هذا الرأى ٠

وأردفت بصوت مرتفع : وما هى الاسباب التى تدفعك الى الابقاء عليها يا عزيزى ؟ ٠

فأجاب وقد أدرك ما يدور بخلدها : انه سبب واحد ٠٠

www.rewity.com dodyadodo

ولكنه من الوجاهة بمكان يا زوجتى المحبوبة ٠

وتجاوزت ليونورا عما فى كلمته الاخيرة من التهكم وقالت : وما هو ؟

فقال فى لهجة رصينة :

ـ انها معجزة أن نعثر على هذه الطفلة بعد تلك السنين الطوال ٠٠ نعثر عليها وهى على أتم ما تكون من الفتوة وميعة الصبا ٠ انها حقا معجزة لاتغير لها الا الرغبة السماوية العليا فى الابقاء على حياتها ٠

ونحن لا نجسر على معارضة رغبة الله سبحانه ٠٠ والا أنزل علينا من نقمته ما يسحقنا ويودى بنا ٠

وكان يتكلم فى عزم ويقين ٠٠ ولهجة ثابتة مقنعة ٠٠ فقالت مارى :

ـ انك على صواب يا كونسينى ٠٠ واننى أنا كذلك من رأيك ٠ يجب أن ننفذ الرغبة الالهية ولا نتعرض لهذه الفتاة ٠

ورضخت ليونورا لرأيهما وقالت : هذا فى الواقع ما كنت أتوقعه منكما ٠ ومن الحكمة والايمان ، ابقاء هذه المسكينة ٠

وسادت بينهما فترة سكون طويلة قطعتها ليونورا بقولها فى حرص شديد : ولكن ٠ يجب ألا تنسينا العاطفة شيئا هاما قد يقلب ما قررنا رأسا على عقب ٠٠

فسألت مارى : وما هو هذا الشىء ؟

ـ هو فوستا ٠

ـ الدوقة دى سورينتيه ؟

ـ نعم هى ٠٠ انها استدرجت الفتاة الى قصرها عدة

مرات ولاشك انها تعتمد عليها كثيرا فى اثارة الفضيحة حولنا ٠ وتحقيق مشروعاتها الخطرة الاثيمة ٠

فقال كونسينى : وما الذى تقترحينه ؟

فقالت ليونورا فى خبث :

ـ أنا لا أقترح شيئا ٠٠ وواجبى ينحصر فى لفت نظركما الى بعض المسائل التى تغيب عنكما !

وغضب كونسينى للطريقة التى تتكلم بها زوجته ٠ وأدرك ما ترمى اليه فصاح : اننى لا أقتل ابنتى من أجل امرأة خيالية مثل فوستا ! ٠٠ هذا مستحيل ٠

وقالت ليونورا : وهل قلت لك أقتلها ؟ اننى لم أقصد هذا المعنى الذى ذهب بك اليه سوء الظن ! ٠

وتدخلت مارى بينهما حتى لايستفحل الخلاف وقالت :

ـ اننا نشكرك على نصائحك الغالية ياليونورا ٠٠ ولاشك أن هذه الدوقة قوة يجب الا يستهان بها ٠

فقال كونسينى : ولكن الامر لا يستدعى قتل فتاة بريئة من أجل هذه الاميرة الملعونة ٠

وابتسمت مارى وقالت : لم أعرف ٠٠ بل ولم أتوقع أن أراك فى يوم من الايام أبا حنونا كما أراك الان ٠ اننا لن نقتل فلورنس من أجل فوستا ٠٠ وكل ما هنالك، سنفكر فى طريقة لمنع اتصال الاميرة بها ٠٠

فقالت ليونورا : هذا عين ما كنت أرمى اليه ٠ ورأيى انها ما دامت الان تحت كنفنا ٠ فلا يجدر بنا أن نتركها بعد ذلك ٠٠

فقال كونسينى :

ـ هذا رأى جميل ٠٠ ولاسيما أنها تعرف أننى أبوها ٠

وان ملكة فرنسا أمها ..

فقالت مارى ، اننى لازلت أعجب كيف أحاطت بهذه المعلومات ؟

فقال كونسينى وهو يصرف بأسنانه : انه لا ندرى ككنار ! ..

وقالت ليونورا : من الخطورة أن نترك هه الاميرة على قيد الحياة ..

فأجابت الملكة فى حنق : اننى أوافقك على ذلك .. ولا أكاد أتصور أننى سأقوى على الحياة وهذا التهديد معلق فوق رأسى ! ..

فقالت ليونورا : انى أقترح على مولاتى أن تصطحب الفتاة معها الى اللوفر .. حيث تظل سجينة هناك لا تتصل بأحد ولا يعرف مقرها انسان ..

وتهلل وجه الملكة وقالت : انك على صـــواب يـا يالونورا ..

فقال كونسينى : حسنا . لقد اتفقنا .

ونهضت الملكة وقالت : يجب أن أعود الان الى اللوفر

ثم التفتت الى ليونورا وقالت : استدعى الفتاة يا عزيزتى .. ثم رافقينى الى القصر معها ..

وقالت للماريشال : وأنت أيضا تعال معـى الى اللوفر ..

فانحنى كونسينى وقال : لى الشرف يا مولاتى ..

وكانت ليونورا قد اتجهت صوب الباب حينما نطق زوجها بهذه الكلمات . فبدا عليها التردد ونكصت على عقبيها

وقد تذكرت فالفير ورفيقه فقالت :

ـ انك نسيت أمر هذين الرجلين ؟ ..

فهتف كونسينى وهو يضرب جبهته بيده :

ـ آه .. هذا صحيح ! .. لقد نسيتهما نسيـانا تاما ..

ثم أردف وكأنما ندم على تفريطة : لابد أنهما قد لاذا بالفرار الان ! . ان هذا الرجل الذى يدعى فالفير على جانب لا يستهان به من القوة والذكاء .

وابتسمت ليونورا فى زهو وقالت : كلا .. انهما لم يهربا ..

فسألها كونسينى دهشا : ومن أدراك ..

طب نفسا يا عزيزى .. فان كنت قد نسيتهما .. فاننى لم أنسهما ! .. انهما فى غرفتك سجينان كذئبين وقعا فى شرك

وهتف كونسينى ضاحكا، يا لك من داهية ! ..

وخرجت ليونورا الى الغرفة التى تركت بها الفتاة ..

عندما صعدت الملكة مارى دى مدسيس الى المركبة التى جاءت بها تحولت الى ليونورا وسألتها بالايطالية :

ـ هل استجوبت الفتاة ؟ .

ـ نعم ..

ـ وماذا قالت ؟ .

ـ انها لا تعرف الا اسم أبيها ! .

وفى أثناء ذلك وقفت موجيت على قيد خطوات من المركبة تنتظر بفروغ صبر انتهاء هذا الحديث .. وفجأة

سمعت صوتا خافتا يقول لها :

ـ ان كنت تتعلقين بأهداب الحياة فاياك والتظاهر بمعرفة أمك ·· بل أدعى أنك تجهلينها جهلا تاما ··

ونظرت الفتاة الى الخلف ·· ولشد ما كانت دهشتها حينما رأت الماريشال كونسينى الذى أشار اليها بالتزام الصمت ··

ثم تركها وذهب الى المركبة ليعاون زوجته على

وأمرت الملكة باستدعاء ابنته فأشار اليها وقال :

ـ لقد أذنت جلالة الملكة باصطحابك معها فى هذه المركبة ·· وفضلت أن تجعلك كاحدى بناتها ·· فالثمى يد جلالتها شكرا لها على هذه المنة ·

وقبلت موجيت يد الملكة ·· وجلست الى جوارها فى المركبة ·

وقالت مارى : ألا ترافقنا يا كونسينى ؟ ·

ـ كلا يا مولاتى ·· لم أنته بعد من عملى فى هذا المنزل ··

ونظرت ليونورا الى الملكة نظرة فهمت الاخيرة مغزاها وأدركت أنه يجب عليه أن يتخلص من فالفير ولاندرى ·· فقالت له :

ـ اذن ·· الى اللقاء ·

فانحنى أمامها وقال : الى اللقاء يا مولاتى ··

وهم باغلاق باب المركبة غير أن موجيت استوقفته وقالت :

ـ وابنتى يا سيدى ؟ ·

ـ آه · ! لويز ؟

ـ نعم ··

ـ لاتخشى شيئا ·· انها فى كنفى يا عزيزتى ··

واطمأنت موجيت للهجة أبيها · أما مارى دى مدسيس فانها لم تتمالك نفسها من أن تسألها فى ابتسامة مغتصبة :

ـ هل لك ابنة ولا زلت فى فجر شبابك ؟ ··

ـ كلا يا مولاتى ·· اننى تبنيتها ··

وبدا على الملكة أنها شعرت بكثير من الارتياح لهذا القول ·

وتحركت المركبة أخيرا ·· بينما ظل كونسينى يتابعها ببصره حتى انحدرت فى منعطف قريب ·

ودخل الماريشال الى منزله ·· ولم يلاحظ أنه كان مراقبا من كاهنين وقفا يشهدان المركبة عن بعد ·

وكان أحد هذين الكاهنين شابا جميل الطلعة أسود العينين ·· أما الاخر فكان طويل القامة ·· عريض المنكبين ·· قوى البنية ·

وقال الكاهن الصغير لرفيقه :

ـ ان الامور قد جرت كما توقعتها يا دالباران · فهذه الشيطانة ـ ليونورا ـ لا تضيع من وقتها لحظة واحدة ·

ـ انها امرأة خبيثة يا مولاتى ·

فقال الكاهن الصغير بصوت رقيق :

ـ لابد أنها أدركت أهمية هذه الفتاة لنا فأشارت بنقلها الى اللوفر ان هذا العمل يؤخر مشروعاتنا بغير شك ·

فقال دالباران فى حماس :

ـ مرينى يا مولاتى ٠٠ وأنـــا أنفذ أمرك فى التـــو واللحظة ٠

فقالت فوستا : ماذا تعنى ؟

ـ فى لحظة واحدة أطبق أنا ورجالى ـ المختفين فى الازقة القريبة على المركبة ٠٠ ونختطف الفتاة ونعيدها الى قصرنا ٠

فضحكت فوستا وقالت :

ـ هل تعتقد أن من الحكمة مهاجمة صاحبة الجلالة الملكة الوصية على عرش فرنسا ٠٠ فى وسط الطريق وفى وضح النهار ٠ ؟ !

وتردد دالباران قليلا ثم قال : اذن ما العمل يا مولاتى ٠ ؟

فلم تجب فوستا وافتر ثغرها عن ابتسامة مقتضـبة وبدت على وجهها علامات التفكير العميق ٠٠

وقال دالباران : هيا بنا نتبع المركبة يا مولاتى ٠

ـ وما الفائدة من ذلك ؟ ٠ اننا نعرف أنها ذاهبة الى قصر اللوفر ٠ هيا بنا نعود أدراجنا ٠

الفصل الثانى عشر

الكونت دى فالفير والماريشال كونسينى

صح عزم أوديت دى فالفير ولاندرى ككنار على أن يقتفيا أثر موجيت ليدافعا عنها ويسهرا على سلامتها ٠

واندفع كلاهما نحو الباب المغلق وقد اشتعلا حمية وحماسة وانهالا عليه بمقبضى سيفهما وبأرجلهما ٠٠ ولكن

الباب لم يهتز ولم يتزحزح ٠

وهنا قال فالفير بصوت يشيع فيه القلق :

ـ انه مصنوع من الحديد ٠

ولكنه لم ييأس ٠٠ وأعاد الكرة باذلا جهده لفتحه أو تحطيمه ٠٠ فقال لاندرى :

ـ دعك من هذه المحاولات الفاشلة يا سيدى الكونت ٠ اننى واثق من وجود زر سرى بين ألواح الخشب ٠٠

فقال فالفير : زر سرى ؟ ٠

ـ نعم ! ٠ وبواسطة هذا الزر نستطيع أن نفتح الباب ونفر من هذا السجن ! ٠

فهز فالفير رأسه ولزم الصمت ٠٠

وابتدأ لاندرى يفحص الباب فحصا دقيقا ٠٠ ولكن بغير جدوى ٠

وأرغى فالفير وأزبد ٠٠ فأزاحه من طريقه ٠٠ وحمل مقعدا ثقيلا وقذفه بكل قوته على الباب ! ٠ فلم يتزحزح وتحطم المقعد ٠

وكاد اليأس يسيطر على قلبيهما ٠٠ لولا أن أوديت تنبه أخيرا الى الباب الكبير الذى يصل الغرفة الجانبية المطلة على السلم العمومى ٠٠ فانتقل اليه ورفع العارضة الحديدية فى سهولة ولكن الباب رغم ذلك لم ينفتح ! ٠

وجن جنونه ٠٠ وظل ينتقل بين البابين كالاسـد السجين ٠٠ فيدفع هذا بكتفه تارة وينقض على الاخر بكل جسمه تارة أخرى ٠ ولكن عبثا حاول ٠٠

وعلى الرغم من أن الشمس كانت تغمر الكون ٠٠ فان الغرفة كانت مضاءة بأنوار الشموع القلائل المثبتة فى

يضطرب بصيصه فى صدره :

ـ لنواصل البحث يا لاندرى ! · حتى اذا اخفقنا مرة أخرى كان لنا أن نستسلم لليأس طائعين مختارين ··

فقال لاندرى وهو يضحك فى غيظ : نبحث ؟ · والى متى يا سيدى ؟

ولم يجب فالفير ·· ورغم انه كان مقتنعا بكلام لاندرى ·· الا أنه ظل يبحث فى كل مكان فى الغرفة · لا أملا فى أن يجد وسيلة للخروج · بل رغبة منه فى عدم الاستسلام لليأس ! ·

ولبثا كذلك مدة من الزمن · وهما فى حيرة من أمرهما · واخيرا قال أوديت وهو يكاد ينشق من الغيظ : أقدر علينا أن يتركنا هذا الشقى كونسينى لنموت جوعا وعطشا ! ·

فنهض لاندرى فى تثاقل وقال :

ـ كلا ·· لا أحسب أنه يجرؤ على هذا العمل ·

ـ اذن فما عساه أن يصنع بنا ؟

وابتسم لاندرى وقال فى تهكم :

ـ انه لن يقدم على قتلنا الان · اذ يريدنا أحياء ·

ـ ولم ؟ ·

ـ ليسومنا مر العذاب يا عزيزى ·· انه أدرى الناس بهذه الاعمال ولله حوادث فى التعذيب لا يكاد يحتمل ذكراها قلب من قلوب البشر !

ولم يتاثر فالفير بكلام لاندرى · بل قال فى لهجة عاتبة :

ـ لقد أعماك الخوف ولا شك ·

أركانها ·

وذلك لان الحجرة كانت معدة بطريقة خاصة · فنوافذها الحديدية المحكمة قد أسدلت عليها ستائر سميكة لا تسمح للضوء بالمرور بين ثناياها ··

وقال فالفير : ان الماريشال قد أعد هذا الوكر وزوده بكل ما يحتاج اليه من وسائل الرفاهية ! · ففى مقدوره أن يجعل منه ليلا دامس الظلام أو نهارا باهر الضوء ! ·

واقترب فالفير من احدى النوافذ · وازاح عنها الستار ·· فالفاها مشبكة بقضبان حديدية غليظة متقاربة · فنظر اليها طويلا ·· ثم نكص على عقبيه وقد أدرك الا فائدة ترجى من معالجتها · للنفوذ منها ··

ونظر اليه لاندرى مشفقا وقال : اننى أعرف ياسيدى الكونت أن كل هذه المحاولات التى تقوم بها عديمة الجدوى ·

ثم أردف فى حنق : لقد كنت فى يوم من الايام ملتحقا بخدمة هذا الرجل ·· وانى أعرف طرقه وأساليبه الجهنمية ·· انه لا يقهر يا سيدى ··

فاطرق فالفير برأسه الى الارض وقال : وهل نخلد الى اليأس ؟ ·

فقال لاندرى :

ـ انى أخشى أن يكون ذلك مصيرنا ! ان الشيطان نفسه لا يستطيع أن يخرجنا من هذه الغرفة اللعينة · اذ كيف نتعلق بأهداب الامل وقد استغلقت فى وجوهنا كل السبل ؟ ·

فقال فالفير وقد كاد يخبو الامل الضعيف الذى

www.rewity.com dodyadodo

فقال لاندرى غاضبا : أنا ؟ اننى لم أعرف الخوف قط ٠

ـ اذن فقد أعماك اليأس ٠ اذ ليس من المعقول أن يلجأ الى تعذيبنا ٠ لاننى لا أكاد أجد سببا يدفعه الى هذا العمل ٠

ـ ألم تشرع فى قتله لولا أننى صارحتك بحقيقة أمره ؟

ـ هذا حقيقى ٠٠ ولكنى شرعت فى قتله وانا اجهل أمر ابوته كما انه لن يحقد على مدفوعا بغيرته بعد أن عرف فى من تحبه ابنته وفلذة كبده ٠٠

ـ هذا محتمل ومعقول يا سيدى الكونت ٠ ولكنك نسيت أمرا على جانب عظيم من الاهمية ٠

ـ وما هو هذا الامر ؟ ٠

ـ انك تعرف سر مولد ابنته ! ٠ وهذا فى رايى كاف لان يحفزه الى دفن هذا السر معنا ! ٠ لان ذيوعه يهدد عرش فرنسا ويقوض أركانه ٠

فقال فالفير فى يقين :

ـ ولكنه يعلم أننى أحب ابنته حبا ما بعده حب ! ومن المستحيل لمن كان مثلى أن يخونه باذاعة هذا السر ٠

فقال لاندرى وهو يهز كتفيه فى غير اكتراث : أنه رجل لايقيم وزنا للعاطفة ٠٠ اننى أكثر معرفة به وبأخلاقه منك ٠

ثم أردف : كما أنه لن ينسى اهاناتك له يوم تحديته وانقذتنى من يد جنوده ٠ لقد حكم علينا بالموت ٠ ولا مفر لنا من لقائه قريبا ٠

فقال فالفير منتهرا : دعك من هذه الافكار السوداء ٠٠

ـ على رسلك يا سيدى ٠ ولكن ٠٠

وتوقف لاندرى عن متابعة كلامه فجاة ٠٠ ثم قال وصوته يضطرب من الفرح : الباب ! ٠ انظر ٠ انه ينفتح ٠

وحول فالفير بصره نحو الباب الذى لا يشير اليه لاندرى وقال وقد ارتسم على وجهه البشر : نعم ! ٠ انه ينفتح ٠٠

وقفز لاندرى اليه فى غير وعى ٠ غير أن فالفير جذبه من كتفه بعنف وهو يقوول له : لا تكن عجولا ٠٠

فهتف لاندرى متململا : وفيم الانتظار ! ٠٠ انى أخشى أن يغلق ثانية ٠

ـ كلا ٠ لن يغلق ٠ وكل ما هنالك اننى أخاف أن يكون كونسينى هو الذى فتح الباب ليوقعنا فى شرك جديد ٠

وخطا خطوتين الى الامام ليستوثق من القادم

وأرهف أوديت السمع ٠ وتقدم فى شجاعة الى الباب وقد شهر سيف صديقه ٠٠ وتبعه لاندرى وهو يسير على أطراف أصابعه ! ٠ ودفع فالفير الباب فجأة ٠ وقفز الى الخارج قفزة قوية وتبعه لاندرى على الاثر ! ٠

ولم يصادفا شيئا مما كانا يتوقعان ٠٠ بل وجدا نفسيهما فى ممر ضيق طويل لا ينفذ اليه الضوء الا من نافذة صغيرة عالية ٠

وسار الاثنان حذرين ٠٠ حريصين على ألا يصدر عنهما أى صوت وهمس فالفير فى أذن لاندرى : كن على حذر يا لاندرى ! ٠ يخيل الى أن أعوان كونسينى سوف يطبقون علينا على حين غرة من مكان خفى فى هذا الممشى ٠

فقال لاندرى فى صوت خافت : اننى أشعر بقلق شديد ! ٠

وانتهى الممر بدرج هبطاه ٠ وانتهى الدرج بدوره الى الطابق الارضى ! ٠

وما كاد فالفير يرى الباب الموصل الى الطريق مفتوحا حتى هتف وهو متهلل الوجه : لقد نجونا ! ٠

وأردف لاندرى : انها أعجوبة بغير شك ٠ فمن ٠٠

وقبل أن يتم جملته ٠ دوت ضحكة ساخرة فى المكان ٠٠ فارتعدت أوصالهما وغمر اليأس قلبيهما ٠٠

كانت الضحكة منبعثة من الطابق الثانى ٠٠ فالتفت فالفير الى أعلى الدرج فلم يشاهدا أحدا فقال : هيا بنا نقتحم الباب قبل أن يتغير وجه الامور ٠٠

وأسرع الاثنان باجتياز الفناء ٠وحينئذدوت الضحكة مرة أخرى ٠ وكانت أكثر مرارة وسخرية ٠ فقال فالفير وهو يصرف بأسنانه غيظا : هل فهمت الان سر فتح باب الغرفة ؟ ٠

ـ كلا ٠

ـ يالك من أبله ٠٠ انهم يريدوننا على أن نهبط الى هذا المكان بأرجلنا ٠٠ ليوفروا على أنفسهم مؤونة حملنا اليه حملا ٠

ثم أردف فى حماسة : يجب اذن أن ندافع عن أنفسنا حتى الرمق الاخير ٠٠ ولن نلقى سلاحنا بالسهولة التى يتوقعونها ! ٠

وتقدم الاثنان فى فناء الدار ٠٠ فلما وصلا الى منتصفه ! ٠سمعا وقع أقدام وصوت همهمة منبعثين من

خلفهما ٠٠ فدارا على أعقابهما ٠٠ واذا بعشرة رجال يحتلون السلم الذى غادراه ٠٠ وكأنهم بذلك قد قطعوا عليهما خط الرجعة ! ٠

ونظر لاندرى الى رئيسهم وقال له فى احتقار :

ـ انه ذلك الصعلوك لونجفال ٠٠

ولم يكد يتم جملته ٠٠ حتى نفخ (لونجفال) فى صفارته فبرز أكثر من ثلاثين رجلا أحاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم ٠٠

وقد تمت هذه المناورة فى سرعة أذهلت لاندرى ٠٠ فقال يحدث نفسه : قضى الامر ووقعت مرة أخرى بين براثن هذا الوحش كونسينى ٠

أما فالفير ٠٠ فانه كان رابط الجأش ٠٠ ثابت الجنان قد أطبق شفتيه فى عزم وقوة وارادة ٠٠ وأمسك سيفه بيده اليمنى وخنجره باليسرى ٠٠ وظل منتصبا كالليث المتوثب للهجوم ٠

وأجال فالفير بصره بين الرجال الذين امتشقوا سيوفهم وراحوا يقتربون منه ببطء حتى كادت أطراف أسلحتهم تمس جسده ٠

فزأر كالليث صائحا : الويل لكم ! ٠

وفوجىء الرجال بهذه الصيحة ٠٠ ولكنهم لم يتراجعوا ٠ وظل نطاق السيوف الذى ضربوه حوله يضيق شيئا فشيئا ٠٠ ثم كفوا عن الاقتراب ووقفوا ساكنين كالاصنام ٠٠

فصاح فيهم فالفير : لم تترددون ؟ ٠ وما الذى يمنعكم من قتلى ! ٠

وفجأة فتحت ثغرة فى أحد جوانب النطاق ·· ودهش فالفير لهذا التصرف ·· ولكنه أدرك بعد قليل أن الرجال قد أفسحوا الطريق لكونسينى ··

وقفز أوديت الى الامام ·· وقابل الماريشال وجها لوجه ! · ولم يتحرك كونسينى أو يبد عليه أى أثر من رؤيته ! · لوثوقه من أن أوديت لن يجسر على مسه بسيفه وقد عرف أنه والد من يحب ·

وقد تحقق ظنه ·· فان فالفير تراجع الى الخلف وطوق نفسه بالجنود كما كان قبل مجىء كونسينى ·

وسادت فترة سكون بينهما اخترقها كونسينى بقوله فى برود :

ـ خير لك أن تسلم نفسك وتلقى بسلاحك ··

وفوجىء فالفير بهذا القول ·· وبدا عليه التردد وازداد تشبثا بسيفه ·

وأدرك كونسينى مايدور بخلده فقال فى تهكم ·· أنك فرد ازاء ثلاثين ! ·· ولن يجديك الدفاع عن نفسك !·· والا ارتكبت حماقة ما بعدها حماقة·

فحطم فالفير سيفه على ركبتيه وهو يقول :

ـ اذن لامفر من التسليم ، وهانذا يا سيدى ، فماذا تبغى ؟

فلم يجب كونسينى ! ·· بل نظر الى الجند وقال فى غير اكتراث :

ـ اقبضوا عليه ، وقيدوه ! ··

فأحاطوا به ، وظل فالفير هادئا ساكنا حتى انتهوا من تقييده ·

الفصل الثانى عشر

بطولة باردليان

ولما فرغ الرجال من تقييد لاندرى كذلك ، همس كونسينى فى اذن لونجفال قائلا : مر الرجال بالاستعداد للذهاب بهما الى الباستيل ··

وبعد قليل ، خرجت القوة وتبعها كونسينى ممتطيا صهوة جواده ، وقد سار كل من الاسيرين مقيدا ، بعيدا عن رفيقه ·

ولما وصلت القوة عند تقاطع شارع (كلسيت) بشارع (فاجيرار) انعطفت فى هذا الاخير ·

وفى هذه اللحظة ، قبل أن يلحق كونسينى برجاله فى المنعطف ، شعر كأن جلمودا من صخر قد هوى فوق رأسه ·· فانتابه دوار شديد ، وكاد يفقد الوعى ··

وحاول أن يلتفت الى الوراء ليتبين طبيعة هذا الجسم الهائل الذى ارتطم برأسه ، ولكنه لم يستطع ! ·· فقد شعر بيدين فولاذتين تطبقان على عنقه فى قسوة وشدة ·

فقال بصوت غاضب مختنق : من أنت ؟ ··

فسمع اذ ذاك صوتا آمرا بالقوة والجبروت يقول له فى غلظة : اهبط الى الارض ·

فقال فى غيظ : لن اهبط ، من أنت ·· !

ـ اننى رجل تعرفه حق المعرفة ، والافضل لك أن تهبط والا قذفت بك على الارض ! ··

وشعر كونسينى عند سماعه هذا الصوت برجفة قوية تسرى فى جسده من قمة رأسه الى أخمص قدميه ··

وفكر فى أن يصرخ مستنجدا ·· ولكن هاتين اليدين القويتين كانتا تضغطان على عنقه فى غير رحمة أو هوادة ·

وأخيرا اضطر الى أن يهبط الى الارض ·· وفى نفس الوقت ·· هبط الرجل الاخر عن صهوة جواده وظل مطبقا على عنقه ··

وما كاد يقع بصر كونسينى على غريمه حتى هتف فى رعب شديد :

ـ باردليان ! · لقد توقعت ذلك ! ·

وابتسم الفارس ابتسامته المعهودة وقال وهو يشير الى رجلين طويلين وقفا بجواره :

ـ لى عظيم الشرف يا سيدى ·· أما هذان الرجلان فهما خادماى بكويك وكرواس ··

وقال كونسينى فى غيظ : وما الذى تريده منى أيها الشيطان ··

ـ لا شىء الان ··

وأومأ بعينه الى خادميه ·· فأقبلا فى الحال وأخرج كل منهما خنجره ووضع نصله على عنق كونسينى الذى وقف يرتجف وقد غاص قلبه بين جنبيه ··

وفى هذه اللحظة ·· أدرك رجاله أن رئيسهم قد تخلف عنهم فى شارع (كاسيت) ·· فعاد لونجفال مسرعا يستطلع الامر ·· وما وقع بصره على كونسينى بين يدى باردليان وخادميه ·· حتى نفخ فى صفارته واستدعى أعوانه ··

ولاحظ باردليان لونجفال وهو يقوم بهذه المناورة ·· فهمس فى اذن كونسينى قائلا : ان كنت تحرص على حياتك فانصح رجالك بأن يخلدوا الى السكينة ·

فقال بكويك : كم أكون سعيدا اذا اتاحت لى الاقدار فرصة الاجهاز على الماريشال كونسينى اذا ما حدثته نفسه بمخالفة اوامر سيدى الفارس ·

وأضاف كرواس : وأنا كذلك يكون لى عظيم الشرف اذا ذبحته كما يذبح الخنزير المريض ! ·

ولم يشأ كونسينى أن يرضخ للامر بادىء ذى بدء ·· لانه وجد ان من العار أن يفقده الخوف والرغبة فى الحياة ·· اعتزازه بنفسه وشرفه وعاد الرجال أدراجهم مسرعين على أثر سماعهم صفارة لونجفال الذى أمرهم بالانقضاض على الفارس وخادميه :

ـ ما الذى قررته ·· الا تريد أن تصدر أوامرك فى الحال الى رجالك ·· فلم يجد الماريشال بدا من الاذعان · وامر رجاله بالتوقف ·

ووقف الرجال فى التو على قيد خطوات من باردليان وخادميه وهم فى عجب من الامر ·

وقال الفارس وعلى فمه ابتسامة قاسية :

ـ نستطيع الان أن نتفاوض ياسيدى الماريشال ! ·

وأخرج كونسينى منديله من جيبه ·· وراح يجفف العرق البارد الذى ينضح من جبينه · وهو يتساءل عن السر فى اعتراض هذا الشيطان طريقه ·· والوقوف منه هذا الموقف ·· وسأل باردليان :

ـ ما الذى دعا سيدى الفارس الى سلوك هذا المسلك مما يجعله لا يختلف عن قطاع الطرق فى شىء ؟

فزمجر كرواس قائلا : امسك عليك لسانك القبيح والا ··

أما بكويك · فانه أكتفى بأن ضغط قليلا بخنجره على عنق كونسينى فذعر هذا واتسعت حدقتاه ·

وقال باردليان فى هدوء :

ـ اننى أعجب كيف تجاسرت على التطاول على رجالى ·

فهتف كونسينى : رجالك ؟

ـ نعم ··

ـ اننى لم اتعرض لاحد منهم ·

ـ والكونت اوديت دى فالفير ؟

فقال كونسينى فى لهجة صادقة : اننى لا أعرف أنه من رجالك ··

ـ اذن فاعرف ذلك الان ! ··

ودهش كونسينى وسأله : هل تريد أن ترغمنى بهذه الوسيلة الوحشية على اطلاق سراحه ؟ · وهل من المروءة ان تسلك هذا المسلك المزرى ؟ ·

فقهقه باردليان فى سخرية وقال : أنت آخر من يتكلم عن المروءة ! اننى أعرف تماما ما قمت به فى منزلك من مناورات دنيئة حتى تمكنت من القبض على فالفير ··

وأسقط فى يد كونسينى ولم يحر جوابا ·· واستطرد باردليان وعلى شفتيه ابتسامة احتقار هائلة :

ـ كما انك آخر من تتكلم عن الرجولة !

فما أنت الا وحش على صورة انسان ·· مجموعة من الرذائل صبت فى قالب بشرى ·· الم تحاول اغتصاب فتاة طاهرة شريفة ·· فتظهر لك الايام أنها ابنتك ! · واذا

بك بعد ذلك تسوق خطيبها وحبيبها الى الموت ! · وكان الاجدر بك أن تستعبدك مروءته ويأسرك نبله ··

ووقعت هذه الكلمات القارسة على كونسينى وقوع الصاعقة ! فقال مغمغما :

ـ ان العالم بأسره يعلم قصة ابنتى ! ·· ويلم بفضيحتى ! ·· يا للهول ··

ثم أضاف فى هدوء مصطنع : أتتكلم عن الكونت أوديت دى فالفير ؟ · هل هو من أصدقائك ؟

ـ انه عندى فى منزلة الابن ·

ـ أقسم لك اننى كنت أجهل أمر هذه العلاقة جهلا تاما ·

ـ دعنا من هذا الان ·· لقد علمت أنه من أصدقائى · وما أعرضه لاغبن عليك فيه ·· فأنت الان أسيرى ولن أطلق سراحك الا اذا اطلقت سراح الكونت دى فالفير ·

فقال كونسينى ببرود : واذا رفضت ؟

ـ احتفظ بك وانفذ فيك نفس الحكم الذى ينفذ فى أوديت دى فالفير ·

فقال كونسينى فى سخرية ولكن ـ لكى تحتفظ بى ـ يجب عليك أن تنقلنى من هذا المكان الى السجن الذى تختاره ·

ـ هذا طبيعى · وسوف انقلك الى أى مكان أريد ·

فقال كونسينى ببساطة : وهل تعتقد ان فى مقدورك القيام بهذا العمل ؟

ـ وما الذى يمنعنى ؟ ·

www.rewity.com dodyadodo

ـ هؤلاء الثلاثون ! ٠

فقال باردليان مبتسما : آه ٠٠ ثق أن الامر أبسط مما تتصور ٠٠ ففى اللحظة التى يفكر فيها رجالك فى مهاجمتنا يفصل هذان الخادمان القويان رأسك الجميل فى الحال ٠٠

ونظر كونسينى الى الخنجرين المرهفين ٠٠ ثم الى باردليان ٠ وأدرك الا فائدة من المقاومة ٠ فقد كان يقدر بسالة باردليان وقوة شكيمته حق قدرهما فيما لو أقدم رجاله على مهاجمته ٠ وخادميه ٠٠ وحار فى الامر وظل مترددا برهة طويلة ٠ فصاح به الفارس :

ـ تكلم ! ٠ ومر رجالك باطلاق سراحه فى الحال ٠

فغمغم كونسينى بضع كلمات محاولا الاحتجاج ٠٠ بيد ان باردليان قاطعه بشده ونهره عن الاسترسال والاطالة على غير جدوى ٠

ونظر كونسنى الى وجهه فاستشف فى ثناياه قوة العـــزم والارادة وانتقل ببصره الى كرواس وبكويك فوجدهما يتحرقان الى قتله فى غير تردد ٠٠

وأخيرا لم يجد مفرا من الاذعان فقال : اطلقوا سراح الكونت أوديت دى فالفير ٠

وما هى الا ثوان معدودا ٠ حتى كان فالفير بجانب باردليان هادئا كانه لم ير أو يسمع شيئا وقال : كنت أشعر فى قرارة نفسى بشىء من التفاؤل ! ٠ ولا شك انك كنت مبعثه يا باردليان ٠

وابتسم الفارس وربت على ظهر فالفير الذى قال :

ـ بقى شىء آخر يا عزيزى ٠

فقال الفارس : وماهو ؟

ـ ان تأمرهم باطلاق سراح لاندرى المسكين ٠ انه خادمى الخاص ٠

وكان كونسينى يحسب ان فالفير قد نسى أمره واكتفى باسترداد حريته ٠ فقال موجها الحديث الى باردليان :

ـ لقد وعدتنى يا باردليان بأن تطلق سراحى اذا ما أطلقت سراح الكونت ٠ وهأنذا قد فعلت ٠٠ ولم يبق الا تنفيذ وعدك أنت ٠٠

فقال باردليان : وما الذى يضيرك فى اطلاق سراح الآخر ؟ ٠٠

فاجاب كونسينى غاضبا : انك تسىء استعمال حقك يا سيدى ٠

ـ ان أمره يهم فالفير لانه خادمه الخاص ٠

فقال كونسينى وهو يرغى ويزبد : كما أن امـره يهمنى ! ٠ فقد كان خادمى منذ سنوات طـويلة ٠٠ وخاننى ٠٠ وارتكب من الهفوات ما ملأ قلبى بالحفيظة والحقد عليه ! ٠

فقال فالفير فى شهامة : ولكنه الان فى خدمتى ٠٠ ولا تنتظر منى ان اتخلى عنه فى مثل هذا الظرف العصيب بعد أن عرض حياته لخطر الموت اكثر من مرة فى سبيلى ٠٠

واضاف باردليان فى غلظة :

ـ كونسينى ٠٠ انى أنصحك أن تنفذ كل أوامرى ٠

والا فلن تلومن الا نفسك ·· نحن الان اربعة بينهم باردليان وفالفير ··

وقال كونسينى يحدث نفسه ·

ـ هذا صحيح ! · ان هذين الشيطانين اذا اجتمع شملهما امكن لهما ان يهزما جيشا بأسره !

وأدرك الا فائدة من العناد ·· فأمر رجاله باطلاق سراحه فى الحال وقد عز على كونسينى ان يسلم بهذه السهولة فاعمل فكره فى الاهتداء الى خدعه للايقاع بباردليان ·· وأدرك الفارس ما يدور بخلده فسأله بخبث :

ـ لعلك حزين لمفارقتنا ·

فقال الماريشال متجاهلا سؤاله وتهكمه :

ـ أعتقد أننى نفذت كل رغباتك ولم يبق الا أن تأمر هذين الكلبين بالابتعاد عنى واطلاق سراحى ··

فقال باردليان وهو ينظر الى رجال كونسينى :

ـ نعم ·· ساطلق سراحك فى الحال ·· ولكنى أطلب منك ان تولينا شرف مرافقتنا الى نهاية هذا الطريق ·

فقال كونسينى فى ارتياح : لامانع عندى ··

ثم التفت الى (لونجفال) وقال : اتبعنا برجالك يالونجفال ··

بيد ان باردليان لم ينهزم وقال له :

ـ شكرا لك ! · اننا قوم محبون للديمقراطية

والتواضع · فلا داعى لقرقول الشرف هذا ! ·

وتجاهل الفارس نظرة الغضب التى رمقه بها كونسينى واستطرد فى سخرية: مر رجالك أن يظلوا فى أماكنهم ·· بل مرهم بالعودة الى منزلك فى الحال ··

ووجد كونسينى نفسه مضطرا مرة أخرى الى الطاعة والرضوخ فقال لرئيس حرسه : لونجفال عد برجالك الى منزلى ·· وانتظرنى هنالك ·

وصدع الرجل بالامر وقال وهو ينصرف :

ـ ثق يا سيدى الماريشال اننا لن ننسى هذا الموقف ·· وسوف نرى ··

والتفت الى باردليان ورفاقه وقال : الى اللقاء يا سادتى ! ··

ولما ابتعد لونجفال ورجاله ·· التفت باردليان الى كونسينى وقال له : هلم بنا ··

ثم قال فى صوت محذر :

ـ اننى اعرف مقدار خبثك ودهائك ! · فحذار ان تفكر فى الاستنجاد او الاستعانة · فانك لن تعدم مصادفة اعوان لك فى الطريق فأومأ الماريشال برأسه علامة الموافقة ولم يجب ! · وسار الجميع صامتين حتى نهاية الطريق ·· فقال كونسينى : الم يحن ميعاد اطلاق سراحى ··

فقال بكويك ساخرا : انك شديد القسوة يا عزيزى ! · ·· سريع التقلب ·· وانه ليعز على وايم الحق هذا الفراق ··

واضاف كرواس : هون على نفسك يابكويك ولاتحزن كثيرا لهجره ..

فاشار باردليان اليهما ان يكفا عن التهكم . وقال لكونسيني في لهجة جديدة : لقد أصبحت الان حرا ..

فتركه الرجلان وقالا : الى الجحيم ! .

فقال كونسيني وهو يبتسم رغما عنه :

ـ اذن .. الى الملتقى ! . وثق انني لن انسى هذا اليوم .

فضحك باردليان وقال : وانا لن انساه كذلك . وانى لا أتمنى الا أن تتاح لى فرصة تقابلك مرة أخرى ..

والتفت باردليان الى رفاقه وقال :

ـ هلموا بنا الى الفندق لنتناول الطعام .

فقال فالفير :

ـ انني أكاد أموت جوعا . ولم أتناول طعاما منذ ساعات طويلة .

وقال لا ندرى وهو يضع يده على بطنه : اما انا .. فقدمت فعلا .

وانطلقت الجياد الى الفندق الذى يقيم فيه باردليان .

وفي الطريق قال فالفير :

ـ انني لا اعرف كيف هبطت علينا فجاة كملاك الرحمة من السماء وضحك باردليان وقال :

ـ انها قصة طويلة .. سأسردها عليك في الفندق ..

كما أن هناك مفاجاة سارة اخبئها لك .

ورغم الحاح فالفير .. فان باردليان لم يفصح له عن هذه المفاجاة .

ووصل الجميع الى الفندق .. وتكفل الخادمان بربط الجياد .. بينما صعد باردليان وفالفير ولا ندرى الدرج .

وكان فالفير مطرق الرأس حزينا .. كسير الفؤاد ، فساله باردليان :

ـ ماذا بك يا عزيزى ؟

فقال فى صوت حزين :

ـ انني لم افرح لانقاذك لى ! ولعلك ادركت ذلك .

ـ نعم .. لقد رأيتك هادئا ساكنا .

ـ كنت أتمنى ان القى حتفى .. والحق بموجيت ! . لقد اختطفوها وذهبوا بها الى قصر اللوفر .

وانحدرت دمعة على وجنتى فالفير .. اما باردليان .. فانه ربت على كتفه مواسيا .. وصعد الجميع الى المنزل .

الخاتمة

ودخل باردليان .. وتبعه الجميع فدعاهم الى الجلوس فى البهو الكبير الذى يتوسط المكان .. ثم وضع أمام فالفير زجاجة كبيرة من النبيذ وهو يقول :

ـ عليك بهذه الخمر · علها تذهب بهمومك · وانت يا لاندرى شاركه الشراب وان كنت لا تعرف معنى للهموم ·

وصب فالفير الخمر فى الكأس وهو يقول :

ـ حدثنى يا باردليان كثيرا · واخبرنى كيف تمكنت من انقاذنا فجلس باردليان قبالته متهلل الوجه وقال :

ـ تعلك تذكر ان صاحبة الفندق ابلغتك عند انصرافك من عندى ان امرأة عجوزا سألت عنك · وانها تنتظرك فى دارك · فلما سألتها عما كانت تريده منه · قالت لك ان موجيت فى خطر ·

فقال فالفير فى صوت حالم : نعم أذكر هذا ·

ـ ثم تركتها توا بعد ان اقترضتك جواد جيهان وانطلقت به الى منزلك ··

فقال فالفير : ومن اخبرك بكل هذا ؟ ·

ـ صاحبة الفندق بغير شك ·

ـ وبعدئذ ؟! ·

ـ ثم انطلقت الى منزلك فلم تلق غير العجوز التى قصت عليك الامر فتركتها وذهبت الى منزل كونسينى الاخر وقابلت لاندرى فى الطريق ·

فقال فالفير : لعلك ذهبت الى منزلى · وتلقيت هذه المعلومات من بيربن · أليس كذلك ؟

ـ تماما ··

وابتسم فالفير ابتسامة ساذجة وقال :

ـ اننى ادين لك بحياتى يا عزيزى وان كانت هذه الحياة لا تساوى الان شيئا ·· بعد ان فقدت صنوها ··

ثم قال والعبرات تتألق فى عينيه :

ـ نعم لقد فقدت موجيت · وليس الى عودتها الى من سبيل ·

فقال باردليان فى صوت عطوف : خل عنك يا صديقى ولا تستسلم للحزن ··

فقال فالفير مغيرا مجرى الحديث :

ـ انك لم تكمل لى قصتك ··

ـ بعد ان اخبرتنى العجوز بمغادرتك لها ايقنت انك ذاهب الى منزل كونسينى · فصحبت كرواس وبكويك الى هناك · وقضينا وقتا طويلا حتى اهتدينا اليه · والتحمنا المنزل فوجدناه خاليا من الحراس والجنود · الا من رجل قزم كان يروح ويغدو امام الباب اسمه ستوكو · وهذا القزم لا يكاد يجرؤ على مخالفة اوامرى فاكرهته على الافصاح عما يعرفه · فباح لى بما حدث من انقضاض كونسينى ورجاله عليك فى فناء الدار بعد أن استدرجوك أنت ولاندرى يفتح باب الغرفة بطريقة خاصة ··

فقال فالفير : هذا هو الواقع ·

واستطرد باردليان : واصبحت مهمتى سهلة بعد ذلك ·· فتبعت كونسينى ورجاله مسترشدا بكلام ستوكو وانقضضت عليه كما رأيت ··

وابتسم فالفير ابتسامة منتصبة وقال فى صوت

حزين :

ـ انها شجاعة جديرة باسم باردليان ٠

وكان الفارس فرحا متهلل الوجه على غير عادته من مشاركة أصدقائه همومهم وأحزانهم ، وأخيرا قال :

ـ انك لم تسألنى يا فالفير عن المفاجأة الجميلة التى وعدتك بها ؟

ـ حقا ! ٠ وما هى ؟!

فنهض باردليان وذهب الى غرفة مجاورة وقال لفالفير :

ـ ان هذه الغرفة أهنأ مقرا ، واسعد موطنا لك ! ٠٠ فاذهب اليها واسترح قليلا ٠٠

وذهب فالفير الى الغرفة ، وما كاد يخطو خطوتين الى الداخل حتى صاح متهللا : يا الهى ! ٠٠ موجيت ! ٠٠ عزيزتى موجيت ! ٠٠

لقد كانت موجيت بعينها ! ٠٠

كانت مستلقية على الفراش مستغرقة فى نوم عميق ، وبجوارها لويزيت كملاكين جميلين !

واتضح أن الفارس عند مغادرته لمنزل فالفير عقب سماعه القصة من العجوز ، انطلق الى منزل كونسينى برفقة ابنه جيهان وكرواس وبكويك فالتقوا بالمركبة التى تقل الملكة مارى دى مدسيس فعرفها باردليان فى الحال ، ورأى موجيت بجانبها ٠

فأوقف باردليان المركبة ، وهدد الحراس الاربعة الذين كانوا يخشون بأسه ويرهبون جانبه ، وأشفقت الملكة على نفسها من الفضيحة فيما لو أصر رجالها على الدفاع ، فسلمت الفتاة الى باردليان وهى صاغرة ٠

وطلبت موجيت من باردليان أن يذهب بها الى منزل كونسينى ليأخذ حفيدته (لويز) ٠ فذهب الى هناك وقاده القزم ستوكو الى مقرها حيث كانت منصرفة الى اللعب ببعض الدمى مع المرأة العجوز التى عهد بها اليها كونسينى ٠

ومن ثم أرسل باردليان موجيت وحفيدته الى الفندق فى كنف ابنه جيهان الذى كاد يقتله الفرح عند عثوره على ابنته ٠

ولم يدر بخلد فالفير ان يسأل باردليان عن سر وجود موجيت فى الفندق ، بل اندفع نحوها فى جنون واحتواها بين ذراعيه القويتين وهو يمطرها بقبلاته الحارة ٠

واستيقظت موجيت على هذه المفاجأة السعيدة ٠٠ ووجدت نفسها بين ذراعى خطيبها ٠ فلم تصدق عينيها بادىء ذى بدء ثم مالبثت أن صاحت وقد اغرورقت عيناها بدموع الفرح :

ـ فالفير ! ٠ أوديت ٠٠ هل ٠٠

ولم تزد ٠٠ فقد اطبق اوديت على شفتيها بقبلة طويلة حارة ٠

ولم يستفق كلاهما الا على صوت باردليان وهو يقول جذلا :

www.rewity.com dodyadoo

ـ ساترككما الان ترتشفان من رحيق الشباب · أما أنا فقد أصبحت شيخا لا يمت الى هذا العهد الجميل بصلة ·

وفى هذه اللحظة ·· دخل جيهان دى باردليان ·· فصافح أوديت فى سرور ونظر الى لويز بعطف شديد وقال : الا زالت نائمة ؟

واستيقظت الطفلة على صوت ابيها · وقالت فى صوت عذب رقيق :

ـ كلا ياوالدى المحبوب ·

وضحك الجميع لرنة الخبث التى كانت فى لهجتها وقال باردليان :

ـ ان الشيطانة الصغيرة لم تشأ ان تعكر صفو لقائكما ·

ثم التفت الى جيهان وقال : هل أعددت المركبة والجياد ؟

ـ نعم · كل شىء على اتم الاستعداد يا سيدى ·

فقال فالفير : الى اين ؟ ·

فقال باردليان فى صوت متأثر :

ـ الى حيث أخلد الى الراحة والسكينة فى الريف ·· وأودع هذه الحياة الصاخبة ! · وأقضى البقية الباقية من أيامى فى هدوء وطمأنينة !

« تمت »

www.rewity.com dodyadodo